



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم : اللغات الشرقية
فرع : اللغة التركية وآدابها

الحياة الأدبية في تركستان الشرقية في القرن الحادي عشر الميلادي من خلال المصادر التركية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

دينا السيد دويدار

مدرس مساعد بقسم اللغة التركية

(كلية اللغات والترجمة جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا)

تحت إشراف

د / ميادة أحمد محمد

أ.د / بديعة محمد عبد العال

القاهرة – 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " (١٩)

صدق الله العظيم

(سورة النمل : آية : 19)



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم : اللغات الشرقية
فرع : اللغة التركية وآدابها

العنوان : الحياة الأدبية في تركستان الشرقية في القرن الحادي عشر الميلادي

من خلال المصادر التركية.

اسم الطالبة : دينا السيد محمد دويدار

الدرجة العلمية : دكتوراه في اللغات الشرقية فرع اللغة التركية.

القسم التابع لها : لغات شرقية – فرع اللغة التركية

اسم الكلية : كلية الآداب

الجامعة : عين شمس

سنة التخرج : 2001

محتويات البحث

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------------------------------------|
| أ - د | المقدمة |
| 11 - 1 | مدخل التركستان الشرقية |
| | الباب الأول نشأة الدولة القراخانية |
| | • الفصل الأول : |
| 12 | نشأة الدولة القراخانية |
| 12 | - نسبهم |
| 15 | - القبائل القراخانية |
| 21 | - الموقع الجغرافي للدولة القراخانية |
| 23 | - حكام الدولة القراخانية |
| 24 | - ساتوق بوغراخان |
| 25 | - موسى بوغراخان |
| 26 | - هارون بوغراخان |
| 27 | - أبو نصر أحمد إيلك خان |
| 30 | - يوسف قدر خان |
| 33 | - بغرا تكين سليمان |
| 35 | - أحمد خان |
| 36 | - سقوط الدولة القراخانية الشرقية |
| 37 | - سقوط الدولة القراخانية الغربية |
| 39 | - المسكوكات |
| | • الفصل الثاني : |
| 41 | المظاهر الحضارية في الدولة القراخانية |
| 41 | أولاً : فن العمارة |
| 42 | - المساجد |
| 43 | - النُزل |
| 44 | ثانياً : الحياة الاقتصادية |
| 44 | - الزراعة |
| 45 | |

| | |
|----|--|
| 46 | - الصناعة |
| 48 | - التجارة |
| 50 | ثالثاً : الحياة الإدارية |
| 51 | - التشكيلات الحربية |
| | رابعاً : الحياة الاجتماعية |
| 53 | ● الفصل الثالث : |
| 53 | الإسلام في الدولة القراخانية |
| 55 | - الحياة الدينية في الدولة القراخانية |
| 58 | - الإسلام في الدولة القراخانية |
| 58 | - التصوف |
| 61 | - نشأة التصوف |
| 63 | - الطريقة اليسوية |
| 64 | - الطريقة النقشبندية |
| 64 | - علماء الدولة القراخانية |
| 66 | - البخارى |
| 67 | - الإمام مسلم |
| 69 | - الترمذي |
| 72 | - النسائي |
| 73 | - ابن سينا |
| 75 | - جار الله الزمخشري |
| 76 | - مكانة علماء الدين في الدولة القراخانية |
| 76 | - أسباب انتشار الإسلام |
| 77 | - دور القراخانيين في نشر الإسلام |
| | - أخلاق حكام الدولة القراخانية |
| | الباب الثاني |
| | الأدب التركي في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) |
| | ● الفصل الأول : |
| 80 | الأدب التركي في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) |
| 82 | - مصادر الأدب التركي |
| 84 | - فنون الأدب التي تأثر بها الترك |
| 87 | - أنماط الأدب التركي |

| | |
|-----|--|
| 90 | - فنون الأدب التركي الشعبي |
| 92 | - مميزات الأدب التركي |
| 92 | - اللغة في القرن الحادي عشر الميلادي |
| | ● الفصل الثاني : |
| 97 | علماء اللغة والأدب في عهد القراخانيين |
| 97 | - المفسرين والمحدثين والفقهاء. |
| 98 | - سلاطين الدولة القراخانية |
| 98 | - مشاهير الأدباء في القرن الحادي عشر الميلادي |
| 99 | - البيروني |
| 100 | - ابن سينا |
| 101 | - الفارابي |
| | الباب الثالث |
| | أوائل الأدباء الأتراك المسلمين في عهد القراخانيين |
| | ● الفصل الأول : |
| 105 | أوائل الأدباء الأتراك المسلمين في عهد القراخانيين |
| 105 | - أديب أحمد |
| 114 | - يوسف خاص حاجب |
| | ● الفصل الثاني : |
| 140 | محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" |
| 140 | - حياة محمود الكاشغري وثقافته |
| 145 | - ديوان لغات الترك |
| 178 | الخاتمة |

المقدمة

نشأت بتركستان الشرقية العديد من الدول الإسلامية الكبرى, فخرج منها الدولة القراخانية التي نشأت في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي), وبها مدن عظيمة, مثل: كاشغر وبالاغون وغيرها من المدن الإسلامية, ولكن لم يحظ تاريخ الدولة القراخانية بعناية كبيرة لدى المؤرخين, ويمكن القول إن تاريخ الدولة القراخانية شبه مفقود في سلسلة التاريخ الإسلامي, وهي أول دولة تركية تحكم بلاد ما وراء النهر, وأسست دولة قوية في ظل الخلافة العباسية, واستمر حكمها لمدة قرنين تقريبًا حتى سقطت على يد مملكة القراخطاي البوذية .

ولقد اعتنق التركستانيون الإسلام في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي), وذلك بعد اعتناق السلطان "ساتوق بوغراخان" الإسلام, وجعله الدين الرسمي للدولة, فاعتنق الأتراك الإسلام, وأخذت القبائل التركية تنظم حياتها بالشكل الذي ينسجم مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية, واهتموا بالعلوم الإسلامية, وازدهرت الحركة الثقافية والعلمية مما أدى إلى ظهور عدد من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء واللغويين والنحويين والأطباء والفلاسفة ممن ذاع صيتهم, وكان لهم تأثير على مستوى الحضارة الإنسانية, وما زالت آثارهم باقية حتى يومنا الحاضر, أمثال: البخاري, وابن سينا, والنسائي, والفارابي, والبيروني, والجوهري, ويوسف خاس حاجب, وأحمد أديب, ومحمود الكاشغري, وغيرهم من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أثروا في شتى مجالات العلم والمعرفة .

وغايتنا المنشودة في هذا البحث أن نلقي الضوء على الأدب التركي في القرن الخامس الهجري والذي يعد العصر الذهبي لهذا الأدب؛ حيث كُتبت أولى المؤلفات التركية الإسلامية, ولقد اتسم الأدب في تلك الفترة بالطابع الصوفي إلى الجانب التعليمي, ويتجلى الأدب التعليمي بوضوح في كتابي :

"عتبة الحقائق" لـ "أحمد يوكنكي", وكتاب "قوتادغوبيليك" لـ "يوسف خاس حاجب", لذا فقد قامت الباحثة بدراسة تحليلية لهذين الكتابين, وكذا اهتمت الباحثة بدراسة كتاب "ديوان لغات الترك" لمحمود

الكاشغري الذي حظي ولا زال يحظى باهتمام العديد من العلماء والباحثين, فقد دون محمود الكاشغري مؤلفه باللغة العربية لكي تتعرف الأمة العربية لغة الترك وأن يثبت ثراء اللغة التركية ومضاهاتها للغة العربية, وسوف تنهج الباحثة في هذه الرسالة المنهج النقدي التحليلي, فستقوم بدراسة تحليلية لأهم المؤلفات التركية في تلك الفترة.

وآثرنا اختيار موضوع الحياة الأدبية في تركستان الشرقية في القرن الحادي عشر الميلادي للأسباب الآتية :

- لأنه يلقي الضوء على حقبة تاريخية مهمة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).
- يلقي الضوء على الأدب التركي والأدب الشعبي لدى الترك قبل الإسلام وفي القرن الخامس الهجري .
- يعد كل من "عتبة الحقائق " لأحمد يوكنكي, و"قوتادغوبيليك" ليوسف خاص حاجب أهم الآثار الأدبية التعليمية، وهي بمنزلة دليل مرشد في الحياة الاجتماعية .
- يعد "ديوان لغات الترك" مصدرًا مهمًا في تاريخ دراسة اللهجات التركية حيث يلقي الضوء على علوم اللغة التركية في هذا العصر , ولأنه قدم العديد من المعلومات عن بلاد المسلمين في شرق التركستان في زمن القراخانيين، وذكر معلومات وافية عن أماكن القبائل التركية التي التقى بها محمود الكاشغري .

وستكون المراجع الرئيسة التي ستعتمد عليها الباحثة :

- كتاب "عتبة الحقائق" لـ "أحمد يوكنكي".
- كتاب "قوتادغوبيليك" لـ "يوسف خاص حاجب".
- كتاب "ديوان لغات الترك" لـ "محمود الكاشغري".

وقد تعرضت الباحثة لعدة صعوبات عند إعداد هذه الدراسة أهمها: إن الأشعار التي ورد ذكرها في "ديوان لغات الترك" كُتبت بلهجات تركية قديمة, ولم يذكر محمود الكاشغري بأية لهجة قد نُظمت تلك الأشعار، ولكن معلوم لدى الدارسين في مجال الدراسات التركية أن اللغة الأويغورية سادت المنطقة التي نشأ فيها محمود الكاشغري كان يسودها اللغة الأويغورية وانبثقت عنها لهجات القبائل الكثيرة التي عاشت في منطقة التركستان.

وبدأت الباحثة هذه الدراسة بمدخل تحدثت فيه عن التركستان الشرقية, ثم قسمت الدراسة إلى ثلاثة أبواب, على النحو التالي :

الباب الأول : نشأة الدولة القراخانية.

الباب الثاني : الأدب التركي في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

الباب الثالث : أوائل الأدباء الأتراك المسلمين في عهد القراخانيين.

ثم قسمت الباب الأول إلى ثلاثة فصول, والباب الثاني إلى فصلين, والباب الثالث إلى فصلين, وتتناول هذه الفصول الموضوعات المبينة بالتفصيل في فهرس الدراسة, وبعد ذلك تطرقت الباحثة في الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة / الأستاذة الدكتورة: بديعة محمد عبد العال، التي تفضلت بقبول الإشراف على هذا البحث, وعلى جهدها في مراجعته وإخراجه بهذا الشكل، وما قدمته من رعاية وتوجيه منذ بداية هذا العمل في هذه الدراسة وحتى نهايتها رغم أعبائها ومسؤولياتها، فلقد كان لأرائها السديدة الأثر الفعال في تكامل كل فصل من فصول الدراسة، وليس هذا بجديد على سيادتها فهي دائماً صاحبة الخلق الكريم, فلسيادتها كل التقدير والاحترام.

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذتي الفاضلة / الدكتور: ميادة أحمد محمد، على توجيهاتها ونصائحها المخلصة التي كان لها عظيم الأثر فيما وفقني الله في إتمامه.

وأقدم بكل العرفان والتقدير للأستاذ الدكتور / فؤاد أحمد كامل لقبول سيادته مناقشة بحثي المتواضع والذي سوف يُثري بملاحظاته القيمة هذا البحث, كما أقدم بكل التقدير والإمتنان إلى أستاذي الفاضل / الأستاذ الدكتور : إسلام محمد صالح على توجيهاته ونصائح ومساعدته لي، و لقبول سيادته مناقشة الرسالة فله مني وافر الشكر وعظيم الإمتنان.

وكذلك أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من أسهم بنصيب في مساعدتي لإتمام هذه الرسالة وإخراجها بهذا الشكل.

وأخيراً كل الشكر لأسرتي الحبيبة التي تحملت معي كل المشقة طوال أيام البحث.

والله ولي التوفيق

مدخل تركستان الشرقية

مدخل

تركستان الشرقية

تركستان الشرقية أرض إسلامية خالصة، أطلق عليها العرب عدة أسماء منها بلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون)¹, وبلاد الترك والتركستان², وينقسم الاسم الأخير إلى كلمتين "ترك" و"ستان" ومعناها أرض الترك, كما عرفها الجغرافيون القدماء بأنها اسم جامع لجميع بلاد الترك³.
وسماها الصينيون منطقة "سينكيانغ" أي المستعمرة الجديدة باللغة الصينية، وذلك لمحاولة تصنيفها ديموغرافيًا⁴, وتقدر مساحتها 1,710,045 كيلو مترًا مربعًا⁵.

• الموقع الجغرافي:

تقع تركستان الشرقية في شمال غرب الصين, وهي أكبر أقاليمها, ويحدها من الشرق الصين ومنغوليا ومن الغرب أوزبكستان, ومن الشمال سيبيريا وجمهورية قازاقستان وقيرغيزستان, ومن الجنوب كشمير والتبت, وتعبرها من الشرق إلى الغرب كتلة جبال تيان شان أو "الجال السماوية", وتنتشر عبر هذه الجبال العديد من السهول والأراضي المنخفضة الخصبة, ويصل ارتفاع هذه القمم إلى 5000 م تقريبًا, وإلى الجنوب من جبال تيان شان يمتد نهر تاريم وهو أهم الأنهار في هذه المنطقة⁶, وثمة صحاري واسعة

¹ يعد نهر جيحون الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أي إيران وتوران, فما كان من شماله أي وراءه من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر (انظر www.islam.online.net).

² زياد محمد هوش : القراخانيون في تركستان (تاريخ منسى وحضارة باقية), مراجعة فاديم غريغور يفتش كوشيفار, دار عمارة للنشر والتوزيع, عمان 2008م, ص11.

³ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان, دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت 1399هـ-1979م ص23.

⁴ الديموغرافيا : مصطلح يعني إحصائية لتعداد السكان وتوزيعهم حسب العمر والجنس ونوع العمل والصناعة والتوطن والانتماء السياسي والديانة وعدد المهاجرين وعدد الموتى وعدد المصابين بالمرض (انظر عامر العبود : علم الديموغرافيا,

2017 www.babonej.com).

⁵ عز الدين الورداني (دكتور): تركستان الشرقية والصين (صراع حضارتين), مركز الحضارة العربية, القاهرة, 2009م, ص31.

⁶ Ahsen Utku : Doğu Türkistan (ipek yolu'nun Mahzun ülkesi) istanbul, 2006, S,13.

شاسعة مثل صحراء "تكلامكان" المنطقة الجنوبية وصحراء "أوست يورت" وصحراء "قزىل قوم" وصحراء "آق قوم"⁷.



• السكان:

تتشكل التركيبة السكانية في التركستان الشرقية من أجناس مختلفة، فمنهم الأويغور الذين يمثلون أكثرية السكان فيها، وكذا القازاق والقيرغيز والأوزبك، وهم يتكلمون اللغة التركية بلهجاتها المختلفة⁸، وتأتي قومية الـ "هان"⁹ الصينية في المرتبة الثانية من حيث التعداد، ووفقاً للإحصائيات الصينية فإن تعداد السكان 9 مليون نسمة تقريباً، إلا أن هناك جهات مستقلة قدرت تعدادهم بحوالي 25 إلى 35 مليون نسمة¹⁰.

أما عن أصل الأتراك فيرجع إلى ترك بن يافث بن نوح عليه السلام، ويافث هو أول الترك، وقد رحل إلى الشرق هو وأبناؤه وأحفاده، وكان "ترك" ولي عهد والده "يافث" فسميت الأرض باسمه

⁷ عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2010م ، ص13.
⁸ ميادة أحمد محمد (دكتور) : مذكرات عيسى يوسف البتكين (من أجل تركستان الشرقية الأسيرة) رسالة دكتوراه ، الجزء الأول 1427هـ - 2006م ، ص17

⁹ الهان : هي إحدى القوميات التي يتكون منها الشعب الصيني وتمثل حوالي 92% منه ولقد بقيت قومية الهان هي القومية الغالبة في الصين رغم انتقال البلاد من الإمبراطورية إلى العهد الاشتراكي ، وأسس أسرة الهان زعيم عسكري مرتزق يدعى "جو- دزو" ، وكانت عاصمة أسرة "هان الشرقية" مدينة "لويانج" وهي مدينة "هونان فو" الحالية ، وقد دام حكمها من 206 ق.م إلى 24 ب.م ، أما أسرة "هان الشرقية" فقد حكمت من 24 إلى 221 ب.م ، وكانت عاصمتها مدينة "تشانجان" وهي مدينة "سيان فو" ولا يزال الصينيون إلى اليوم يسمون أنفسهم أبناء هان. (انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة الهند وجيرانها. الشرق الأقصى (الصين) ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران (دكتور) ، المجلد الثاني ، 2001م ، ص103)
¹⁰ عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا ، المصدر السابق ، ص10.

(تركستان), والتركستانيون هم أصل الترك, وتجمعهم بسائر الشعوب التركية وحدة الدم واللغة والعقيدة والمذهب, وكذلك العادات والتقاليد ووحدة الجنس والتاريخ¹¹.

• اللغة :

يتحدث أهل تركستان الشرقية اللغة الأويغورية¹², ولكن الآن ألغي التعليم باللغة الأويغورية, وحلت اللغة الصينية محلها, وتلك إحدى المحاولات لطمس هوية الشعب الأويغوري المسلم¹³; واللغة الأويغورية لها أثرها في تاريخ الأويغور السياسي والاجتماعي والحضاري والأدبي, وأصبحت لغة حية للشعوب التركية التي تسكن في حوض نهر تاريم¹⁴, ويقول شمس الدين سامي في كتابه (قاموس الأعلام): (الأويغور القدماء شعب متقدم جدًا في مجال الحضارة, وأصبحت لغتهم لغة أدبية بين الشعوب التركية, و"اللغة الأويغورية" إبان حكم الحاكم "چغتاي" اشتهرت باسم "اللغة الجغتائية", وتعد اللغة الجغتائية في حقيقتها اللغة الأويغورية, ففي الفترة التي تقلد "چغتاي خان" الحكم في آسيا الوسطى استعمل اللغة الأويغورية في المكاتبات الرسمية, لذا سميت اللغة الأويغورية في ذلك الوقت "لغة چغتائية" نسبة إلى الحاكم "چغتاي", والفرق بين الجغتائية والأويغورية المعاصرة أن الجغتائية مجردة من الحركات العربية, أما الأويغورية المعاصرة تستخدم الحروف العربية وتتشكل من اثنين وثلاثين حرفًا)¹⁵.

¹¹ عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا , مصدر سابق , ص10.

¹² اللغة الأويغورية : فرع من مجموعة اللغات التي تعرف بـ "آلتاي – أورال" , وهي تشكل الأصل التي تفرعت منه اللغة التركية , وكانت لغة أدبية موحدة بين الشعوب التركية التي تعيش في منطقة وسط آسيا , اللغة الأويغورية وسيلة التفاهم التي تربط القبائل الأويغورية في الدولة الأديغوتية والقراخانية (عبد الرحمن الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية (مع نماذج الأدب الإسلامي الأويغوري القديم والحديث) تقديم محمد عبد اللطيف هريدي (أستاذ دكتور), وماجدة مخلوف (أستاذ دكتور), القاهرة 2010م, ص11.

¹³ عبد الرحمن الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية , المصدر السابق , ص11

¹⁴ حسين مجيب المصري (دكتور) : تاريخ الأدب التركي , القاهرة , 1951م , ص12.

¹⁵ نابولجيليل توران: ئويغورچه ئوقوشلوق (تل , ئه ده بيات و ئه بارىخ), ته كلما كان ئو يغورنه شريباتى , 2010 م , ص42.

• الدين :

يعتقد أهل تركستان الشرقية الدين الإسلامي, وقبل دخول الإسلام كان السكان من الأصل التركي يعتقدون الشامانية وهي ديانة بدائية من أديان شمالي آسيا, وتتميز بالاعتقاد بوجود عالم محبوب هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف, وهذا العالم لا يستجيب إلا للشامان وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرض والكشف عن المخبأ والسيطرة على الأحداث, والشامان هم سحرة يقولون إن لديهم قوة تتغلب على النيران, ويستطيعون إنجاز الأمور عن طريق جلسات لتحضير الأرواح, وكذا اعتنق أهل تركستان الشرقية البوذية تلك الديانة التي تنسب إلى "غاوتما بوذا", والتي تم أسست عن طرق التعاليم التي تركها بوذا, ونشأت البوذية في شمال الهند وتدرجياً انتشرت في أنحاء آسيا, وتتمحور العقيدة البوذية حول ثلاثة أمور (الجواهر الثلاث) أولهما: الإيمان ببوذا بوصفه معلماً مستنيراً للعقيدة البوذية, ثانيها: الإيمان بـ (دراما) وهي تعاليم بوذا, وتسمى هذه التعاليم بالحقيقة وثالثها: المجتمع البوذي, وتعني كلمة بوذا باللغة الهندية القديمة "الرجل المتيقظ", وتترجم أيضاً بـ "المستنير", واللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية (بوذا) هو "بودا" بالذال وليس بالذال, وكذا اعتنق التركستانيون الشرقيون المانوية وهي عقيدة دينية ظهرت في فارس في القرن الثالث الميلادي وتنسب إلى ماني (216-267) الذي ظهر في زمان شابور ابن أردشير, وقيل إن الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره, وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم, وقد حاول إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية وكذلك البوذية والزرادشتية, ولذلك فهو يعد كلاً من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافاً له, وقد كتب ماني عدة كتب من بينها إنجيله الذي أراده أن يكون نظيراً لإنجيل عيسى (عليه السلام)¹⁶.

هذا عن الديانات التي اعتنقها التركستان قبل الإسلام وبعد إسلامهم ظلت تركستان دولة إسلامية حوالي 9 قرون واستمرت حضارتها الإسلامية حوالي ألف سنة¹⁷.

¹⁶ نابدولجيليل توران : نويغورچه ئوقوشلوق (تيل , نه ده بيبات وده باربخ) , مصدر سابق , ص42.

¹⁷ نابدولجيليل توران : المصدر السابق , ص42.

قام أبناء تركستان بنشر الدين الإسلامي في بلاد إخوانهم المغول الذين يسكنون هضاب "مغولستان" و"منغوليا", وكذلك رفعوا لواء الإسلام عند إخوانهم من أتراك "البلغار" وسواحل نهر "فولجا", وكذا ذهبوا إلى المدن الصينية المجاورة لتركستان الشرقية, ونشروا الدعوة الإسلامية فيها فأسلم عدد كبير من الصينيين, ولكن بذل الحكم الصيني الشيوعي ما في وسعه من جهود للتهجير الصيني البوذي المكثف إلى تركستان الشرقية للإقلال من نسبة المسلمين في تركستان الشرقية, وتعرضها كل يوم لتطهير عرقي, وتسعى الصين لصهر تركستان الشرقية في بوتقة الصين وتصيينها والقضاء على هويتها, حيث استولى الصينيون للمرة الأولى على تركستان الشرقية في عام 165هـ - 744م¹⁸.

واستمر احتلالهم لها سبع سنين حتى عام 172هـ - 751م, وكان ذلك بقيادة كلوسين جي (Kao Sien – Tche) الصيني ثم هزمه الترك والعرب الفاتحون¹⁹, فحافظت تركستان الشرقية على استقلالها بعد ذلك أكثر من ألف عام من هذا التاريخ أي من عام 172هـ - 751م حتى عام 1172هـ - 1751م²⁰, ولكن في عام 1759 نجحت العائلة الحاكمة الصينية (المانشو)²¹ في احتلال إقليم كاشغر ثم استرده الأتراك فقد نشبت نار الثورة عام 1765م وكان زعيم الثورة "رحمة الله آخون" المجاهد الوطني العظيم, فأرسل القائد الصيني جيشًا لقمع الثورة فأجابهم المسلمون بحرب أبادتهم جميعًا, فأرسل القائد الصيني جنودًا لا عدد لها من الشرق والغرب, ولكن المسلمين ناضلوا من أجل مدينتهم, ولكن بعد ثلاثة أشهر من حرب مستمرة انتصر الصينيون ودخلوا المدينة, وعام 1828م التقى القائد

¹⁸ نابولجيليل توران : ئويغورچە ئوقوشلوق (تسل , ئە دە بىيات ۋە بارىخ) , مصدر سابق , ص42.

¹⁹ Ekber N. Necef : Karahanlılar, Selenge, yayınları, istanbul, 2005, S. 129.

²⁰ محمد قاسم أمين : تركستان الشرقية في عهد ملوك الطوائف وفي الوقت الحاضر , دار تكلمان الأويغورى للنشر والتوزيع , استانبول , الطبعة الأولى , 2000م , ص4.

²¹ المانشو : يطلق عليهم أيضًا المانجور , وقد حكموا الصين في الفترة (1644 – 1911) وتسمى أيضًا أسرة تشينغ , عاش شعب المانشو قرونًا كثيرة في البلاد التي تعرف الآن باسم منشوكو (أي مملكة المانشو) , ولقد امتدوا في أول الأمر نحو الشمال حتى وصلوا إلى نهر عامور , ثم اتجهوا نحو الجنوب وهجموا على عاصمة الصينين. وجمع آخر أباطرة المنج أسرته حوله وشرب نخبه وأمر زوجته أن تتنحر ثم شنق نفسه بمنطقته , ودفنه المانشو وأسسوا أسرة الشنغ التي حكمت الصين حتى عهدنا الحاضر وسرعان ما أصبحوا هم أيضًا صينيين (انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة الهند وجيرانها. الشرق الأقصى (الصين) المصدر السابق ص299).

"جهانكير خان" بالصينيين في عدة معارك حتى شنت جيوشهم وتقلد زمام الحكم، إلا أن الصينيين عادوا لإثارة الحروب مرة أخرى بعد سنتين من حكمه، وفي إحدى المعارك عمد الصينيون إلى الحيلة والاعتقال، فتربصوا بالملك القائد وهو في عزلة من حرسه، ووثبوا عليه وهو نائم وحملوه إلى الصين، وهناك قطعوا لسانه وأحضره إلى الإمبراطور فأمر بذبحه بعد أن قطعوا لسانه، وبعد انقضاء عامين على استشهاد هذا الملك، أقبل شقيق القائد الذبيح "يوسف خان تورم" يعاونه القائد العظيم "حق قولى يكباشى" من جهة فرغانة وانضم إليه جيش كبير من البلاد حتى وصلوا إلى كاشغر واستردوا بعض البلدان، ولكن الإمدادات التي وصلت إلى الجيش الصيني أوقفت هذه الانتصارات، ثم أقبل إلى البلاد الأمير محمد أمين خان بن الأمير يوسف خان مع سبعة من كبار الأمراء ووجهوا ضربة قاضية إلى الصين، وتبوأ الأمير عرش تركستان من جديد عام 1846، وأخذ يطارد الصينيين في كل مكان حتى حاصره في "ينكيحصار" ثم قامت من جديد حركات الجيوش الصينية وتغلّبت عليهم، فقد دخلت كاشغر وصنعت الكثير من الحوادث المروعة²².

ثم جاء "محمد أمين خان" إلى كاشغر وافتتحها كما افتتح ما حولها من المدن بعد صراع عنيف وتحول إلى (ينكيحصار) وحاصر الجيش الصيني بها مدة طويلة حتى وصلهم الإمداد في خمسين ألفاً من الصين، ووقفت الحرب وتكررت المأساة وعاد أمين خان إلى فرغانة أخيراً، ثم نجحت العائلة الصينية في احتلال إقليم كاشغر مرة أخرى بمساعدة البريطانيين في عام 1876، وأراد الصينيون أن يختبروا طالعهم مرة أخرى فأرسلوا جيشاً عظيماً إلى تركستان الشرقية عام 1293 هـ وحاصروا مدينة أورومچی ستة أشهر، ثم احتلوها واستمرت الحرب بين الطرفين أكثر من سنتين، وقد مات يعقوب خان حاكم تركستان الشرقية في أول أيام الحرب عام 1877م، فأعلن "حكيم خان" نفسه ملكاً على التركستان، ووقع خلاف بين أمراء البيت المالك في من يخلف "يعقوب خان"²³، فاستفاد الصينيون من هذه الحروب واحتلوا المدن

²² عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا (مصدر سابق) ، ص 104 ، 105 ، 107.

²³ Ahsen Utku : Doğu Türkistan (ipek yolu'nun Mahzun ülkesi) istanbul, 2006, S,33.

الشمالية ثم المدن الجنوبية, وبذلك استولى الصينيون على تركستان الشرقية, واستولت الروس على تركستان الغربية, ثم قدم الروس إمارة إيلي إلى حليفهم الصين عام 1881م وبذلك استولت الصين على تركستان الشرقية بأسرها²⁴.

استمرت سيطرة "المانشو" على تركستان الشرقية حتى عام 1911م ذلك العام الذي انهارت فيه إمبراطورية "المانشو" في الصين, وفي عام 1911م أسست حكومة صينية قوية على أنقاض سلالة "المانشو" البائدة في الصين²⁵, وأسس الصينيون بعد احتلالهم لتركستان الشرقية مدناً جديدة بهدف ضمان أمنهم, فأسسوا مدينة جديدة في "يني شهر" محاطة بأسوار يطلق عليها (سبيل), واستطاع الصينيون بعد احتلالهم تركستان الشرقية للمرة الثانية إخماد الثورات الوطنية بسهولة فقد هدموا هذه الأسوار لكي ينسى أترك تركستان الشرقية ثورات الاستقلال, وقاموا كذلك بهدم القصور الحكومية المنشأة على الطراز المعماري التركي, وقاموا بإنشاء قصور حكومية على الطراز المعماري الصيني في ناحية "يني شهر" إلى أن غادرت تركستان الشرقية عام 1926م²⁶.

وبعد الحرب اليابانية – الصينية في منتصف القرن العشرين, نشأت جمهورية تركستان الشرقية بوصفها جمهورية إسلامية في شمال الصين, ولكن لم تستمر طويلاً, فقد قسم الحاكم الصيني المنطقة التي يحكمها "شاكر بك" إلى وحدات إدارية, فبدأ التذمر, وقامت ثورة عارمة في ولاية (قومول)²⁷ إزاء هذا الحكم بقيادة (نياز حاجي) و(صالح دوغرا), ولم تستطع القوات الصينية إخمادها فاستعانوا بقوات من روسيا, ولكنها لم تجد فائدة مع بركان الغضب المسلم, فانتصر المسلمون عليهم واستولوا على مدينة "شانشان" وسيطروا على "تورفان" واستولوا على "أورومچي" وطردها الحاكم العام, وتسلم قادة

²⁴ Ahsen Utku : A.G.E,S.33

²⁵ بولات تورفاني : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني) , ترجمة : إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور) , تقديم : ماجدة مخلوف (دكتور) , عز الدين الورداني (دكتور) , الطبعة الأولى 1431 هـ - 2010م , ص42.

²⁶ ميادة أحمد محمد (دكتور) : مذكرات عيسى يوسف البتكين , مصدر سابق , ص2.

²⁷ قومول : مدينة في شرق تركستان (انظر : www.Islam.online.net)

المسلمين السلطة في الولاية ووزعوا المناصب والمراكز على أنفسهم, فأقرت الحكومة الصينية لقادة الحركة بالمراكز التي تسلموها, واندلعت الثورة في منطقة تركستان الشرقية بأسرها واستولوا أيضًا على كاشغر, وكان فيها "ثابت داملا" فوجدها فرصة وأعلن قيام حكومة "كاشغر الإسلامية", أما "خوجا نياز" فقد جاء إلى الثائرين في كاشغر ليفاوضهم وينهي ثورتهم, إلا أنه اقتنع بعدالتها فانضم إليهم, وأعلن قيام حكومة جديدة باسم الجمهورية الإسلامية "تركستان الشرقية" في (21 رجب 1352 هـ - 12 نوفمبر 1933م)²⁸.

تحررت كل أجزاء تركستان الشرقية من احتلال الصين, ما عدا العاصمة (أورومچی), وأرغمت روسيا على دخول تركستان الشرقية عن طريق (منغوليا) مستفيدة من ثورة (قومول), وعقد الحاكم الصيني "جين شورين" معاهدة مع الروس, واحتشدت القوات على أبواب (أورومچی), وفي هذه الأثناء هرب "جين شورين" خفية إلى الصين عن طريق روسيا, ولهذا أعلن "شينغ شيه ساي" وهو قائد الوحدات العسكرية الصينية نفسه حاكمًا وقائدًا للجيش, وانضم المحارب الصيني المسلم "ماجونغ بن" إلى قوات الثورة عندما أوشكت حركة الاستقلال على الانتهاء, واتفق مع "خوجه نياز" قائد قوات الثورة في جبال (مورى) على فتح (أورومچی)²⁹.

واستفاد الروس من وضع "شينغ شيه ساي" اليائس المحبط فأرسلوا الطائرات والوحدات العسكرية إلى الجيش الأحمر في تركستان الشرقية لإخماد ثورة العصيان القومية, وعندما دب الخلاف بين "خوجه نياز" والقائد "ماجونغ بن" اقترح الروس عقد هدنة مع "شينغ شيه ساي", وعندما شعر "خوجه نياز"

²⁸ نابدولجيليل توران : ئويغوجە ئوقۇشلوق (تبل , ئە دە بىيات ۋە بارىخ) , مصدر سابق , ص44.
²⁹ بولات تورفانى : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصينى), ترجمة: إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور) مصدر سابق, ص42, 43.

بالخطر من الحرب عقد اتفاقية مع "شينغ شيه ساي" في عام 1933م, وأصبح القسم الجنوبي لجبال (طائري) تحت قيادة (السيد نياز), أما القسم الشمالي فقد أصبح تحت قيادة "شينغ شيه ساي".³⁰

وفي عام 1934م اقترح "آفسروف" قنصل روسيا السوفيتية في (أورومجي) خلال مقابلته مع "خوجه نياز" إلغاء حكومة جمهورية تركستان الشرقية, فاضطر "خوجه نياز" إلى قبول مُقترح القنصل, ومزقت الروس جمهورية تركستان الشرقية, وقامت بإعداد جميع أعضاء الحكومة مع عشرة آلاف مسلم, واشتعلت ثورة أخرى بقيادة عالم الدين "علي خان" في عام (1364هـ-1944م)³¹ عُرفت بثورة الولايات الثلاث وهي (إيلي وآلتاي وتاربغتاي), وتمكنت من سحق القوات الصينية وإعلان قيام جمهورية تركستان الشرقية عام 1944م برئاسة الشيخ "علي خان", فتآمرت الصين مع الروس للقضاء على تلك الجمهورية فأجبروا الثوار على الدخول في مفاوضات مع الصين ومنحت تركستان الشرقية فيها حكمًا ذاتيًا وتشكلت بها عدة حكومات مثل حكومة "د/ مسعود صبرى"³² الذي أصبح رئيسًا للحكومة, و"عيسى يوسف البتكين" رئيسًا للوزراء وحكومة "برهان شهيدي" ويساعده "محمد أمين بوغرا".³³

استطاع المسلمون في تركستان الشرقية أن ينظموا أنفسهم أثناء الحرب العالمية الثانية , فأنشأوا مطبعة وعدداً من المدارس , وبعد انتهاء هذه الحرب اجتاحت القوات الصينية الشيوعية هذه المنطقة سنة (1368هـ-1948م) بعد قتال عنيف متواصل مع المسلمين , وفي عام 1949م قام الزعيم الصيني "ماتوسى تونج" بفرض سيطرته على المنطقة كلها , وإن كان قد أعطى الإقليم صفة إقليم متمتع بالحكم

³⁰ بولات تورفاني : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني), ترجمة : إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور), المصدر السابق, ص44.

³¹ ميادة أحمد محمد (دكتور) : مذكرات عيسى يوسف البتكين , مصدر سابق , ص613.

³² مسعود صبرى بايقوزى (دكتور) طبيب ولد في مدينة غولجا , مناضل من أجل استقلال تركستان الشرقية , واشترك في ثورة 1931, وتولى رئاسة حكومة مقاطعة تركستان الشرقية في فترة 1947-1984 , مات عام 1952 بعد أن سجن وعذب على يد السلطة الشيوعية الصينية (انظر : بولات تورفاني : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني) ترجمة : إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور) المصدر السابق, ص13.

³³ بولات تورفاني : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني), المصدر السابق, ص9.

الذاتي³⁴ ثقافيًا ودينيًا ولغويًا، إلا أنه من الناحية التطبيقية حدث العكس تمامًا، وقامت الحكومة الصينية بضرب الإقليم بيد من حديد وسيطر أتباع "هان" على الوظائف الرئيسية كافة والنشاط السياسي للإقليم الذي ضمته الصين، ونتيجة هذه السياسة الحكومية، ارتفعت نسبة الهان من 7% إلى أكثر من 40% حسب إحصاءات رسمية، وصار أتباع هان هم المسيطرون على غالبية المصانع والشركات ولا يقبلون عمالة بها من غيرهم، وقاموا بتسريح عدد كبير من العمال ونادرًا ما تقوم الصين بتوظيف خريجي الجامعات مما أدى إلى امتهانهم أعمالًا متدنية، مثل: الخدمة في المنازل، وغيرها، وأصبح الأويغور مواطنين من الدرجة الثانية، وفي الوقت الحاضر يتهم السكان الأويغور الحكومة المركزية بأنها تساعد عرق الهان على الاستحواذ على ثروات الإقليم في الوقت الذي يعيش فيه سكان الأويغور في فقر ومسكنة رغم ثرواتهم الطبيعية، كما أنها تتهم الحكومة الصينية بتولي المناصب العليا والقيادية في حين يجبر الفلاحون الأويغور على بيع محصولهم من القطن بأسعار زهيدة لمصانع النسيج، وكذا تتهمها بأنها قامت بترحيل 240 ألفًا من مسلمات الأويغور عنوة إلى المصانع في شرق الصين للعمل بالسخرة، وإجبارهن على الزواج من غير المسلمين، ولقد قامت بإجراء التجارب النووية في تركستان الشرقية، مما أدى إلى كثرة الإصابة بالسرطان وتشوه المواليد وتلوث التربة والهواء، كما أنها تروج المخدرات والكحول، فيوزع الخمر مجانًا على الأيغور المسلمين في مدينة (قرا ماي) وفي مدينة "إيلي"، وعندما حاول الطلاب المسلمون توعية الشباب بمخاطر الكحول وضرره على الإنسان قامت السلطات الصينية بقمع حملتهم بالقوة، فنتج عنها مقتل مائتي طالب مسلم عام 1997م، وكذا تمنع الصين سفر الأويغور إلى الخارج خوفًا من انضمامهم إلى الجماعات والمنظمات التي تكافح ضد الاحتلال الصيني وتسعى إلى الاستقلال، وهذه الجماعات تزداد قوة يومًا بعد يوم، وقامت تلك الجماعات بالكفاح من عام 1949م بقيادة القائدين "محمد أمين بوغرا" و"عيسى يوسف البتكين".³⁵

³⁴ نابدولجيليل توران : نويغورچه ئوقوشلوق (تتل ، ئە دە بىيات ۋە بارىخ)، مصدر سابق ص42.

³⁵ نابدولجيليل توران : نويغورچه ئوقوشلوق (تتل ، ئە دە بىيات ۋە بارىخ)، مصدر سابق ص42.

ولقد منعت الصين الدعم السياسي الذي كان يحظى به اللاجئين التركستانيون في الاتحاد السوفيتي إبان الحكم الشيوعي حيث وقعت اتفاقية إقليمية عُرفت باسم يجتماع "شنجهاي الخماسي" مع دول الجوار قازقستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وروسيا الاتحادية في 26 إبريل 1996م, وبعد أن وقعتها أوزبكستان في 15 يونيو 2001م سُميت بمنظمة تعاون شنجهاي, حيث أعلنت عن تأسيس مركز لمقاومة الإرهاب في "بشكيك" عاصمة "قيرغيزستان", وهكذا نجحت الصين في فرض إملاءاتها السياسية الخاصة في تركستان الشرقية لتمارس بحرية إجراءات القمع والتنكيل ضد المسلمين التركستانيين, ولكن الشعب التركي في تركستان الشرقية لا يكف عن الثورة والمطالبة بالاستقلال, ولا يزال يحافظ على هويته الإسلامية, ويقاوم هذا الغزو في انتفاضات عديدة من أجل مقاومة الظلم الصيني إلى أن يصل إلى الاستقلال.³⁶

³⁶ نابذولجيليل تۇران : ئۇيغورچە ئوقۇشلوق (تئل , ئە دە بىيات ۋە بارىخ) , مصدر سابق ص42.

الفصل الأول

نشأة الدولة القراخانية

ظهرت الدولة القراخانية بعد إمبراطورية "گوك ترك", فبعد انقسام إمبراطورية "الگوك ترك" إلى قسمين ظهرت في تركستان الشرقية دولة (گوك ترك) الغربية وكانت عاصمتها (آق داغ), وامتد حكمها حتى عام 658م, وفي الفترة فيما بين 658م حتى 952م ظهرت دولتا (توركش) و(الكارلوق) وهما من القبائل التي يرجع أصلها إلى (الگوك ترك), وفي عام 880م ظهرت الدولة القراخانية.³⁷

استطاع القراخانيون أن يؤسسوا دولة قوية في ظل الخلافة العباسية, واستمر حكمهم لمدة قرنين تقريباً, وعلى الرغم من ذلك فلم تذكر مصادر التاريخ إلا القليل النادر عن تأسيس هذه الدولة ولم تحظ بعناية المؤرخين القدماء والمعاصرين كما حظيت الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية.³⁸

• نسبهم :

تطلق المصادر العربية والفارسية على دولة القراخانيين الدولة الخاقانية أو القراخانية أو الخانية أو "آل آفراسياب" وأولاد "الخانية" وأولاد "آلب ارتونغا"³⁹, ويطلق عليها محمود الكاشغري "الدولة الخاقانية" وذكرها المؤرخ التركي الدكتور "رضا نور" بالدولة الأويغورية⁴⁰, وسماها الأوربيون بالدولة "الإيليخانية" استناداً إلى المسكوكات التي سكّت في تلك الفترة.⁴¹

³⁷ بولات تورفاني: تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني, ترجمة: إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور), مصدر سابق, ص21, ص22.

³⁸ زياد محمد هوش : القراخانيون في تركستان (تاريخ منسيّ وحضارة باقية) , مصدر سابق , ص9

³⁹ Doç.Dr. Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, Ankara, 1992, S.80.

⁴⁰ الدولة الأويغورية (740م – 1260م) (127هـ - 959هـ) : عاش الأيغور في البداية في قسمين على ضفاف نهر أورخون, وتعني كلمة الأويغور الارتباط والتعاون , الأويغور أكثر الأقوام التركية تمرناً غير أنه لم تقم لهم دولة لمدة طويلة , فقد كانوا يرجعون في أمورهم لأقوى زعيم من رؤساء طوائفهم ويسمى (إيدى قوت), ويدينون بالبوذية والمانوية والمسيحية , واستطاع الأويغور في عام 745م تأسيس دولة لهم استمرت قائمة حتى عام 840م إلى أن انهارت على يد قبائل القيرغيز , مما اضطر الأويغور إلى الهجرة للمنطقة التي تولى تركستان الشرقية اليوم , والتي سبق لقبائل أخرى من الأتراك الاستقرار فيها من قبلهم.

(انظر : عز الدين أحمد الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين "صراع حضارتين" ص33

⁴¹ عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا , مصدر سابق , ص46.

ويذكرها "يوسف خاص حاجب" بدولة الخاقانيين, وثمة التباسات في كتب التواريخ القديمة والحديثة حول تسمية دولة الخاقانيين, فتسرد كتاباتهم بدولة القراخانيين مكان الخاقانيين الأتراك القديمة في آسيا الوسطى.⁴²

وأطلق عليها العالم الروسي جريجوريف (Grigorev) اسم الدولة القراخانية عندما كتب عنها مقالة في عام 1874م وبعدها انتشر هذا الاسم.⁴³

ويتكون اسم الدولة القراخانية من كلمتين تركيتين "قرا", و "خان", واستخدم الكثير من أفراد هذه الأسرة كلمة "قرا" رديفًا لأسمائهم⁴⁴ والتي تعني أسود أو شديد القسوة وهو إشارة إلى النبل, ولها معانٍ أخرى مثل الجهاد والعظيم والأعلى والشعب, أما كلمة "خان" فهو لقب تركي يُعطى إلى حاكم الدولة وعلى هذا يكون كلمة "قراخان" معناها الحاكم العظيم أو الأعلى أو حاكم الشعب⁴⁵, وتنسب الدولة القراخانية إلى أشهر حكامها "قراخان".⁴⁶

ويرى المؤرخ (أنور بايتور) أن لفظ قراخان : وُضع للقراخان (759م – 774م) الذي أسس لخانية الأورخون الأويغورية وجعلها تزدهر, ومن المحتمل أن استخدام هذا اللفظ كان ملائمًا لمن يرون بأن خانية الأويغور الجديدة امتدادًا لخانية الأورخون الأويغورية.⁴⁷

وتجتمع كلمة المؤرخين في أغلب الكتب التاريخية على أن دولة قراخان التركية تعرف بدولة "إيلك", ولكن "محمد أمين بوغرا" ذكر في كتابه: "تاريخ تركستان الشرقية" أن هناك خطأ في هذه التسمية حيث يقول "البیهقي" في ص144 إن "إيلك خان" هو الحاكم لبعض مناطق ما وراء النهر وتوفي

⁴² يوسف خاص حاجب : قوتاتقوبيليك (العمل المبارك) , ترجمة محمد قاسم أمين , مكة المكرمة , 142 هـ , ص7.

⁴³ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.135.

⁴⁴ Ekber N. Necef : A.G.E,S.135.

⁴⁵ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور): الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر, الطبعة الأولى, القاهرة, 1421 هـ - 2000م , ص80.

⁴⁶ Ekber N. Necef : A.G.E,S.136.

⁴⁷ Ekber N. Necef : A.G.E,S.136.

عام 403 هـ الموافق 1012م, وورد في كتاب عتبي ص291: إن "إيلك خان" عاش حتى عام 407 هـ , ويقول "موسيا ساجو" في كتابه تاريخ خوارزم: كانت كلمة إيلك خان لقب شخصية تتولى حكم منطقة سمرقند وبخارى من قبل خاقان تركستان, والبعض يطلق اسم "إيلك خان" على "على تكين خان", ولكنه لم يكن خاقاناً كما يظنه البعض, وإنما من الذين تولوا بخارى في زمانه, وتقول الكتب التاريخية الإسلامية: إن كلمة "إيلك خان" اسم لأحد ملوك الترك في ظنهم, "ولكن الكتاب التاريخيين في الإسلام لا يعرفون ولا يميزون ما هو قراخان وما هو إيلك خان, ولهذا لا يؤخذ في الحساب ما كتبوه".⁴⁸

أما عن "إيلك خان" فمعناه "الحاكم الإقطاعي" أو "حاكم منطقة" وهذا اللقب أقل من "قراخان", وربما كان يلقب به حكام الأقاليم في الدولة القراخانية⁴⁹, ويؤيد "بارتولد" رأي "محمد أمين بوغرا", فيرى "بارتولد" أن كلمة (إيلك) لم تكن تطلق على كل خانات تلك الأسرة.⁵⁰

راج في القرنين العاشر والحادي عشر لقب "أرسلان" بين الأويغور, وهذا اللقب أطلق على خاقانات الأويغور كلهم, وقد سمي القراخانيين كذلك بـ "أرسلان إيلك", أما إذا انتقلنا إلى اسم "آل آفراسياب" فكان بسبب تأثر القراخانيين بالملاحم الإيرانية أثناء تبعيتهم إلى الدولة السامانية⁵¹ الفارسية, فنسبوا أنفسهم إلى البطل "توران" الأسطوري الذي ذكر في "الشاهنامه" باسم "آفراسياب"⁵² ذلك البطل التركي الأسطوري الذي قام بأعمال وبطولات عظيمة في تركستان الشرقية, وكانت عاصمته هي كاشغر حسبما ورد في الملحمة وهي المدينة التي بدأ منها القراخانيون.⁵³

⁴⁸ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , ترجمة محمد قاسم أمين , مكة المكرمة , 1429 هـ, ص277, ص279.

⁴⁹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص8.

⁵⁰ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى , ترجمة أحمد السعيد سليمان (دكتور), بدون سنة طبع , ص72.

⁵¹ ينتسب السامانيون إلى إحدى الأسر الفارسية العريقة وكانت تدين بالديانة المجوسية ثم أسلم جدهم سامان خداه في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك , وانضم إلى صفوف الدعوة العباسية , ولقد واجه السامانيون غارات الأتراك الوثنيين على مناطق الحدود فيما وراء النهر وحرصوا على التمسك بطاعة الخليفة العباسي , ولما ضعف السامانيون تقاسم الغزنويون والقراخانيون أملاكهم. (انظر زياد محمد هوش : القراخانيون في تركستان "تاريخ منسي وحضارة باقية" , مصدر سابق , ص27).

⁵² هاجي نور هاجي : قه د مكي ئويغورلار ۋه قاراخانيلار , شينجاك خه لق شريياتي 2001م , ص225.

⁵³ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , المصدر السابق , ص80.

• القبائل القراخانية :

يحيط الغموض بأصل القراخانيين حتى بعد اكتشاف "ديوان لغات الترك" لمحمود الكاشغري, فقد اهتم "الكاشغري" بحاضرهم أكثر من اهتمامه بماضيهم⁵⁴, فتعددت الآراء حول نشأتهم, وذكرت بعض المصادر أن هذه الدولة تنتمي إلى إحدى القبائل الآتية :

- ياغما.
- القارلوق.
- چيگيل.
- توخسى.
- التركمان.
- سوغدى.
- تركش.
- توكيو – گوك تورك.

اتحدت هذه القبائل مع الأويغور حتى فقدت أسماءها.⁵⁵

يذكر محمود الكاشغري الأقوام التي يمكن أن نفرض انتماء أسرة القراخانيين إلى إحداها, ولكنه لا يبين أيها كان أقرب لهذه الأسرة⁵⁶, ولا يشير إلى أن القراخانيين ينتمون إلى "ياغما", فهو لا يذكر "ياغما" إلا بوصفهم قومًا كانوا يعيشون في أيامه شمالاً في وادي نهر إيلي, ويقول إن شعبي (توخسى) و(چيگيل) وشعوباً أخرى كانت تعيش كذلك في وادي نهر (إيلي)⁵⁷, وفي عهد ملكشاه السلجوقي كان اسم "چيگيل"

⁵⁴ زياد محمد هوش : القارخانيون في تركستان "تاريخ منسي وحضارة باقية" مصدر سابق , ص 14.

⁵⁵ Doç.Dr .Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri, A.G.E,S.80.

⁵⁶ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص75.

⁵⁷ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.150.

يطلق وفق بعض الروايات على جيش القراخانيين إبان غزو هذا السلطان لبلاد ما وراء النهر، ويرى الكاشغري أن "الغز"⁵⁸ كانوا يطلقون كلمة چيگيل على أقوام الترك المنتشرة من نهر جيحون إلى الصين والذين نزلوا إلى الشمال من بحيرة (ايسكى كول)⁵⁹، ولكن لا نجد لدى "محمود الكاشغري" ما يثبت أن القارخانيين ينتمون إلى الأتراك الجيگيل.

ويوضح الكاشغري أهمية كلمة (جيگيل) بالنسبة إلى الغز بأن مدينة (جيگيل) المجاورة لمدينة (أوليا أتا) الحالية والتي يسكنها فرع من فروع چيگيل لها حدود مشتركة مع الغز، وبأن هؤلاء الغز قد وقفوا مبكرًا على أسباب الحضارة بسبب وقوع هذه المدينة إلى أقصى الغرب من المدن التركية، وقد اشتهرت هذه المدينة في عهد المغول؛ لأنها كانت عاصمة لجغتاي بن جنكيز خان (1187 – 1241م) ولبعض خلفائه.⁶⁰

ويرى "محمد فؤاد كوبريلي" أن القراخانيين خليط من چيگيل وياغما⁶¹، ويذكر "بارتولد" ومينورسكي (V.Minorsky) أن الأقرب إلى الصواب أنهم ينتمون إلى قبيلة ياغما.⁶²

والياغما هم أحد القبائل التي تعرف بلفظ "تلار" أو "تولس"، وأصلهم يمتد إلى عصر الهون، ولفظ ياغما اسم لقرية من طراز⁶³، وأصبح هذا الاسم اسمًا لأحد القبائل التركية، وقبيلة ياغما كانت موجودة في

⁵⁸ الغز : أو الأوغوز من الفروع الرئيسة للأقوام التركية ويعدون أجداد الأتراك، أسس الأويغور عددًا من الممالك والإمبراطوريات المشهورة كالسلاجقة والعثمانيين والصفويين، ووصل رادولف إلى أن الأتراك الذين دامت دولتهم من القرن السادس إلى القرن الثامن كانوا ينتسبون إلى الأتراك الغز، وقد كان (الغز) أو (الترك) ينقسمون قبائل عدة، ففي الشرق يوجد (تولوس) و(طاردوش)، وفي الغرب يوجد (توركشن)، وكلمة الأويغور مشتقة من كلمة السهم وقد استخدم السلاجقة هذا الرمز حيث كانت رايتهم تحمل صورة قوس وسهم، وتعتبر منطقة الأوال والألطا في آسيا الوسطى بمثابة الوطن الأم للأوغوز، ولقد سمى العرب سكان تركستان الشرقية باسم (توقوز أوغوز)، وسموا الأويغوريين كذلك بعد هجرتهم إليها بهذا الاسم (انظر: عبد العزيز جنكيزخان: تركستان (قلب آسيا)، مصدر سابق، ص27).

⁵⁹ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.150.

⁶⁰ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، مصدر سابق، ص74.

⁶¹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور): الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، مصدر سابق، ص6.

⁶² Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.138.

⁶³ محمود بن الحسين محمد الكاشغري: ديوان لغات الترك، المجلد الثالث، ط 1، دار الخلافة العلية، 466هـ، 1333م، ص44.

أرض خانية "إديقوت", وبعد خانية الأورخون الأويغورية أصبح ياغما أحد العناصر للقبائل الموجودة في خانية الأويغور, وعاشت قبيلة ياغما في منطقة بارچوق (مارالبشي الحالية), ولقد تركت بعض الوثائق المكتوبة أثناء معيشتهم في منطقة بارچوق, ويُسمي علماء عصرنا لغة هذه الوثائق بـ "لغة ياغما" أو "لغة بارچوق", وورد في بعض المصادر أن قبيلة "ياغما" سيطرت على مناطق القارلوق من منتصف القرن العاشر, وأن قبائل "ياغما" كانت تسكن حول "كاشغر" والمنطقة الواقعة جنوب نهر (نارين) المتفرع من (سيرداريا)⁶⁴, وأول ظهور للدولة القراخانية كان في "كاشغر", ويرى "جيجوريف" و"أريستوف" و"غريوناردفرون" أن القراخانيين من سلالة القارلوق⁶⁵, والقارلوق هم أجداد الأويغور المباشرين, والأويغور فرع من الهون العظيم, وأصحاب العربات الطويلة, وفي عام 742م أسس الأويغور خانية الأورخون الأويغورية متحدّين مع القارلوق في القسم الشرقي, وبعد عشر سنوات أخضع خاقان الأويغور "قاراقان" القارلوق في القسم الغربي في أطراف بشباليق (أورومچي) ومنذ ذلك الحين بدأ نشاط القارلوق لإنشاء تاريخهم المشترك مع الأيغور, وأصبح القارلوق مكملاً لقومية الأويغور, ويرى البعض أن القارلوق قد شكلوا القازاق والبعض الآخر يرى أن القارلوق يشكل الأوزبك, ولكن لا يوجد لهذا الرأي برهان كافٍ, كما أنه لا يوجد دليل في المصادر العربية, لذا فإن محاولة المؤرخين المعاصرين لربط نشأة القازاق والأوزبك بقبيلة القارلوق عبارة عن وهم, ويذكر جغرافيو العرب في القرنين التاسع والعاشر بأن القارلوق يشغلون دائماً المنطقة الواقعة بين الغز والتغزغز, ووصلت هذه الروايات عن طريق كتابين فارسيين, الأول مجهول المؤلف كتب في سنة (372هـ / 982م – 983م) ويُنسب إلى مكتشفه وهو (تومانسكي) فيقال (مخطوطة تومانسكي), وأما الثاني فهو كتاب (الگرديزي) في القرن الحادي عشر, وترجع المعلومات التي بالكتابين إلى عهد أحدث من عهد ما ورد بالمصادر العربية المحررة في القرن العاشر لذلك لا يمكن التوفيق بين ما جاء بأحدهما وما جاء بالآخر.

⁶⁴ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.120.

⁶⁵ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص6.

ويؤخذ من مخطوطة (تومانسكي) ومن كتاب "الگرديزي" كما يروي جغرافيو العرب في القرن العاشر أن قبيلة ياغما التي ظهرت بين (التغزغز)⁶⁶ سكنت في جزء من المنطقة التي سكنها القارلوق، وكان هؤلاء الياغما يملكون كاشغر، وكانت دولة القراخانيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكاشغر وكانت هي العاصمة ولذلك سموها "أوردوكنت" أي المعسكر الملكي كما يقول "محمود الكاشغري".⁶⁷

وجاء في مخطوطة "تومانسكي" وكتاب "الگرديزي" أن القارلوق - ويسميه المؤلفون الفرس (خلج) - قوم يعيشون على حدود البلاد الإسلامية قريباً من مدينة طراز من ناحية الشرق، وكان بعض مدن تركستان تابعة كذلك إلى القارلوق، ومن بين هذه المدن مدينة پنچول "Pentchoul" المسماة بالصينية (وين - صو) الواقعة إلى جوار (أوج طرفان) الحالية، وتقول مخطوطة تومانسكي إن هذه المدينة داخل بلاد القارلوق ولكن حاكمها يخضع إلى لتغزغز، ويقال أيضاً إن القيرغيز استولوا عليها فيما بعد، وتقول المخطوطة نفسها إن مدينة كاشغر كانت على حدود بلاد القيرغيز والقارلوق والتغزغز.⁶⁸

كانت قبائل القارلوق تسكن في أول الأمر في الشمال الغربي من "أورمچی" و"كوجن"، وغربي "آلتای"، فلما بدأ الانقسام بين أجزاء إمبراطورية الترك العظمى، استولت عليها الصين، فأصبحت إحدى الولايات الصينية، وهاجر أهلها إلى الجنوب، واتفقوا مع الأويغوريين وقضوا على دولة الترك الشرقية سنة 745م، وكان الساكنون منهم في جبال "أوتوكن" تابعين للأويغوريين، والذين في "آلتای" و"شبالق" تابعين إلى الصين واشتركوا معها في بعض الحروب، وفي المعركة التي وقعت بين قائد المسلمين "زياد بن صالح" وقائد الصين "كاو - شين - جه" على نهر طلاس عام (751م)، انضم هؤلاء الأتراك "القارلوق" إلى المسلمين حينما رأوا إخوانهم الأتراك في صفوف المسلمين الغرب وكان انضمامهم إلى

⁶⁶ التغزغز : يقصد بهم الأويغور الذين يشكلون حالياً أكبر عناصر الترك في تركستان الشرقية ، وأرض التغزغز موقعها بين التبت والصين ويجاورها من الشمال القرغيز (انظر : عز الدين أحمد الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين "صراع حضارتين" مصدر سابق ، ص29)

⁶⁷ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطي ، مصدر سابق ، ص73.

⁶⁸ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطي ، المصدر السابق ، ص75.

المسلمين سببًا فعالًا لكسب الحرب, وانتصر المسلمون بمساعدتهم انتصارًا عظيمًا غير مجرى التاريخ وأبعد الصين عن تركستان, ثم بدأ أتراك "قارلوق" يلعبون دورًا مهمًا في ميدان السياسة, فزادت قوتهم, فحاربوا الأويغوريين (756م – 757م) وأسسوا دولتهم في بلاد الترك الغربية⁶⁹, ثم حاولوا صد هجمات المسلمين على ما وراء النهر بما أمكنهم من جهود, حتى استولوا على فرغانة في عهد الخليفة "هارون الرشيد" غير أنهم اضطروا أخيرًا إلى ترك فرغانة, وفي سنة 806م تحالفوا مع الأويغوريين والتبتيين ضد الدولة العباسية, ولكن المأمون الذي كان واليًا في خراسان استصوب سياسة مجاملة الأتراك وإرضائهم, لذا عقد معهم معاهدة صداقة وتحالف, ومن ثم بدأ الإسلام ينتشر بينهم, ويغزو قلوبهم, وكان ذلك مقدمة صالحة ترشحهم للقيام بدورهم في إنشاء الدولة الخاقانية الإسلامية في تركستان الشرقية فيما بعد.⁷⁰

يذكر محمود الكاشغري أن الأويغور أطلقوا على القارلوق اسم تركمان, وتلك الكلمة ظهرت للمرة الأولى في القرن الرابع الهجري وهي فارسية الأصل (تورك مانند), ومعناها أشباه الترك.⁷¹

ويرى الدكتور أحمد محمود الساداتي في أصل القراخانيين أنهم ينتمون إلى الأويغور الذين كانوا يقطنون في تركستان الشرقية عند سفوح جبال تيان شان⁷², وقد أجمع الباحث القازاقي "محمد آخونو", والباحث الأويغوري "إبراهيم مطيعي", والباحث الصيني "وانغ ريفي", ومعهم عشرة من الباحثين الصينيين على رأي واحد أن قبيلة الأويغور هي السلالة الملكية للقراخانيين, وقد أكد هذا الرأي من علماء اليابان كواتاروكو وآبي تاكو وموري ياسو وغيرهم, كذلك جاء في كتب التاريخ الصينية معلومات حول انتماء القراخانيين إلى قبيلة الأويغور, وقبل انقراض خانية الأورخون الأويغورية كانت

⁶⁹ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.158.

⁷⁰ عبد العزيز جنكيزخان : تركستان قلب آسيا , مصدر سابق , ص28,29.

⁷¹ حسن أحمد محمود (دكتور) : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1972م , ص170.

⁷² أحمد موسى الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , القاهرة 1959م , ص184.

مساحتها تضم وادي جونغارية وكوجا ومنطقة الحوض الساخن في غرب جبال فامير, وكان يعيش في هذه المناطق قبائل القارلوق والياغما وچيگيل وجزء من الأويغور تعيش في هذه المناطق, وهذه القبائل كانت تابعة إلى الأويغور, الذين كانوا يرسلون حكامًا مراقبين إلى هذه القبائل, ووفقا لذلك فقد جاء في كتاب "حدود العالم" أن كل الملوك في تركستان كانوا من الأوغوز التسعة (الأويغور), أما نقوش أورخون⁷³ فقد ورد بها أنه في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وأوائل القرن الذي يليه ظهر شعب جديد في بلاد ما وراء النهر, وأن هذا الشعب اتخذ للمرة الأولى في تاريخ هذا الإقليم اسم "الترك", وتؤيد النقوش الصينية والنقوش البيزنطية المعاصرة ما جاء بنقوش أورخون, وتحدث عن بداية ظهور الشعب التركي في هذه الفترة, فقد وردت في النقوش الصينية كلمة "Tou Kieue", وفي النقوش البيزنطية وردت كلمة "Tourkoi"⁷⁴.

وترى الباحثة أن الأرجح حول أصل القراخانيين هو انتماءهم إلى الأويغور وذلك لأن قبائل القارلوق والياغما والچيگيل قد اتحدوا مع الأويغور, وهذا ما رجحته معظم الآراء.

مما سبق نرى أنه لم يتضح إلى أي هجرات الأقوام التركية يتصل ظهور القراخانيين, وأنه يوجد اختلاف كبير حول أصل الأتراك القراخانيين, ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة أسباب :

الأول : إن الكتب التي دونها الرحالة والجغرافيون العرب في القرن العاشر الميلادي الذي ظهر فيه القراخانيون لم تهتم بنشأتهم وربما لم تنتبه إلى قيام دولتهم لتركيزهم على الدولة السامانية التي كانت تسيطر حينذاك على المنطقة التي بدأ منها القراخانيون في بلاد ما وراء النهر.

⁷³ نقوش أورخون : اكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي , وهي أقدم آثار تركية أنشأها الترك حيث سمي أصحاب هذه الآثار أنفسهم لأول مرة في التاريخ بالترك , وتتناول تلك النقوش الفترة من 630م حتى 680م وهي الفترة التي كان فيها أتراك الشرق تحت حكم الصين , وتحدث تلك النقوش بأن هؤلاء الترك استطاعوا الحصول على استقلالهم تحت قيادة بعض الخانات التابعين إلى دولة (تو – كيو) (Tu – Kuo) ويفسر هذا الاسم في المصادر الصينية بمعنى الترك (انظر : أحمد الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين "صراع حضارتين" , مرجع سابق , ص32).

⁷⁴ حسن أحمد محمود (دكتور) : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي , مصدر سابق, 1972م , ص135.

الثاني : إن الكتب التي دُونَتْ في القرن الحادي عشر وما بعده لم تهتم بنشأة القراخانيين؛ لأن الدولة أصبحت قوية فركز المؤرخون والرحالة على أعمال حكامها, ولم يشغلوا أنفسهم بكيفية نشأتها والمشاكل التي تعرضت لها وأصل حكامها وشعوبها.

الثالث : إن المنطقة التي نشأوا فيها كانت تمتد من نهر جيحون حتى حدود الصين, ويسكنها ثلاث قبائل من الترك وهم القارلوق والياغما والچيگيل, وهي القبائل التي يرى المؤرخون أن القراخانيين ينتسبون إلى قبيلة منهم, وكانت هذه القبائل كثيرة الهجرة والتنقل من مكان إلى مكان في هذه البلاد لطبيعتهم الرعوية.⁷⁵

• الموقع الجغرافي للدولة القراخانية :

استوطن القراخانيون منغوليا ثم نزحوا إلى كاشغر منذ القرن الثامن الميلادي, وتأسست الدولة القراخانية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في مدينتي بالاساغون⁷⁶ وكاشغر.⁷⁷

اتخذت الدولة القارخانية "كاشغر" عاصمة شتوية, وكانت العاصمة المركزية حتى عام 1213م⁷⁸, ومنطقة "بالاساغون" عاصمة صيفية, وكانت الدولة القراخانية تعد "بالاساغون" آمنة وأقل خطرًا من المدن / المناطق الواقعة في قلب البلاد.⁷⁹

⁷⁵ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص5.

⁷⁶ بالاساغون : معناها المدينة الجميلة , وهي مدينة إسلامية منذ سنة 940 , وتقع في (يدي صو) , وتعرف عند المغول باسم جوبالقي , ويذكر محمود كاشغر أن "قزاردو" هو اسم ثان لمدينة بالاساغون , ويتضح من بعض المسكوكات أن لها اسمًا ثالثًا وهو "قزاردو كند" ونجد أن المسكوكات التي حملت اسم "بالاساغون" و"قزاردو كند" نادرة جدًا , بينما تلك التي حملت اسم "قزاردو" كثيرة جدًا. (انظر : زياد محمد هواش : القارخانيون في تركستان "تاريخ منسى وحضارة باقية" , مصدر سابق , ص34.

⁷⁷ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , المصدر السابق , ص9.

⁷⁸ نابدلجليل توران : نويغور چه ئوقوشلوق (تدل , ئه ده بيبات ژه بارىخ) , مصدر سابق ص51.

⁷⁹ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص83.

ونشأت الدولة القراخانية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وأعلن القراخانيون أنفسهم "موالي أمير المؤمنين" في تركستان وما وراء النهر عام 393هـ/ 1000م, حيث بدأت أسرهم تسك النقود باسم "ال خليفة العباسي القادر".⁸⁰

وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر انقسمت الدولة القراخانية إلى قسمين خاقانية شرقية في تركستان وعاصمتها كاشغر , وخاقانية غربية في بلاد ما وراء النهر وعاصمتها سمرقند ثم نقلت فيما بعد إلى بخارى.⁸¹

وإذا كان القراخانيون ينتمون إلى قبائل الياغما أو الچيگيل أو التوخسى, فبذلك نستطيع أن نقول إنهم كانوا يقطنون وادي نهر (إيلي), وهكذا تكون المواقع الأولى للمسلمين واقعة شمال نهر (إيلي) وفي نطاق بحيرة بالخاش.⁸²⁻⁸³

وعلى اعتبار أنهم من قبائل الياغما فإن ديارهم شملت كاشغر, أما قبائل التوخسى فيذكر المؤرخون الفرس أنهم نزلوا بالإقليم الواقع إلى الشمال من نهر (چو), على حين نزل الچيگيل إلى الشمال من بحيرة (ايسك كول)⁸⁴.

وتشير بعض المصادر إلى أن الدولة القراخانية اتسعت رقعتها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي , حيث امتدت من حدود الصين إلى فرغانة وتاركان وبخارى⁸⁵ , واستمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حتى سقطت الدولة الشرقية عام 1128م على يد

⁸⁰ زياد محمد هوش : مصدر سابق , ص7, ص15.

⁸¹ Doç.Dr .Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.84.

⁸² بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص94

⁸³ تذكر بحيرة بالخاش باسم (ترك كول) , وتدل هذه الكلمة في لغة الغز على الوفرة والغزارة , ومعنى هذا أن البحيرة سميت كذلك لأنها أكبر البحيرات في المنطقة ولا يذكر أن نهر (إيلي) يصب في بحيرة بالخاش (انظر : بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص94).

⁸⁴ حسن أحمد محمود (دكتور): الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1972م, ص180.

⁸⁵ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص11.

القراخطاي⁸⁶, بينما انتهت الدولة الغربية عام (536هـ - 1141م) عقب هزيمة الجيش القراخاني والسلجوقي في معركة قطوان أمام القراخطاي⁸⁷.

• حكام الدولة القراخانية :

بالنظر إلى كتب التاريخ والوثائق القومية والتاريخية نرى أن خانيات تركستان الشرقية استولوا على كل من "باركند" و"خوتن" عام (206هـ/821م), ثم بعد حين من الزمن استولت خانية "كاشغر" على دولة "كوجا", وبهذا تكونت دولة تركية ذات سيادة في المنطقة الجنوبية من تركستان الشرقية, وكانت هناك في الشمال من "تنغري تاغ" دولة قارلوق التركية, وفي عام (256هـ - 870م) صارت دولة قارلوق تابعة إلى دولة خاقان الترك ومركزها مدينة "كاشغر" ثم تبعتها حكومات قبائل "كوكجه" وياغما وتخسى وچيگيل, وتقلد خاقان كاشغر صفة قاراخان, وفي عام (267هـ-880م) جلس "بوقاخان", على عرش القراخانيين ووسع من مساحة دولته بضم كل من مناطق "لوب نور" و "جرجن" الآن, وتقع شرقاً في الجنوب من سلسلة جبال "قوروغ تاغ" ومنطقة آبدال وميراث, وبعد ذلك فكر "بوقاخان" في توسيع رقعة بلاده إلى الشمال, وكانت هناك في الشمال دولة قارلوق التركية وخانيات أخرى, وبهذا السبب نقل "بوقاخان" عاصمته إلى منطقة "بالاساغون" بالقرب من مدينة "توقماق", ثم مَدَّ حدود بلاده شمالاً إلى الشمال من بحر إيجيه⁸⁸, إلى نهر إرتش⁸⁹ في الشمال الشرقي منها, ثم بعد ذلك قبلت دولة إديقوت الأويغورية الانضمام إلى دولة القراخانيين.⁹⁰

⁸⁶ القراخطاي : أصلهم من قبائل الخطا الأتراك النازحين من شمال الصين حيث كانوا يحكمون هناك من عام (916م حتى عام 1125م) , وعرفت دولتهم في التاريخ الصيني باسم اسرة (لياو – liao) , و انهيار حكم القراخطاي في الصين عام 1125م على يد شعب (جور – جين) المنشوري وعقب ذلك هاجر آخر ملك للخطاي في الصين بجزء من شعبه نحو تركستان وتمكن من إقامة دولة قوية لهم شملت كل البلاد الإسلامية في تركستان , وتمكنوا من القضاء على الدولة القراخانية الغربية عام 1130م (انظر : عز الدين أحمد الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين "صراع حضارتين" , مصدر سابق , ص36).

⁸⁷ عز الدين أحمد الورداني , تركستان الشرقية والصين (صراع حضارتين) , المصدر السابق , ص 33.

⁸⁸ بحر إيجة : هو أحد أفرع البحر المتوسط طوله 643.5 كم وعرضه 322 كم , يقع بين شبه الجزيرة اليونانية والأناضول , يتصل ببحر مرمرة عن طريق مضيق الدردنيل , وتطل عليه تركيا واليونان (انظر : ar.m.wikipedia.org)

وأصبح "بارخان" والد "ساتوق بوغراخان"⁹¹ قاراخانا بعد فترة مجهولة الأحداث لا نعلم من خلف فيها "بوقاخان", وتوفي "بارخان" في عام 302هـ, وكان ابنه "ساتوق" طفلاً صغيراً فتولى أخوه "آيسين بوغراخان" وصية أخيه وولي الأمير "ساتوق تكين بوغرا" ولاية العهد, واستناداً إلى عادات وتقاليد الأتراك تزوج "آيسين بوغراخان" بأرملة أخيه, وهي أم الأمير "ساتوق تكين"⁹².

- ساتوق بوغراخان :

أسلم "ساتوق بوغراخان" عام (912م) وعَمَّ الإسلام مدينة "أرتوج", وحينما علم عمه "أوغولجاك" بذلك بنى في مدينة "أرتوج" معبدًا وثنيًا وأجبر الناس على العبادة فيه والسجود للأصنام⁹³, أما الأمير "ساتوق" فقد دعا بعض مخلصيه إلى الإسلام, فانضم له خمسون من خلائه المسلمين فأغار على "تابغاج بالين"⁹⁴, وبقي بها ثلاث سنوات حتى أعلن "أوغولجاك" الحرب على "ساتوق بوغرا" وانتصر ساتوق بوغرا عليه واستولى على "آت باشي"⁹⁵.

بعد الاستيلاء على "آت باشي" كون "ساتوق" تنظيمًا من الشباب المسلم وسلحهم تسليحًا كاملاً, ثم بدأ "ساتوق" بتسريب شباب التنظيم إلى داخل مدينة "كاشغر", وقد جعلهم الأمير "ساتوق" خلائاً, وعيّن لكل خلية منهم مهمة وذلك بقصد القيام بالهجوم ساعة الصفر على المراكز الحكومية والمعسكرات, وبعد هذه الخطط المحكمة تقدم الأمير "ساتوق" إلى مدينة "كاشغر" مع أربعين شاباً من مخلصيه وحرسه, ونزل ضيفاً على زوج أمه "آيسين بوغراخان", ومع الساعة المحددة ليلاً داهم الأمير "ساتوق" مع رفقائه

⁸⁹ نهر إرتش هو أهم روافد نهر أوب , ويجري متجهًا نحو الشمال الغربي مسافة 4248 كم عبر الصين وروسيا حتى يلتقي نهر أوب في غرب سيبيريا , وتعد سمييالاتينسك وأومسك وتوبولسك أهم المدن الروسية الواقعة على نهر إرتش (انظر : www.merefa.org)

⁹⁰ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , مصدر سابق , ص 251, ص 252.

⁹¹ ساتوق بوغراخان : ينتمي إلى الأسرة التي قضت على السامانيين فيما وراء النهر في نهاية القرن العاشر , وعلماء الروس يطلقون عليه "قاراخان" (انظر : سنية محمد مصطفى (دكتور) محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" 1993 م , ص 7.

⁹² محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , المصدر السابق , ص 253.

⁹³ يوسف خاص حاجب : قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص 10.

⁹⁴ هاجي نور هاجي : قه د مكي ئويغورلار ۋه قاراخانيلا , مصدر سابق , 2001 م , ص 237.

⁹⁵ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص 10.

الأربعين – غرفة نوم "آيسين بوغراخان" وأخذه أسيرًا وأسر بعضًا من رجال القصر وأعدم البعض الآخر, وكذلك أدت الخلايا الخاصة مهامها على أحسن وجه, حيث استولى "ساتوق تكين" على مدينة "كاشغر", وفي الصباح الباكر تقدمت جموع المسلمين وهم نصف السكان في المدينة على القصر الملكي مقدمين أنفسهم لأية مهمة أو أمر, وفي غضون ثلاثة أيام كون "ساتوق" قوة كافية من شباب مسلمي مدينة "كاشغر" العاصمة, وقبّل جميع أهالي "كاشغر" ولاية "ساتوق تكين" خائفًا عليهم وأعلن نفسه قاراخانًا على البلاد وخلع على نفسه لقب "بوغراخان"⁹⁶, ثم قام بدعوة مَنْ لم يسلموا إلى الإسلام, وبدعوته هذه أخذ الإسلام ينتشر في كاشغر وياركند وأوج وبالاساغون ومنطقة بارسغان, وفي دولة قارلوق التركية انتشر الإسلام بدون أي عائق, ولقد دام حكم "ساتوق بوغراخان" اثنين وعشرين عاما حيث توفي عام (344هـ/955م-956م).⁹⁷

وعلى ذلك كان لبوغراخان فضل كبير في انتشار الإسلام في جميع أنحاء البلاد وبسط نفوذه على جميع القبائل التركية في وادي "سيحون".⁹⁸

– موسى بوغراخان :

كان له "ساتوق بوغراخان" ولدان هما "موسى" و"سليمان", وتولى الحكم بعد "ساتوق بوغراخان" ابنه الأكبر "موسى"⁹⁹, وعندما علمت خانية "خوتن" ودولة "إديقوت" بموت "ساتوق بوغراخان" أعلنت عصيانها على دولة القراخانيين, فتوجه "موسى بوغراخان" بجيشه إلى ولاية "خوتن" فأخضعها لطاعته, ثم جهز جيشًا كبيرًا بقيادة "آلب تكين غازي" إلى قبائل أوغور وفتحها عنوة بعد حروب, وكانت هناك معابد بوذية كثيرة فدمرها وطرد الأوغور الذين لم يسلموا, ثم بعد ذلك بسنتين أو

⁹⁶ بوغراخان : تعنى البطل

⁹⁷ هاجى نور هاجى : مصدر سابق, 2001م , 241.

⁹⁸ عبد العزيز جنكيز خان : تركستان (قلب آسيا) , مصدر سابق , ص46.

⁹⁹ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.252.

ثلاث تغلب جيش الإسلام على دولة إديقوت الأويغورية وانتصر عليها, وبعد فتح "قوجو" مركز دولة "إديقوت الأويغورية" توجه الغازي "آلب تكين" إلى ولاية بشباليق (أورومچی) ووقعت معركة دامية وانهزم "آلب تكين غازي" ثم جرح وقتل شهيداً فتشتت جموع جيشه واستعادت دولة إديقوت منطقة "قوجون" مركزهم.¹⁰⁰

- هارون بوغراخان :

توفي "موسى بوغراخان" عام "372هـ" وخلفه أخوه هارون وجلس على العرش, وقد حمل لقب أبيه وجده "بوغراخان", وكذا لقب بلقب "إيلك خان"¹⁰¹, وكان "هارون بوغرا قاراخان" رجلاً ذكياً, فاستطاع أن يستعيد حكم دولة "إديقوت الأويغورية", وشكل جيشاً كبيراً من مسلمي البلاد وغير المسلمين, واستعد للفتوحات والتوسع في دولته, وعندما علم "هارون بوغراخان" بحال الضعف والانحلال الذي كانت تعيشه دولة السامانيين الأتراك وذلك عام (382هـ - 992م) طمع في السيطرة على أملاك الدولة السامانية وخاصة بخارى وسمرقند.¹⁰²

وانتهز "هارون بوغراخان" الفرصة عندما تمرد بعض القواد السامانيين على الأمير الساماني "نوح الثاني" مثل القائد "أبي علي سيمجور" الذي كان حاكماً لخراسان وطمع بالاستقلال بحكمها, وكذا القائد "فائق" الذي سيطر على "هراة"¹⁰³ فأرسل إليه الأمير نوح الثاني جيشاً حاربه وانتصر عليه, فأرسل "فائق" إلى "هارون بوغراخان" خطاباً يدعو إلى التوجه إلى "بخارى" فتوجه "هارون بوغراخان" إلى بخارى وسيطر على البلاد التابعة للسامانيين.¹⁰⁴

¹⁰⁰ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , مصدر سابق , ص259.

¹⁰¹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص14.

¹⁰² هاجى نور هاجى : قه د مكى ئويغورلار ۋه قاراخانييلار , مصدر سابق , ص246.

¹⁰³ هراة : هي مدينة أفغانية تقع غربي "أفغانستان" ويمر بها نهر "هريروود" والذي يتدفق من وسط البلد , ومساحتها حوالي 62000 كيلو متر مربع , ويرى البعض أنها تأسست في القرن الرابع قبل الميلاد على يد الإسكندر الأكبر , وفتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي , وقد جعلها القائد المغولي "تيمور لنگ" عاصمة لدولته عام 1381م , وتحولت المدينة بعد ذلك إلى أحد أهم المراكز العلمية والثقافية , واستولى عليها الأفغان عام 1649م (انظر : www.arab-ebcy.com)

¹⁰⁴ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.260.

وعندما علم الأمير "نوح الثاني" بزحف "هارون بوغراخان" أرسل جيشًا لإيقافه ولكن انتصر عليه "هارون بوغراخان" فجمع الأمير "نوح الثاني" قواته وقاتل "هارون بوغراخان" ونجح هذه المرة الأمير "نوح الثاني" في هزيمة "هارون بوغراخان", ولكن عاود "هارون بوغراخان" في العام التالي عام (383هـ - 992م) المعركة للسيطرة على بخارى, وبمساعدة القواد السامانيين المتمردين استطاع أن يسيطر على بخارى وضواحيها دون قتال, واتخذ مدينة سمرقند مركزًا لحكمه على منطقة تركستان الغربية وهي ما وراء النهر, فهرب الأمير "نوح" سرًا من بخارى ووصل إلى مدينة "آمل" واتخذها عاصمة له ولحكمه¹⁰⁵, وأقام "هارون بوغراخان" في سمرقند ثلاث سنوات حتى أصابه المرض فقرر أن يعود إلى مدينة "كاشغر", وعندما قرر ذلك عين "علي تكين خان" ابن أخيه "موسى بغراخان" حاكمًا على تركستان الغربية وملحقاتها, ومنحه لقب "إيلك خان", وبذلك أصبح هناك اثنان من "إيلك خان"; أحدهما في الغرب في تركستان الغربية, والثاني في الشمال (مناطق شمال تنغري تاغ)¹⁰⁶ ولكن توفي "هارون بوغراخان" في طريقه إلى كاشغر بالقرب من سمرقند عام (992م).¹⁰⁷

- أبو نصر أحمد إيلك خان :

تولى "أبو نصر أحمد" حكم البلاد بعد وفاة أبيه "هارون بوغراخان", ولقب بلقب "إيلك خان", كما اشتهر بلقب "طغان خان", وعندما علم الأمير "نوح" بنعي قارخان الترك أراد أن يستعيد منطقة "بخارى", فعاد إليها مع أصحابه وساعده ابن سلجوق صوباشي الأمير "أرسلان بك" وهو ينتمي إلى عشيرة تعيش في منطقة "جند" الواقعة على ضفاف نهر "سيردريا", وأتى الأمير "أرسلان بك" بجنود كثيرة لمساعدة الأمير "نوح" والتقوا مع قوات "علي تكين" وهزموها, ثم أراد "علي تكين" الهجوم على

¹⁰⁵ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.264.

¹⁰⁶ هاجي نور هاجي : قه د مكي ئويغورلار ۋە قاراخانلار , مصدر سابق , ص247.

¹⁰⁷ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.268.

منطقة بخارى ضد الأمير "نوح سليمان", ولكن فى نهاية الأمر طلب الأمير "نوح بن سامان" الصلح مع "علي تكين" وتمت المصالحة.¹⁰⁸

وتوفيَّ الأمير "نوح الساماني" عام (387هـ - 997م), واستولى الغزنويون على خراسان, وعندما علم بذلك "ايلك خان" توجه إلى سمرقند وسيطر على كل البلاد التابعة إلى السامانيين حيث كان يحكمها القائد "فائق" الذي توجه إلى "ايلك خان" فأحسن استقباله, وأرسل إلى نوح الثاني يستشفع له, وطلب إليه أن يوليه سمرقند فأجابه في طلبه وأقام "فائق" بها, وقد مكث "ايلك خان" في سمرقند وأرسل جيشاً بقيادة "فائق" ليسيّط على بخارى, ولكنه تمرد على "ايلك خان" لأنه رأى أن "ايلك خان" ذو قوة وبأس وأرسل بعض المشايخ من أهل بخارى إلى الأمير منصور يطلب منه العودة إلى بلده, وبعد أن اطمأن إليه الأمير "منصور" جعله قائداً على جيشه والمتصرف في أمور دولته.¹⁰⁹

وانضم "فائق" إلى القائد الساماني "أبي علي سيمجور" عام (384هـ - 994م) لمحاربة السلطان "محمود الغزنوي", ولكن هزمهم السلطان محمود الغزنوي¹¹⁰, فتآمر "فائق" مع أحد القادة السامانيين ويدعى "بكتوزون" للتخلص من الأمير "منصور" وتولية أخيه الأصغر "عبد الملك" الذي يسهل السيطرة عليه, ولقد نجحوا في مؤامرتهم في (389هـ-999م) وأجلسا الأمير "عبد الملك" على العرش, فأقام كل من السلطان "محمود الغزنوي" و"ايلك خان" لمساعدة الأمير "منصور" فأرسل السلطان "محمود" جيشاً إلى خراسان فاستعد للقاءه الأمير "عبد الملك نوح", و"فائق" و"بكتوزون", ولكن توفي "فائق" فضعفت قواهم وعادوا إلى بخارى وسيطر السلطان "محمود" على خراسان وتوجه "ايلك خان" إلى

¹⁰⁸ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , مصدر سابق , ص263.

¹⁰⁹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص21.

¹¹⁰ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.268.

بخارى، فخرج للقائه القائد "بكتوزون" ومعه عدد من القادة، ولكن انتصر عليهم "ايلك خان" واستطاع

أن يدخل بخارى عام (389هـ-999م).¹¹¹

ولقد الأمير "عبد الملك بن نوح" فأرسل "ايلك خان" من يتعقبه حتى قبض عليه وعلى أقاربه، وسجنهم جميعاً وبذلك انتهت الدولة السامانية¹¹²، وبعد أن استقر "ايلك خان" في "أوزكند" واستتب كل الأمور في بلاد ما وراء النهر، هرب أحد أمراء السامانيين ويدعي "إسماعيل بن نوح الساماني" إلى "خوارزم" وانضم إليه بقايا القواد السامانيين والجند، فأرسل فرقة من الجند إلى بخارى وهزموا القراخانيين وعندما علم "ايلك خان" بأنباء الهزيمة جهز جيشاً كبيراً لمواجهة الأمير "المنتصر الساماني"، ومكث المنتصر عامين في خراسان (391هـ - 393هـ) يحارب جيوش السلطان "محمود الغزنوي" إلى أن هزم في آخر الأمر ولكنه هرب وتحالف مع طوائف التركمان والأتراك الغز والتقوا جميعهم مع "ايلك خان" وأسر جماعة من قواده عام (393هـ - 1003م)¹¹³

وانتصر "المنتصر الساماني" فتراجع "ايلك خان" إلى "أوزكند" ثم حاربه "ايلك خان" مرة أخرى وانتصر عليه، فهرب المنتصر مع ثمانية من أصحابه، واختفي عند قبيلة عربية، وحرص "ايلك خان" على توطيد علاقته بالسلطان "محمود الغزنوي" لإزالة الجفوة التي حدثت بين البلدين¹¹⁴، وفي عام

111 هاجى نور هاجى : قه د مكى ئويغورلار ۋە قاراخانييلار ، مصدر سابق ، ص251.

112 Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.275.

113 Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.280.

114 حدث صراع بين القراخانيين والسلطان محمود الغزنوي ، حيث طمع كل منهما في وراثة أملاك السامانيين ، وكان السلطان محمود الغزنوي أكثر قوة من القراخانيين ولكنه تفرغ لفتوحاته في بلاد الهند والسند فتصالح مع القراخانيين وتزوج السلطان محمود من ابنة "ايلك خان" أبو نصر أحمد" إلا أن العلاقة بين الدولتين ساءت بسبب إيواء "ناصر علي" شقيق الخان الأعلى لبعض القادة المتمردين على السلطان "محمود الغزنوي" ورغب أيضا "ايلك خان" في توسيع أملاكه في خراسان على حساب الغزنويين ، فأعد "ايلك خان" جيشين عام (396هـ - 1006م) الأول بقيادة أخيه جعفر تكين ، وأمره بالتوجه إلى "بلخ" والثاني بقيادة "سباشي تكين" ابن عمه ، وأمره بالتوجه إلى هراة ، واستطاع الجيشان السيطرة على المدينتين كما سيطر "سباشي تكين" على "نيسابور" فعندما علم السلطان محمود الغزنوي بذلك توجه إلى "خراسان" ، وطارد "جعفر تكين" فتوجه "جعفر تكين" إلى ترمذ ومنها إلى سمرقند ثم تتبع السلطان محمود الغزنوي "سباشي تكين" في هراة وحاول "سباشي تكين" في معركة فاصلة بالقرب من نهر جيحون ، وانتصر السلطان محمود الغزنوي وهزم جعفر تكين وأخرجه من خراسان ، واستطاع "سباشي تكين" أن يهرب وعبر نهر جيحون ولقد أصر "ناصر علي" على امتلاك خراسان فاستعان بأخيه "يوسف قادرخان" وتوجها إلى مقابلة السلطان "محمود الغزنوي" ولكن السلطان محمود انتصر عليهم فطلب "ايلك خان" المساعدة من أخيه "الخان الأعظم" ولكنه رفض لما بينه وبين السلطان "محمود" من عهود ومصاهرة وعلاقة طيبة ، فأرسل إلى السلطان محمود يعتذر منه فطلب المساعدة من الأمير "أبو العباس خوارزم شاه" أمير خوارزم فظن السلطان محمود بهما السوء لأن علاقته بالأمير أبي العباس كانت سيئة ، وظن أنهما تحالفا ضده فأوضح له "ايلك خان" الأمر

(408هـ-1018م) هجم أكثر من مائة ألف فارس من أتراك قبائل خطاي على تركستان الشرقية واستولوا على منطقتي "إيكى أوكوز" "التاي" الآن و"ايميل" وذلك عندما علموا بمرض إيلك خان (أبو نصر أحمد طغان خان) وتمكنوا من السيطرة على بعض البلاد حتى اقتربوا من بالاساغون, فلما بلغ الخبر "إيلك خان" طلب من الله الشفاء ليجاهد بنفسه, فشفاه الله من مرضه, ولم يمض وقت طويل حتى استعاد قوته على القتال فجمع قوته العسكرية وحضر بنفسه في ساحة القتال لملاقاة العدو, وطارد "إيلك خان" القبائل التركية الوثنية عندما قرروا العودة إلى بلادهم, وانتصر عليهم, ثم عاد إلى بالاساغون, ومات بعد فترة قصيرة عام (1018م).¹¹⁵

تولى الحكم من بعده أخوه "أبو المظفر أرسلان", ولقبه شرف الدولة, وكان هناك خلاف بينه وبين أخيه "يوسف قدرخان" أو "يوسف تكين قدرخان"¹¹⁶ الذي كان يريد أن يكون الخاقان الأعظم, وطلب من السلطان محمود الغزنوي أن يساعده, ولكنه رفض أن يدخل في صراع بين الأخوين, ثم تصالح الأخوان وتوفي "أبو المظفر أرسلان خان" عام (1024).¹¹⁷

– "يوسف قدرخان":

تولى "يوسف قدرخان" الحكم بعد وفاة "أبي الظفر أرسلان خان", وكما حدث بينه وبين "أبي المظفر" من خلافات, فقد حدث خلاف بينه وبين أخيه "علي تكين" الذي طمع في توسيع سلطانه, فتحالف الخاقان "قدرخان" مع الغزنويين¹¹⁸ ضد أخيه, وأخير "قدرخان" السلطان محمود

وأنه يريد الصلح فهدأت نفس السلطان محمود الغزنوي وزال ما كان به من شكوك تجاه القراخانيين (انظر: عبد الغني عبد الفتاح زهرة الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر, مصدر سابق ص 29-34)
¹¹⁵ هاجى نور هاجى : قه د مكى ئويغورلار ۋه قاراخانييلار , مصدر سابق ,ص256.

¹¹⁶ كلمة قدرخان : صفة له وكلمة قدر تعني القادر والمقتدر, والمعنى الاصطلاحي لقدر تعني ذا النفوذ (انظر محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية, المصدر السابق, ص 263)

¹¹⁷ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.304.

¹¹⁸ أسس الدولة الغزنوية (ألب تكين) وذلك لأنه حاجب للملك الساماني عبد الملك, واستطاع بمنصبه أن يظهر بمظهر الحاكم الحقيقي للبلاد, ولما أراد الملك إبعاد "ألب تكين" عن العاصمة لم يجد وسيلة تحقق أغراضه إلا تقليده أكبر منصب حربي في البلاد وهو ولاية "خراسان" (961م-349 هـ) ولم يرض (ألب تكين) عن ولايته لعرش تركستان, فرجع إلى بلخ (962م-351 هـ) وهزم

الغزنوي أن طموحات "علي تكين" لن تتوقف عند أملاك القراخانيين, ولكنه سيسعى إلى لسيطرة على أملاك الغزنويين في خراسان, فاتفق الطرفان وقررا القضاء على "علي تكين" ولكن لم يمنحهما "علي تكين" الفرصة للقضاء عليه فانسحب من بخارى وسمرقند إلى السهول الواقعة على أطراف بلاد ما وراء النهر, ونجح "علي تكين" في استعادة معظم أملاكه بعد أن عاد السلطان محمود إلى بلاده, والخابان الأعلى إلى تركستان , وعمل "علي تكين" علي توطيد علاقته بالخابان الأعلى والاعتراف بسلطانه, بعد أن أدرك صعوبة القضاء عليه , فقبل "قدرخان" هذا ولم يحاربه مرة أخرى.¹¹⁹

وفي عام (417 هـ-1026م) أرسل إديقوت الأويغور مبعوثاً إلى بلاط السلطان "محمود الغزنوي" يطلب فيه عقد معاهدة بينهما ضد "قدرخان" وطلب مصاهرته, ولكن نظراً لعلاقته الطيبة بـ "يوسف قدرخان" رفض عرضهم, وتوفي السلطان "محمود الغزنوي" عام (321 هـ-1030م) عن عمر يناهز واحداً وستين عاماً.¹²⁰

تولى السلطان "مسعود" الحكم بعد وفاة أبيه السلطان "محمود الغزنوي" وسار على نهج أبيه, وكانت علاقته طيبة بـ "قدر خان"¹²¹, وطلب أن يتزوج ابنته "شاه خاتون", فقبل "قدرخان" طلبه, وأرسل ابنته إلى السلطان "مسعود" فاحتفى بها احتفاءً كبيراً, وكانت العلاقة سيئة بين السلطان "مسعود" وبين "علي تكين" وذلك لأن السلطان مسعود طلب من "علي تكين" أن يساعده ضد أخيه "محمد" الذي كان يصارعه على الحكم ووعدته أن يوليه إقليم "ختلان" الذي يقع شمال نهر جيحون, ودارت الحرب بينهما وقتل

جيشاً أرسله إليه "منصور بن نوح" , ثم سار إلى غزنة وقضى على أسرتها الحاكمة وشيد لنفسه دولة تركية جديدة, فلما مات خلفه ابنه (أبو إسحاق إبراهيم) الذي لم يستطع الحفاظ على سلطانه إلا بمعونة السامانيين وبذلك أصبحت الدولة الغزنوية إمارة تابعة إلى السامانيين, ولما مات "أبو إسحق" اتفق الأتراك على تولية "بلكه تكين", وبعد وفاته قبض "سبكتكين" على زمام السلطة وأصبح هو المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية. (انظر : Wikipedia.org.wiki)

¹¹⁹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص 37 , ص 38.
¹²⁰ Doç.Dr .Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.80.

¹²¹ هاجي نور هاجي : قه د مكي نويغورلار و قاراخانيلا , مصدر سابق , ص 263.

وجرح الكثير من الجيشين, فأرسل "علي تكين" يطلب الصلح من السلطان مسعود فقبل السلطان الصلح بسبب الاضطرابات التي حدثت في البلاد وظهور خطر الأتراك السلاجقة في خراسان.¹²²

وساعد "علي تكين" السلاجقة سرًا, وكان السلطان مسعود لا يثق به وظل هكذا إلى أن مات "علي تكين" عام (452هـ / 1034م).¹²³

ولقد تمرد "قدرخان" على السلاجقة وطمع في السيطرة على خراسان فجهز جيشًا كبيرًا يقرب من مائة ألف مقاتل وذلك عام (594هـ / 1102م) لمواجهة الأمير "سنجر" الحاكم السلجوقي لخراسان, وعندما علم الأمير "سنجر" بقوة جيش "قدرخان" وعدده أرسل إليه يذكره بالعهود والمواثيق بين الدولتين, فلم يصغ إليه "قدرخان", ففكر الأمير "سنجر" في أسلوب الخدعة للإيقاع "بقدرخان", فأرسل إليه الجواسيس لكي يراقبوه, وعندما علموا بخروج "قدرخان" مع ثلاثمائة فارس إلى الصيد أرسل إليه فرقة من جيشه بقيادة الأمير "يرغش" الذي استطاع أن يهزم "قدرخان" وأرسله إلى الأمير "سنجر" الذي أمر بقتله, وتمكن الأمير "سنجر" من السيطرة على بلاد ما وراء النهر وعين نائبًا له على بلاد ما وراء النهر وهو "أرسلان خان محمد بن سليمان بغراخان" وهو ابن عم "طغرلتكين" الخان الأعلى للدولة القراخانية الشرقية, ولكن تمرد أرسلان خان على السلطان "سنجر" ولم يطع أوامره, فتوجه السلطان "سنجر" عام (507هـ / 1113م) لمواجهة "أرسلان خان" فتملكه الرعب من مواجهة السلطان "سنجر" فطلب من الأمير "قماج" وهو أحد الأمراء المرافقين للسلطان "سنجر" أن يتوسط في الصلح بينه وبين السلطان "سنجر", فقبل السلطان العفو عنه, وكما ذكرنا فإن العلاقة كانت طيبة بين السلطان مسعود وبين "قدرخان" إلى أن توفي "قدرخان" عام (423هـ / 1032م).¹²⁴

¹²² Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.304.

¹²³ Doç.Dr .Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.80.

¹²⁴ هاجى نور هاجى : قه د مكى نويغورلار و قاراخانييلار , مصدر سابق , ص264.

– بغراتكين سليمان :

تولى بغراتكين سليمان الملقب بـ "أرسلان خان" الحكم بعد وفاة أبيه "قدرخان"، ونظرًا لضعفه وعدم هيئته قسم الدولة على إخوته وأقاربه ولم يبق له إلا "بالاساغون" و"كاشغر"، أما "بخارى" و"سمرقند" وغيرها من بلاد ما وراء النهر فكانت لـ "يوسف بن علي تكين"، ولقد انقسمت الدولة القراخانية إلى قسمين شرقية وغربية بسبب ضعف "أرسلان خان"، وأصبحت الدولة الشرقية تشمل تركستان وعاصمتها "بالاساغون" ثم انتقلت إلى "كاشغر"، أما الدولة الغربية فشملت إقليم ما وراء النهر وعاصمتها بخارى، وتصارع على إقليم ما وراء النهر كل من "يوسف بن علي تكين"، و"أبو إسحاق إبراهيم بن إيلك خان نصر"، ولقبه "بورتكين".¹²⁵

واستطاع أبناء "علي تكين" أن يلقوا القبض على "بورتكين" وأودعوه في السجن، إلا أنه هرب عام (1039م)¹²⁶، ثم حارب "يوسف بن علي تكين"، وانتصر عليه وسيطر على بخارى وسمرقند عام (522هـ / 1024م)، وأصبح حاكمًا لبلاد ما وراء النهر وخائنًا أعلى للدولة القراخانية الغربية.¹²⁷

أما بالنسبة إلى الدولة القراخانية الشرقية فقد تنازع كل من "أرسلان خان" وأخوه "بغراخان" على الحكم، وانتصر "بغراخان" على أخيه "أرسلان" وسجنه وأصبح الخاقان الأعلى للدولة القراخانية، ولكن اضطربت الدولة القراخانية الشرقية نظرًا للصراع الشديد على الحكم بين أبناء "بغراخان" بأن يكون الحكم من بعده لابنه الأكبر "حسين جغري تكين" ولكن طمعت الزوجة الثانية لـ بغراخان في تولية ابنها الحكم، فقامت بدس السم في طعام أعدته لـ "حسين جغري تكين" ونجحت في التخلص منه، ثم حرصت بعض خدمها لقتل "أرسلان خان" فقتل عام (439هـ / 1048م) فثار عليها أبناؤه وأبناء بغراخان مما

¹²⁵ Ekber N. Necef : Karahanlılar, S.334.

¹²⁶ Ekber N. Necef : Karahanlılar, A.G.E,S.347.

¹²⁷ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص51.

أدى إلى اضطراب الدولة القراخانية الشرقية، وانتهاز الفرصة "طفغاج خان إبراهيم" حاكم الدولة القراخانية الغربية واستطاع أن يسيطر على العديد من مدن تركستان.¹²⁸

واستطاع "طغرل خان" شقيق "بغراخان" أن يعيد الاستقرار للدولة القراخانية الشرقية وذلك عند توليه الحكم بعد وفاة "بغراخان" عام (451هـ)، ولقد ترك "طفغاج" الحكم لابنه "شمس الملك" بعد أن زهد الحكم فتصارع "طغان خان" مع أخيه "شمس الملك" على الحكم ولكن غلبه "شمس الملك"، وكذا تصارع "شمس الملك" مع "طغرل خان"، ولكن انتهى الأمر بالصلح وقسموا البلاد فيما بينهما إلى أن ظهر خطر السلاجقة على الدولة القراخانية فتحالفا لصد هذا الخطر عن البلاد.¹²⁹

وقد ساءت العلاقة بين البلدين عندما سلب "ألب أرسلان" بلاد ما وراء النهر في عهد عمه "طغرل بك" فتصدى له "بورتكين" حتى عاد إلى خراسان ثم تمت معاهدة تحالف بينه وبين كل من "شمس الملك" و"طغرل خان"، ولكن لم يستمر هذا التحالف طويلاً إذ طمع "ألب أرسلان" مرة أخرى في السيطرة على بلخ وترمز وغيرها من البلاد الواقعة على ضفاف نهر جيحون ونجح بالفعل في السيطرة على تلك البلاد، ولكنه قتل على يد "يوسف الخوارزمي" حاكم قلعة تقع بالقرب من سمرقند، فعندما حاصر "ألب أرسلان" تلك القلعة نجح "يوسف الخوارزمي" في القضاء عليه عام (465هـ / 1072م).¹³⁰

وتولى "ملكشاه" حكم السلاجقة بعد "ألب أرسلان"، وقد أمر الجيش بالعودة إلى خراسان فقام "شمس الملك" بمهاجمة السلاجقة، وتنازع مع "ملكشاه" وانتصر عليه¹³¹، ولكن السلطان "ملكشاه" أعد جيشاً ضخماً عام (466هـ / 1073م) وتوجه إلى ترمز وحاصرها، ثم توجه إلى سمرقند فطلب "شمس الملك" عقد الصلح، وتم الصلح وعاد السلطان "ملكشاه" إلى خراسان.¹³²

¹²⁸ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر ، المصدر السابق ، ص52 ، ص53.

¹²⁹ هاجي نور هاجي : فه دمكي ئويغورلار ۋه قاراخانيلاز ، مصدر سابق ، ص292.

¹³⁰ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر ، المصدر السابق ، ص57.

¹³¹ هاجي نور هاجي : المصدر السابق ، ص293.

¹³² Nesimi Yazıcı : İlk Türk – İslâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.80.

تولى "طغرل تكين" الحكم في الدولة القراخانية الشرقية وذلك بعد وفاة أبيه "طغرل خان" عام (467هـ / 1074م), أما الدولة القراخانية الغربية فقد تولى حكمها "شمس الملك" بعد وفاة "خضر خان" عام (472هـ / 1079م).¹³³

- أحمد خان :

تولى "أحمد خان" الحكم بعد وفاة أبيه "خضر خان" عام (474هـ / 1087م), وقد كان سيئ الخلق ويعادي الفقهاء ويقتل العلماء المسلمين بصورة علنية, فغادر البلاد الكثير من الفقهاء والعلماء وكان على رأسهم الفقيه "أبو طاهر الشافعي" الذي اتجه إلى "مرو" وتوجه إلى السلطان "ملكشاه" وشكا إليه "أحمد خان", فانتهاز "ملكشاه" الفرصة وجهز جيشًا كبيرًا عام (482هـ / 1089م) وهجم على تركستان الغربية وتصدى له "أحمد خان", وبعد عدة حروب دامية انهزم "أحمد خان" ووقع أسيرًا في يد "ملكشاه", بعد ذلك رغب السلطان "ملكشاه" في السيطرة على الدولة القراخانية الشرقية فأرسل إلى "طغرل تكين" الخان الأعلى للدولة القراخانية الشرقية يطلب منه تبعيته للسلاجقة وضرب السكة باسمه فوافق "طغرل تكين" على طلبه, وبعد أن عاد السلطان "ملكشاه" إلى خراسان تمرد أهل سمرقند بقيادة أحد القادة ويدعى "عين الدولة علي أبي طاهر" نائب السلطان في بلاد ما وراء النهر, وطلب عين الدولة من "يعقوب تیکن" شقيق "طغرل تكين" بأن يحضر إلى سمرقند لاعتلاء عرش بلاد ما وراء النهر, ولكن فكر "يعقوب تیکن" في أن يتخلص من "عين الدولة" حتى يمارس سلطته على بلاد ما وراء النهر حيث رأى أن الحكم الفعلي للبلاد ليس له ولكن لـ "عين الدولة", ونجح بالفعل في التخلص من "عين الدولة", وعندما علم "السلطان ملكشاه" بما حدث توجه إلى بلاد ما وراء النهر عام (483هـ / 1090م), فهرب "يعقوب تیکن" إلى مقر حكمه في "آت باشي", فطلب السلطان "ملكشاه" من الخاقان الأعلى في "كاشغر" أن يقبض على أخيه "يعقوب تیکن", وتمكن الخاقان الأعلى من القبض على

¹³³ هاجي نور هاجي : قه دمكى نويغورلار و ه قاراخانيلاز , مصدر سابق , ص272.

أخيه ولكنه رفض أن يسلمه إلى السلطان "ملكشاه" فهدده السلطان بغزو بلاده ، فبعثه للسلطان "ملكشاه" وطلب منه العفو عنه.¹³⁴

وأراد السلطان "ملكشاه" أن يتخلص القراخانيون من بعضهم البعض, فانتهاز الفرصة عندما قام أحد الأمراء القراخانيين ويدعى "طغرل" ينال " بغزو "كاشغر" فاتفق مع "يعقوب تكين", على مواجهة "طغرل ينال", ولكن لم يتحقق مراده إذ رفض أهل سمرقند حكم السلاجقة فأمر السلطان "ملكشاه", بأن يفرج عن "أحمد خان" وأن يتولى الحكم على بلاد ما وراء النهر ولكن يجب أن يتبع الحكم السلجوقي¹³⁵, ولكن بعد الإفراج عن "أحمد خان" وتوليه الحكم أظهر بعض أفكار الزندقة¹³⁶ التي تعلمها على يد جماعة الديلم¹³⁷ الذين كانوا يقومون بحراسته في السجن, فاتفق العلماء على قتله وقتلوه عام (488هـ/1095م)¹³⁸, وتولى من بعده أخوه "مسعود خان" ودام حكمه ثلاث سنوات حيث توفي عام (491هـ/1098م), ثم تولى من بعده "قدرخان جبريل بن عمر" وهو أحد أمراء القراخانيين حيث لم يكن للخان "مسعود" من يرثه.¹³⁹

● سقوط الدولة القراخانية الشرقية :

تولى الخان "أحمد بن الحسن" حكم البلاد بعد وفاة أبيه الخان "طغرل تكين" عام (1113م), ولكن تعرضت البلاد في بداية حكمه للاضطرابات بسبب تمرد بعض القبائل المجاورة لهم في الشمال

¹³⁴ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص65.
¹³⁵ Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.85.

¹³⁶ الزندقة : يطلق عليها أيضًا "هرطقة" وهي مصطلح عام يطلق على حالات عديدة يُعتقد أنها أطلقت تاريخيًا لأول مرة من قبل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانوية أو الوثنية والدجالين ومدعي النبوة والذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم وهما النور والظلام , ولكن المصطلح بدأ يطلق تدريجيًا على الملحدين وأصحاب البدع واستعمل البعض تسمية زنديق على كل من يخالف مبادئ الإسلام الأساسية وأصول الشريعة الإسلامية (انظر : www.eikipedia.org.wiki)

¹³⁷ الديلم : هم جماعة من العجم كانوا في الأصل من الأكراد , وكانوا يسكنون نواحي أذربيجان, كان لهم دور مهم في الدولة الساسانية , وقد امتد وجود الديلميين في بلاد ما بين النهرين (العراق) وأسلم الديلميون مبكرًا وأحسنوا إسلامهم وشاركوا مع المسلمين العرب في قتال الفرس . (انظر : www.eikipedia.org.wiki).

¹³⁸ Nesimi Yazıcı : ilk Türk – islâm Devletleri Tarihi, A.G.E,S.85.

¹³⁹ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , المصدر السابق , ص65.

والجنوب, وعجز الخان "أحمد بن الحسن" عن صدهم مما دفع حاكم "بالاساغون" إلى الاستعانة بالقراخطاي¹⁴⁰, فطلب من الأمير "نوسى خان" أن يساعده في محاربة الثوار والانتقاليين في البلاد, فقام "نوسى خان" بالمهمة خير قيام وهزم الثوار, فكافأ "إيلك خان" الأمير "نوسى" بمنصب القائد العام للجيش وأمره بالبقاء في "بالاساغون", وتظاهر "نوسى خان" بالإخلاص, واستدعى جمعاً غفيراً من رجاله إلى "بالاساغون" وتولى الإشراف على كل الشؤون الإدارية, وفي عام (598هـ / 1134م) قام "نوسى خان" وأعوانه بالهجوم على بلاط "إيلك خان" وأسره وأفراد أسرته, واستولى "نوسى خان" على بالاساغون وجعلها عاصمة له ومقرّاً لحكمة, وفي غضون أربعة شهور أو خمسة أجبر الخانيات على الدخول تحت قيادته وسيادته, ثم استولى على مدينة كاشغر وجعلها العاصمة لقربها من تركستان الغربية وكذا استطاع أن يخضع خوتن وياركند وكوجار لسيادته ثم أطلق على نفسه لقب "گورخان" أي الخان العظيم, وبذلك قضى القراخطاي على الدولة القراخانية الشرقية.¹⁴¹

● سقوط الدولة القراخانية الغربية :

تولى "نصرخان" حكم الدولة القراخانية الغربية عندما مرض أبوه "أرسلان خان" وذلك عام (524هـ / 1130م), ولكنه قُتل بتحريض من "حسن الشريف بن محمد العلوي" وهو أحد فقهاء سمرقند الذي أراد أن يتولى حكم البلاد, فاستدعى "أرسلان خان" ابنه "محموداً" وطلب المساعدة أيضاً من السلطان "سنجر"¹⁴², ولكن تمكن ابنه "محمود" من القضاء على المتآمرين, فطلب من السلطان "سنجر" أن يعود فغضب السلطان من ذلك وتوجه إلى سمرقند وحاصرها, فتحصن "أرسلان خان" ببعض

¹⁴⁰ القراخطاي : قبيلة تركية كانت تسكن في الجنوب من منطقة "مانجو" ويقال لها "قبطاي" ويطلق عليها التركستانيون اسم "خيطاي" وتطلق المصادر التاريخية الصينية عليها "ليا أو" وكان حكام القراخطاي بجوار بالاساغون يسمون عند المسلمين وعند المغول باسم گورخان ويقول المؤلفون المسلمون إن معناه "خان الخانات" و كان حكم هؤلاء "الگورخانات" مبسوطاً على مساحات واسعة تمتد من خوارزم إلى بلاد الأويغور, وكان بدء حكمها في بلاد منشوريا وشمال الصين, ولما انقضى عهدها من هذه البقاع رجع الفارون من قلولها إلى الوطن الأصلي في تركستان وهذه الدولة كانت تركية ولكنها غير إسلامية , واستطاع جنكيز خان أن ينتصر عليهم وأن يقوم بتوحيد الأتراك تحت راية واحدة , وحلت الدولة المغولية محل دولة قاراخطاي, (انظر : عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا , مصدر سابق , ص61)

¹⁴¹ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية , مصدر سابق ص232 , ص233

¹⁴² هاجى نور هاجى : قه دمكى نويغورلار و قاراخانيلاز , مصدر سابق , ص283..

حصونها فمنحه السلطان الإمارة ثم أرسله إلى ابنته "تركان خاتون" زوجة السلطان "سنجر", فمكث عندها إلى أن وافته المنية.¹⁴³

أسند السلطان سنجر حكم سمرقند إلى "حسن تكين" أحد أمراء الأسرة القراخانية وعاد إلى خراسان, ولكنه توفي بعد عدة شهور فأعاد السلطان حكمها إلى "محمود خان" بن "أرسلان خان" وعندما حدث خلاف بين حكام بعض مدن بلاد ما وراء النهر في عام (1137م) انحاز القراخطي إلى رؤساء القبائل وسيطروا على العديد من المدن¹⁴⁴, وعندما اقتربوا من سمرقند جهز الخان "محمود" جيشه لمواجهةهم, ولكن انتصر القراخطي عليه عام (531هـ/1137م), فاستنجد الخان محمود بالسلطان سنجر, فلما علم القراخطي بقصد السلطان لهم كتب "گورخان" حاكم القراخطي إلى السلطان يطلب منه العفو, فرفض السلطان طلبه فاستعد الطرفان للقتال وتقابلا في صحراء قطوان شمال سمرقند واشتد القتال بينهم واستطاع القراخطي أن يحاصروهم وقتلوا الكثير منهم وعلى رأسهم "تركان خاتون" زوجة السلطان "سنجر" والأمير "قماج" بينما فرَّ السلطان سنجر والخان "محمود" مع عدد قليل من الجند إلى خراسان وبذلك انتهت الدولة القراخانية الغربية عام (563هـ/1141م) وخضع المسلمون في بلاد ما وراء النهر لحكم القراخطي.¹⁴⁵

وبذلك نستطيع أن نقول إن سبب انهيار الدولة القراخانية الشرقية والغربية هو النزاعات الداخلية بين حكام الدولة والذي استغله الغزنويون, وكذا استغله سلاطين السلاجقة إلى أن سقطت الدولة القراخانية وانتقل نفوذها إلى "قراخطي" التركي الوثني.

¹⁴³ هاجي نور هاجي : قه دمكي نويغورلار و ه قاراخانيلاز مصدر سابق , ص 297.

¹⁴⁴ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق ص 123

¹⁴⁵ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص 78.

وبعد عرض تاريخ الدولة القراخانية سنذكر نبذة بسيطة عن مسكوكاتها حيث نستطيع من خلال تلك المسكوكات تتبع الأحداث التاريخية في الدولة القراخانية لأنها تعكس الجوانب التاريخية السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية لذلك العصر الذي سُكت فيه.

• المسكوكات :

تعد المسكوكات¹⁴⁶ الإسلامية وثائق مهمة يستنبط منها الحقائق التاريخية، وتأتي أهمية دراسة النقود القراخانية لتتبع مجرى الأحداث التاريخية في هذه الدولة، ويقول "ستانلى بول" : "إن تواريخ أسماء القراخانيين وتواريخ ولادتهم وتواريخ جلوسهم على العرش ووفاتهم أخذت من العملات المعدنية التي وُجدت في متاحف بطرسبورج وبرلين".¹⁴⁷

ومن خلال المسكوكات الوفيرة وُجد أسماء أخرى لبعض المدن، مثل: مدينة "بالاساغون"، وهي "قزاردو"، و"قزاردوكند" نادرة جداً، ولقد حملت هذه الدراهم نصوصاً دينية تتشابه في كتابتها الدينية مع الدراهم العباسية وهذه الدراهم تثبت أن القراخانيين أعلنوا أنفسهم "موالي أمير المؤمنين" وضربوا العملة باسم الخليفة القادر¹⁴⁸، فمثلاً في دراهم "ايل اردو" الضرب سنة 406 هـ عبارة "لا إله إلا الله لا نعبد إلا الله"، أما في درهم "قزاردو" المضروب سنة 408 هـ حمل شطري كلمة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله" في وسط الوجه، كما وجد للقراخانيين عملة عليها نقوش أويغورية ثم أخذت تتلاشى تدريجياً إلى أن حلت محلها الحروف العربية.¹⁴⁹

ونستطيع أن نقول: إن المسكوكات القراخانية تؤكد أنهم لم يعادوا دولة الخلافة في بغداد، ونرى ذلك بوضوح من خلال مسكوكاتهم التي تتشابه في كتاباتها الدينية مع الدراهم العباسية.

¹⁴⁶ كانت العملة المستخدمة في الدولة القراخانية هي الدرهم (انظر : زياد محمد هوش : مصدر سابق ص36)

¹⁴⁷ محمد أمين بوغوا: (تاريخ تركستان الشرقية) , مصدر سابق ص316.

¹⁴⁸ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي) مصدر سابق ص186

¹⁴⁹ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص 107 ، 108



سنة الضرب 406 هـ



سنة الضرب 408 هـ

الفصل الثاني

المظاهر الحضارية في الدولة القراخانية

كان لإسلام القراخانيين وفتحهم بلاد ما وراء النهر نتائج مهمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، والتي تتمثل في نظم الإدارة والعمارة والحياة الاقتصادية من صناعة وزراعة وتجارة والحياة الاجتماعية والحياة الثقافية والدينية¹⁵⁰.

أولاً - فن العمارة

بلغت المدنية ذروتها في عهود القراخانيين في تركستان الغربية فكان في سمرقند وبخارى ومرغينان وأوزكند حضارة راقية، ففي هذه المناطق جوامع ومدارس وأضرحة تتميز بقباب عالية، وكان هناك أيضاً أنهار اصطناعية وجداول لروافد المياه ومدن مزينة وطرق وكباري وقصور ملكية، أما منطقة تركستان الشرقية ومدنها وآثارها القديمة فيذكرها قليل من المؤرخين بشكل مجمل وموجز وذلك لأن الكثير من المدن في تركستان الشرقية تهدمت واندثرت، غير أن بعضاً منها لا تزال آثارها باقية وكذا أسماؤها، ولكن مدناً كثيرة ذكرتها كتب التاريخ لم نجد لها أثراً حتى الآن وفي كتاب (تاريخ رشيدى) يذكر مؤلفه رؤيته لآثار مدن ومساجد وجوامع وأضرحة ومنارات في سياحته في تركستان الشرقية، كما تنبئنا الكشوفات الأثرية عن كثير من مخلفات مدنية في عصور القراخانيين ورقى باهر في تلك الفترة، ولقد تأثر القراخانيون بالطراز الإسلامي فشيّدوا العديد من المساجد والمدارس والخانات والقصور والأسواق وغيرها¹⁵¹، وخاصة في مدن كاشغر وخوتن وبالاغون وبارسغان، أما مدن قرجو وبش باليق وإيلي وأمثالها فحافظت على كثير من آثار بناياتها القديمة والتي تخبرنا بأنها في زمانها كانت في غاية الرقي وال عمران¹⁵²، وعدد المدن في الدولة القراخانية كبير فبلغ عدد المدن من تاراز¹⁵³ في شرق

¹⁵⁰ حسن أحمد محمود (دكتور): الإسلام في اسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي) ، مصدر سابق ، ص186
¹⁵¹ Ahsen Utku : A.G.E,S,21.

¹⁵² محمد أمين بوغرا : مصدر سابق ، ص313.

تركستان حتى أترار¹⁵⁴ مائة وثلاثين مدينة, وبلغ عدد مدن أعمال طشقند خمسين مدينة أهمها أسفيجاب¹⁵⁵, وبلغ عدد مدن فرغانة تسعاً وثلاثين مدينة ومدن أعمال بخارى تسعاً وعشرين مدينة.¹⁵⁶

وقام القراخانيون بتزيين المدن بالعمارات العالية الجميلة وإقامة الرباطات على الطرق الكبرى, ولقد وجد بالقرب من بعض المدن ما يدل على تقدم الحضارة القراخانية, فقد اكتشف بالقرب من مدينة خوتن قصور ذهبية اللون, واكتشف بالقرب من مدينة كاشغر مقبرة للقراخانيين فيها زخرفة متناهية الدقة.¹⁵⁷

• المساجد :

أقام القراخانيون مساجد ذات مآذن ضخمة من الحجر¹⁵⁸, ومن ثم فما تزال أقدم المآذن القراخانية باقية حتى الآن في وسط آسيا, وكان هناك تطور رائع في استخدام الطوب في العمارة, فمسجد "طلختان بابا" الذي يرجع إلى القرن الحادي عشر أو بداية القرن الثاني عشر والذي يبعد ثلاثين كيلومتراً عن مدينة مرو القديمة, وقد بني بالحجر, ونرى أقدم أمثله للمآذن القراخانية مئذنة "بورانا" في "بالاساغون" التي تدل على روعة العمارة القراخانية فالمئذنة التي يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر – ذات أسطوانة غليظة تأخذ في النحول كلما ارتفعنا نحو قمته وتزينها أشرطة من الزخارف الهندسية, ولم يبق من ارتفاعها الذي كان يقدر بأكثر من أربعين متراً إلا اثنان وعشرون متراً, وكانت هذه المئذنة تشرف على

¹⁵³ تاراز : وهي مدينة في مقاطعة أوبليس جامبيل في جنوب كازخستان ويبلغ عدد سكانها حوالي 398,233 نسمة (انظر : www.wikipedia.org/wiki)

¹⁵⁴ أترار : هي مدينة فاراب والتي تقع في إقليم خراسان (انظر : www.arab.ency.com)

¹⁵⁵ أسفيجاب : سايرام حالياً في كازاخستان (انظر : www.arab.ency.com)

¹⁵⁶ عبد الغني زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ماوراء النهر , مصدر سابق , ص 82

¹⁵⁷ هاجي نور هاجي : قه دمكي نويغورلار وه قاراخانيلا , مصدر سابق , ص 348.

¹⁵⁸ الحجر : هو الطوب اللبن مادة من مواد البناء تستخدم في إنشاء الجدران والسقوف المقببة , وصناعة الحجر من أقدم صناعات مواد البناء وتقوم صناعة الحجر على عملية طويلة تبدأ باستخراج الصلصال , وهو يتطلب وجود كمية كبيرة من المياه يستخرج الصلصال ويمزج بالمياه قبل أن تتم قولبة حجارة الحجر في قوالب من خشب على سطح مغطى بالرمال بهدف تجنب التصاق الحجر تترك الحجارة بعد استخراجها من القالب حتى أربعة أسابيع لاثنتي عشرة ساعة أقله , وتتطلب إعادة تبريد الفرن بهدف استخراج الحجارة عدة أيام بالتالي تستغرق المرحلة الممتدة من إدخال الحجارة إلى الفرن حتى استخراجها من أسبوع إلى أسبوعين أو حتى ثلاثة أسابيع وفق حجم الحجارة وكميتها. (انظر : www.wikipedia.org/wiki)

مدينة "بالاساغون" القديمة كلها, وكذا نجد منارة أو منڈنة "أوزجين" (في المصادر العربية أوزكند) في جنوب قرغيزستان (تركستان الغربية) التي بنيت في نهاية القرن الحادي عشر, وهذه المنارة قطرها 9.4 أمتار وارتفاعها 17متراً وهي مبنية من طوب غليظ وتدور حولها صفوف من الزخارف الهندسية

159 .

ومن الجوامع التي تعبر عن معالم الحضارة الإسلامية جامع "عيدكاه" وجامعته فش كاشغر ويعنى اسم الجامع " ساحة العيد" وسمى بهذا الاسم؛ لأن أهل كاشغر كانوا يمضون أيام عيد الفطر وعيد الأضحى ولياليهما إلى جواره وهذا الجامع الجامعة أكبر مساجد الشرق وتبلغ مساحة الجامع والجامعة حوالي ثمانية عشر ألف متر مربع ويُدرّس بجامعته العديد من المجالات من طب وكيمياء ورياضيات ودين وفلسفة وأيضاً من الجوامع التي تعبر عن الحضارة الإسلامية المسجد الجامع في بخارى الذي بناه "شمس الملك نصر بن إبراهيم".¹⁶⁰

• النُّزُل :

ترجع أقدم الخانات أو محطات الرحال المعروفة في تاريخ العمارة التركية إلى زمن القراخانيين وتُسمى بالرباطات, وكان لها تأثير واضح ومهم على التخطيط المعماري ليس فقط بالنسبة إلى الخانات ولكن بالنسبة إلى المدارس والمساجد أيضاً, وقد بنى "شمس الملك نصر بن إبراهيم" – قصر "شمس آباد" قرب بخارى, كما بنى اثنين من الخانات أحدهما على طريق بخارى – سمرقند المسمى بـ "رباط الملك", وقد بُني عام (178هـ - 1089م), والثاني على طريق سمرقند – خجند, وكذا اهتم القراخانيون ببناء العديد منه في رياض كاشغر وما وراء النهر.¹⁶¹

¹⁵⁹ زياد محمد هوش : القراخانيون في تركستان , مصدر سابق , ص22, 23.

¹⁶⁰ زياد محمد هوش : القراخانيون في تركستان , المصدر السابق ص24.

¹⁶¹ زياد محمد هوش : المصدر السابق , ص24.

وبذلك نرى أن القراخانيين كان لهم دور بارز في التطور الحضاري في الأعمال الفنية في المعمار والزخرفة, وتأثر بهم السلاجقة, ولقد كانت الحضارة الإسلامية الأولى تحمل طابعاً عربياً, ثم دخلت العناصر الإيرانية حتى صار الأتراك العنصر الثالث في هذه الحضارة العظيمة بدءاً من النصف الثاني من القرن الحادي عشر.¹⁶²

وأكثر من اشتهروا بالعمارة من القراخانيين :

أحمد بن الخضر بن إبراهيم بن إيلك خان نصر (توفي عام 1095م) بنى قصراً جديداً في "جويبار" ببخارى, وظل مركزاً للحكم مدة ثلاثين عاماً, و"أرسلان خان محمد تكن بن سليمان" (توفي عام 1132م) اشتهر بعماراته العديدة ومعظم آثار مدينة بخارى تم بناؤها على يديه وأعاد بناء مدينة بيكند كما بنى مدرسة في مرو وطمغاج خان إبراهيم بن الحسين بن الحسن (توفي عام 1204) بنى قصراً نفيساً بسمرقند.¹⁶³

بذلك نستطيع أن نقول إن القراخانيين لهم إسهام كبير في ترسيخ العمارة التركية, الأمر الذي اتضح من خلال تطورهم في المساجد والخانات والمدارس والمقابر.

ثانياً - الحياة الاقتصادية :

• الزراعة :

اعتمدت الزراعة على نظام الري فالمناخ جاف والأمطار قليلة¹⁶⁴, فحفرت الآبار والترع والأنهار الاصطناعية والجداول في جميع مقاطعات البلاد لتسهيل تنمية الزراعة, وقد اجتهدوا في إيجاد

¹⁶² سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك", بحث منشور 1993م , ص12.

¹⁶³ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان , مصدر سابق ص25.

¹⁶⁴ Ahsen Utku : Doğu Türkistan (ipek yolu'nun Mahzun üllkesi) A.G.E,S,13.

توفير مياه الري للأراضي فحفروا الآبار الارتوازية وأقاموا سدوداً وترعاً وأحواضاً ليحافظوا على الماء, ونجد الآن مئات من تلك الآبار الارتوازية¹⁶⁵ في مدينة تورفان.¹⁶⁶

كان غالبية العاملين في ميدان الزراعة يزرعون بموجب المشاركة , وكانوا يعتمدون على فلاحه أراضي غيرهم مقابل الحصول على حصة معينة من المحصول, ولم يكن هناك ضرائب على الأراضي الزراعية سوى الخراج, ولم تكن قيمة الخراج محددة فكانت معتدلة في بعض العصور ومرتفعة في عصور أخرى.¹⁶⁷

أما عن أهم المحاصيل الزراعية فهي القمح والشعير والحمص والعدس والذرة والقطن, والفواكه مثل : العنب والتفاح والكمثرى والمشمش والخوخ والبطيخ والسفرجل, والخضروات مثل: الخيار والبصل¹⁶⁸, ولقد تعجب الرحالة (جانغ چين) حينما زار تركستان الشرقية خلال عامي 139, 121 ق.م. فقد وجد فيها أنواعاً شتى من الفاكهة والنباتات التي لم تعرفها الصين, وقد أخذ معه إلى الصين أكثر من عشرين نوعاً مختلفاً من بذور الفاكهة والنباتات, ولقد أطلق الصينيون أسماء أخرى على هذه النباتات والفاكهة تركستانية الأصل والمنشأ إلى جانب أسمائها الأصلية¹⁶⁹, ويرتبط بالزراعة نشاط الرعي فلقد اهتم الرعاة الرحل بشكل رئيس بتربية الأغنام والأبقار والخيول والإبل, وكانوا يعتمدون في حياتهم على

¹⁶⁵ الآبار الارتوازية : ينفجر منها الماء تلقائياً وذلك من خلال تسرب ماء الأمطار إلى باطن الأرض من خلال الفجوات الأرضية حيث تتجمع المياه بشكل مضغوط في طبقات الأرض , وإذا تسربت المياه بين طبقتين انحصرت بينهما , فلا يستطيع الصعود أو النزول؛ لأنه محصور بينهما , وعندما يقوم الإنسان بثقب أية جهة من جهات تلك الطبقة وتصادف أن الماء متجمع تحتها انفجر منها ونبع إلى فوق إلى بعد أمتار محدودة بقدر سطح البحيرة التي نشأ منها. (انظر : www.wikipedia.org.wiki)

¹⁶⁶ محمد أمين بوغرا : ترجمة محمد قاسم أمين (تاريخ تركستان الشرقية) , مصدر سابق , ص317.

¹⁶⁷ عبد الغني زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , مصدر سابق , ص82

¹⁶⁸ Ahsen Utku : A.G.E,S,13.

¹⁶⁹ بولات تورفاني : (تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني) , ترجمة : إسلام صالح عبد الفتاح (دكتور), مصدر سابق , ص32.

ما يحصلون منها من لحوم وألبان وصوف وغيره, وقد ازداد خلال هذا العصر الانتقال من حياة البداوة الى حياة التمدن نظرًا لتطور الزراعة.¹⁷⁰

• الصناعة :

اشتهر القراخانيون بصناعتهم الراقية, وهم الذين أبطلوا العهد المعروف بالعهد الحجري باستخراج الحديد والنحاس والقصدير وصنعوا أسلحتهم بها, ونجد أن جبال طلاس غنية بخامات الحديد والنحاس والذهب والقصدير والنفط, وأصبحت وديان طلاس مركزًا ضخمًا لإنتاج الفضة والرصاص, وكانت جبال فرغانة مناجم لاستخراج الذهب والفضة والزنابق والحديد والنحاس, وكذا كانوا يستخدمون الفيروز والحديد والقصدير من جبال طشقند, وقد اكتشف علماء الآثار بقايا المعادن المنصهرة وورش تعدين في منطقة "تشات" بالقرب من جبال طلاس, وورش لصناعة الزجاج في سمرقند وأوزكند, ومارس سكان القرى حرفة الصناعة وكانت منتجاتهم تزيد عن حاجاتهم فكانوا يبيعونها في المدن أو يصدروها للتجار إلى البلاد الأخرى, واشتهر القراخانيون بصناعة النسيج, فقد عرفوا تربية دودة القز وصناعة الحرير منها, وعرفوا أن ينسجوا منها مختلف المنسوجات الحريرية الراقية, وكانت صناعة النسيج على اختلاف أصنافها وألوانها ومواردها المتباينة غاية في التقدم والمتانة وألوان جذابة ثابتة, ومما يثبت مهارتهم في صناعة النسيج ما اكتشف من أقمشة حريرية ووبر وقطن وبقايا أكفان الجنود الذين ماتوا في الحروب من جيوش القراخانيين, واشتهر القراخانيون بصناعة الخزف وآلات الزراعة ونشروا تلك الصناعات وأصولها في العالم أجمع.¹⁷¹

¹⁷⁰ عبد الغني زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر , المصدر السابق , ص 81.

¹⁷¹ هاجي نور هاجي : قه دمكي نويغورلار وه قاراخانيلار , مصدر سابق , ص 385.

وبذلك نرى تقدم القراخانيين في الصناعة التي تعد عنصراً رئيساً من عناصر التجارة فكان

الفائض من حاجة البلاد يصدر إلى الدول المجاورة من ذهب وفضة ونحاس.¹⁷²

• التجارة :

كانت دولة القراخانيين مركزاً للتجارة العالمية حيث كان يمر بها طريق الحرير، وهو مجموعة من الطرق المترابطة كانت تسلكها القوافل والسفن، ويمتد من المراكز التجارية في شمال الصين حيث ينقسم إلى فرعين شمالاً وجنوباً؛ يمر الفرع الشمالي من منطقة بلغار وعبر شرق أوروبا وشبه جزيرة القرم وحتى البحر الأسود وبحر مرمرة والبلقان ووصولاً إلى البندقية، أما الفرع الجنوبي فيمر من تركستان وخراسان وعبر بلاد ما بين النهرين وكردستان والأناضول وسوريا عبر أنطاكية إلى البحر الأبيض المتوسط أو عبر دمشق وبلاد الشام إلى مصر وشمال أفريقيا، وسُمي بطريق الحرير؛ لأن الصينيين قد اكتشفوا صناعة الحرير سنة 3000 قبل الميلاد وعرفوا في هذا الوقت المبكر فنوناً مبهرة لإتقان صنعه وتطريزه، وقد أذهلت هذه الصناعة عقول الناس قديماً، فسعوا إلى اقتناء الحرير بثمن السبل، حتى أنهم كانوا يحصلون عليه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة، وقبل خمسة آلاف سنة بدأ الحرير يأخذ طريقه من الصين إلى أرجاء العالم، ليس الحرير وحده بالطبع، وإنما تسربت معه بضائع كثيرة ما لبث انتقالها من الصين وأقصى آسيا إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا ووسط أوروبا حتى عرف منذ الزمن القديم باسم طريق الحرير، وكان لطريق الحرير تأثير كبير على ازدهار كثير من الحضارات القديمة، مثل: الصينية، والحضارة الهندية، والرومانية، وفي ظل سيادة البلاد وأمنها في عهد القراخانيين وأمنها ازدهرت التجارة العالمية وراجت بين الشرق والغرب حيث كانت البلاد همزة وصل بين

¹⁷² محمد أمين بوغرا : ترجمة محمد قاسم أمين (تاريخ تركستان الشرقية) ، مصدر سابق ، ص 315.

الطرفين، ولقد سادت تجارة البذل في عهود القراخانيين حيث تتبادل السلع بسلع أخرى وكانت القوافل التجارية (الكاروان) تجوب البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ولهم أسواقهم التجارية.¹⁷³

وبنى القراخانيون مراكز واستراحات؛ لتسهيل سبل التجارة الزاهبة والآية، وبنوا مخازن عبر الطريق هنا وهناك؛ لتخزين عشب الحيوانات والحبوب وما تحتاج إليه القوافل التجارية من أغذية، وقد بقي إلى عصرنا هذا أجزاء من هذه المنشآت قائمة وصالحة للاستعمال، وكان القراخانيون يضعون علامات خشبية لإرشاد القوافل ورجال التجارة في الصحاري وعدم ضياعهم، وكانوا يسمون هذه العلامات بـ (ايللا)¹⁷⁴.

ثالثاً - الحياة الإدارية :

كان زمام الحكم في الدولة القراخانية في قبضة الخاقان الأعلى ومقره الدائم في العاصمة كاشغر ثم بالاساغون إلا أن السلطة كانت لا مركزية وموزعة بين الأقرباء ورجال الحاشية المقربين، وكانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلال وحرية التصرف في إقطاعاتهم، وللقراخانيين رتب حسب المناصب الإدارية في الدولة، من كان يلقب بـ "بغراخان" أو "قاراخان" أو "تونكاخان" وهذا من له من فتوحات وحظوظ فائقة تسببت في ازدهار الدولة وتقدمها وتفوقها على جيرانها، ومن السلاطين من كان يلقب بـ "قدرخان" أي ذو القوة والمنعة وهو من ينسب إليه الجلالة، وذو هيبة وقوة، ومن السلاطين من يلقب بـ (قليج خان) وتعني سيف الدولة وهو من ينسب إليه القرار النافذ والفصل المبين، ومن السلاطين من يلقب بـ (كول بلكه خان) وتعني ذا العلم اللدني وهو من ينسب إليه العلم والإدراك والدراية، أما الأمراء من الأسرة المالكة فيلقبون بـ "تكين" وتارة يلقبون بـ "تاريم"، ومن الأمراء من له قلب أسد لا يهاب ولا يخاف

¹⁷³ هاجي نور هاجي : قه دمكي ئويغورلار ۋە قاراخانيلار ، مصدر سابق ، ص 380.

¹⁷⁴ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية) ، مصدر سابق ، ص 319.

ويلقب بـ "تونغا تكين" أو بـ "ألب تكين" وتعني الأمير البطل، وكان يلقب الوزير بـ (يوغروش) ويقولون للحاجب "تايانغو" أي المؤتمن الشخصي، أما لقب "إيلك تكين" فكان يمنح للأمرء من سلالة الأسرة المالكة ويعني نائب قاراخان وهو الحاكم لمقاطعة ما، يحكم البلاد بوصفها بلادًا مستقلة وهي المقاطعات الكبيرة الواسعة.¹⁷⁵

واحتفظ القراخانيون بالكثير من الأنظمة التي كانت متبعة لدى أسلافهم السامانيين، واستخدمت المصطلحات نفسها التي كانت سائدة، مثل: حاجب، وخاص حاجب، ووزير، وكان بلاط الخان الأعلى وبلاط حاكم الإقطاع يعرف باسم "كابوغ" وهي كلمة تركية معناها خلية أو قشرة أو صدفة، والمشرف على البلاط يسمى "كابوغ باشي" (رئيس الخلية)، وكان يشرف على شؤون خزينة الدولة "أغيتشي" (حارس السلع الحريرية)، ورئيس التشريفات يُسمى "بيروك"، وحرس القصر يسمى "أوك ياتشي"، ورئيس الحرس يُسمى "ياشغاك" وهو المسؤول عن حماية الخان والقصر، وسياف الخان يسمى "جاندار" وكان الوزراء هم الذين يشرفون على السلطة الإدارية، واستمرت الدواوين التي كانت قائمة في عهد السامانيين، وكان كُتاب الدواوين وأمناء السر يحظون بمكانة مهمة.¹⁷⁶

وكان الجيش لدى القراخانيين يعرف باسم "بيريك" ويقسم إلى مجموعات عدد أفرادها من مائة إلى ألف مقاتل، وكان القائد العام الأعلى يلقب بـ "سوبوشلار" (زعيم)، وكان يطلق على صغار الضباط المشرفين على العمليات الحربية في أثناء القتال لقب "تشابوش"، ويطلق على قائد الفرسان "خيل باشي"، أما حكام الأقاليم فكانوا يعرفون برتبتين أو ينقسمون من حيث الرتب إلى قسمين:

الدرجة الأولى : درجة "إليك خانين" بمعنى نواب قاراخان؛ وهم الذين يحكمون المناطق البعيدة

عن مركز قاراخان، ولهم امتيازات واسعة، وكانهم حكام مستقلون في دائرتهم الإدارية، وكان لهم

¹⁷⁵ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية) ، مصدر سابق ، ص 319 ، 320.

¹⁷⁶ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور) : الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، مصدر سابق ، ص 319 ، 320.

مسكوكات متداولة بأسمائهم, وحق إعلان الحرب على الأعداء أو على من يتعدى عليهم, وإرسال البعثات بأسمائهم إلى مَنْ يريدون من الدول الأجنبية وقبول أوراق اعتمادهم وقبول البعثات الدبلوماسية الأجنبية, ولذا اعتقد بعض المؤرخين المسلمين أنهم حكام مستقلون.¹⁷⁷

أما الدرجة الثانية : فهم الذين اتحدوا مع واحدة أو أكثر من القبائل التركية وتظل هذه الوحدة تحت حماية قاراخان الترك بحكم الاستقلال الداخلي ذاتية الحكم من إمارات وخانيات, ويقال لهم حسب نظام الرتب والألقاب "يابغو", وكان قاراخان يحترم هذه الحكومات ويرعى شؤونهم, وكانت حكومات "اليابغو" ترعى طقوس أمتهم وأديانها وعاداتها وتقاليدها, وإذا مات "يابغو" يرث عرشه أحد أبنائه ولا يحتاج إلى تعيينه إلى موافقة القاراخان, أما الخانيات التي تحت حماية قاراخان فهي: قوجو وإيكي أوكوز وألتاي وقمول وباركول ووأوج إيل, وكانت منطقة "خوتن" تحت إدارة "جوري" أو "قليج خان" وهي صفات أحد الأعيان أو الرؤساء من أهل خوتن, أما منطقة الأنهر السبعة (تیه سو) التي تمتد من شرق ضفاف نهر "إيلي" إلى نهر "إرتش" فكانت هذه المنطقة الواسعة تحت إدارة رئيس قبيلة قارلوق, ويحمل هذا الرئيس لقب "يابغو", وحرى به أن يكون من الأعيان.¹⁷⁸

ولقد شهدت البلاد سيطرة الأرسطوقراطية الإقطاعية الذين عرفوا باسم الدهاقين¹⁷⁹, وكانت الملكية الإقطاعية قائمة في عصر السامانيين, إذ انتقلت الأراضي السلطانية إلى ملكية الخان القراخاني, أما أملاك الأمراء السامانيين وخدمهم فعادت ملكيتها إلى الدولة مباشرة, وقام القراخانيون بتقسيمها إلى إقطاعات وتوزيعها على القادة والأمراء.¹⁸⁰

¹⁷⁷ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية), مصدر سابق , ص 305.

¹⁷⁸ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية), مصدر سابق , ص 306.

¹⁷⁹ الدهاقين : مفردهما "دهقان" وتجمع في الفارسية (دهاقون) وهو لفظ معرب من اللغة الفارسية , وورد في القرآن (وكأساً دهاقاً) , والدهقان هو التاجر أو زعيم المدينة , وفي أيام الخلافة الإسلامية كان للدهاقين شأن إذ أنهم من أكبر موارد الزكاة التي تنذهب إلى الفقراء لتحسين معيشتهم , وكانوا يعينون الدولة على إنشاء البنية الأساسية والمشاريع بفضل ثرائهم (انظر: www.wikipedia.org/wiki)

¹⁸⁰ بارتولد: ترجمة أحمد السعيد سليمان , تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص 454.

وتُظهر نقوش أورخون أن البلاد شهدت صراعاً طبقيًا عنيفًا بين العامة والدهاقين, وأن الهوة بينهما كانت سحيقة إلى أبعد الحدود.¹⁸¹

• التشكيلات الحربية :

اتخذ القراخانيون نظام التجنيد وفرضوه على ممالك وولايات وحكومات تخضع لسيادتهم, ولا يُفرّق بين مسلم وغير مسلم, وكان يملك خاقان الترك جيشاً كاسراً, وتميز هذا الجيش بأنه شديد الانضباط, بالإضافة إلى وجود قوات خاصة من الفرسان للإغارة على الأعداء ليلاً, ولهم ترتيبات خاصة لحماية الجيش من هجوم الأعداء¹⁸², وقسموا الفرق العسكرية إلى أربع فروع: فرقة الهجوم, وفرقة الهجوم الليلي, وفرقة الإنقاذ والإيقاظ ليلاً مع حراسة المعسكر, وفرقة التأمينات العسكرية بإدارة منظمة, ولها دفتر يسجل فيها الحسابات الخاصة بهم, و كان لقاراخان الترك تسعة أعلام نُسِجَتْ من حرير خالص بلون بلون أحمر, وترتفع الأعلام التسعة عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه, ولذا عرف خاقان الترك بالخاقان ذي الأعلام التسعة, ويتفاءل الأتراك منذ القدم ويقدمون العدد تسعة وما زال ذلك من تقاليدهم حتى الآن.¹⁸³

رابعاً - الحياة الاجتماعية :

تتألف الطبقة السائدة في المجتمع القراخاني من الخانات والأمراء وكبار رجال القصر بالإضافة إلى السادة الإقطاعيين ووجهاء القبائل وشيوخها, وينقسم المجتمع إلى طبقة الأغنياء (بايلار), والمتوسطة (أورتا), والفقراء (تشياغايلاز) وهم القسم الرئيس المنتج في الدولة, ثم طبقة العبيد والرقيق, وكذا طبقة من الناس لا تجيد مهنة معينة وتعيش بواسطة فرص العمل التي تتاح لها مصادفة أو في المناسبات, وشاركت

¹⁸¹ حسن أحمد محمود (دكتور) : الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي) , مصدر سابق , ص136.

¹⁸² محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , ترجمة : عبد الله أحمد إبراهيم العزب, مراجعة: الصفصافي أحمد القطوري, المركز القومي للترجمة , القاهرة , الطبعة الأولى , 2010م , ص239.

¹⁸³ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية), مصدر سابق , ص 309

الطبقة الكادحة في الحياة السياسية، فقاموا بثورات ضد ظلم بعض الحكام أو جامعي الضرائب وقام الشعب القراخاني بثورة في بلاد ما وراء النهر في عصر "إيلك خان بورتكين" سنة (432هـ-1040م) احتجاجاً على فرض الضرائب الباهظة، ونجح الإيلك في تهدئتها بعزل عمال الضرائب، وتخفيفاً على الشعب وتنشيت قواعد النظام والأمن بأراضيهِ، فرض الإيلك جزاءً صارماً على من يتعدى علي أملاك الغير وقد حدث ذات مرة أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمرقند: "نحن كالبصلة، كلما قطع تكبر رؤوسنا" فأمر الخان أن يكتب بعد ذلك: "وأنا كالبستاني كلما ارتفع لكم رأس اجتثته"، وكان يحرص الخان على حماية مصالح عامة الناس من جشع التجار فقد اشتكى إليه القصابون (الجزارون) أن أسعار اللحم ضئيلة حتى أنهم لا يتربحون منها شيئاً، والتمسوا منه رفعها عارضين في مقابل ذلك دفع ألف دينار إلى الخزانة فقبل الخان وأحضر القصابون المال إلى الخزانة ورفعوا أسعار اللحم، ثم منع الخان الناس من شراء اللحم فتكبد القصابون لخسائر فادحة، وفي كل حي من أحياء المدينة اشترك بعض الرجال في شراء رأس من الضأن واقتسموا لحمه بينهم، وانتهى الأمر بأن فاضطر القصابون مرة أخرى إلى دفع مبلغ من المال، ولكن بغرض إرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه، وقال الخان في هذا الشأن: "لا يجوز أن أبيع رعيتي بألف دينار"¹⁸⁴، إلا أن خلفاءه لم يستمروا على هذه السياسة مما دعا الشعب إلى القيام بثورات أخرى كما حدث في عصر الخان "أحمد بن خضر خان"، وانضم إلى الشعب علماء الدين وبعض قادة الجيش وقبضوا على الخان وقتلوه سنة (448 هـ -1095م).¹⁸⁵

واشتهر القراخانيون بالفروسية حيث إنهم أول المروضين للخيول لأغراض القنص والحروب¹⁸⁶، وكانوا يربون أولادهم على الشجاعة والبسالة والقنص والفروسية، ويخلعون على الأبطال منهم القاباً مثل: "ألب"، ويميزونهم بعلامات خاصة بهم، ويعلقون فوق رؤوسهم قلانس حمراء أو بيضاء مصنوعة من أجنحة الطيور المفترسة التي يصيدونها، وكذا نجد أن النساء في هذه الحقبة الزمنية كنّ يظفرن بصفة

¹⁸⁴ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، مصدر سابق، ص 360.

¹⁸⁵ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور): الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، مصدر سابق، ص 85.

¹⁸⁶ يوسف خاص حاجب: قوتاتقوبيليك (العمل المبارك)، مصدر سابق، 142 هـ، ص 7.

البطولة والشجاعة, أما مشروباتهم الروحانية فكانت تتمثل في شراب يسمى شراب "القيمز" الذي يُصنع من لبن الخيل الخالص مع شراب يسمى "تاراسون" الذي يصنع من حبة الدخن.¹⁸⁷

مما سبق نستطيع أن نقول: إن أفراد الدولة القراخانية اشتهروا بالأدب والأخلاق الحميدة والرياضة البدنية وصحة الأجسام.

وبعد أن تطرقنا إلى حضارة الدولة القراخانية نستطيع أن نقول: إن الدولة القراخانية كانت صاحبة حضارة عظيمة, وأنها أصبحت بعد إسلامها أحد مراكز الحضارة والثقافة الإسلامية المهمة وذلك بمؤسساتها العلمية ومكتباتها الغنية وخاصة في مدينتي "كاشغر" و"بالاساغون", ونجد أن تلك الحضارة التي نشأت بالإسلام كانت في خدمة الإسلام, وستتطرق في الفصل التالي إلى عرض تأثير الإسلام في عصر الدولة القراخانية الذي كان له الأثر في سلوكهم وثقافتهم, وكان ازهى عصور الدعوة الإسلامية حيث ظهر فيه كبار العلماء أمثال: البخاري والترمذي والفارابي والبيروني والماتريدي وآخرون لا حصر لهم خدموا الحضارة الإسلامية.

¹⁸⁷ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , ترجمة : عبد الله أحمد إبراهيم العزب , مصدر سابق , ص 43.

الفصل الثالث

الإسلام في الدولة القراخانية

• الحياة الدينية في الدولة القراخانية :

اعتنق الأتراك قبل اعتناقهم الإسلام الكثير من العقائد، ولكن الآثار الموجودة لا تذكر شيئاً عن هذه العقائد وإن كانت تتحدث عن عبادة السماء والأرض، ونجد في تلك الآثار عبارة : "تورك گوکی" أي "سماء الترك"، وعبارة : "تورك یر صوی" أي "أرض الترك وماؤهم"، ونستنتج من العبارات السابقة أن الأرض والماء يُكوّنان ألوهية واحدة لا ينفصلان، ونجد أن أتراک "توکیو" يعتنقون الشامانية، وتظهر العقائد الشامانية التي تبدو في مراسم الجنائز والدفن عند الترك، وتروي المصادر الصينية أن الأتراك يقيمون إلى جوار قبور الجند تماثيل لشهادتهم، وقد عززت نقوش أورخون هذه الرواية الصينية التي تُسمي هذه التماثيل بـ "بلبال" Balbal ويبدو أنها كلمة من أصل صيني، ولكن نقوش أورخون لا تحدثنا عما إذا كانت هناك مراسم خاصة تقام أثناء وضع هذه التماثيل.¹⁸⁸

وكذا اعتنق الترك المانوية بعد الديانة الشامانية، وكانت أول دين ذي أسس أخلاقية يعتنقه الترك¹⁸⁹، فبينما ترى الديانة الشامانية أن قتل الإنسان يفيد يوم القيامة، فإن ديانة ماني لا تكتفي بتحريم قتل الإنسان فقط، وإنما تحرم أكل لحم الحيوان، وقد كان الأتراك يُدركون التناقض بين الديانتين، ومسطور في نقوش أورخون أن الأمة التي كانت تأكل اللحم ستأكل الأرز، والبلد الذي يكثر فيه القتل يسود فيه فيما بعد الأمر بالمعروف، ويحتمل أن تكون الديانة المانوية قد انتشرت في حكم الغز المعروفين باسم (گوك – ترك)، أو في زمان خلفائهم، وربما كانت كتابات الجغرافيين العرب مؤيدة لهذه الفكرة.¹⁹⁰

¹⁸⁸ أحمد سعيد سليمان : (تاريخ التنك في آسيا الوسطى) ، مصدر سابق ، ص 14.
¹⁸⁹ نابدلجليل توران : ئويغورچه ئوقوشلوق (تبل، نه ده بيبات وه تاريخ) ، مصدر سابق ، ص 42.
¹⁹⁰ أحمد سعيد سليمان : المصدر السابق ، ص 49 ، 50.

ويذكر البيروني أن المانوية انتشرت بين الترك انتشاراً واسعاً, على حين يجزم المسعودي أن المانوية كانت منتشرة بين الأويغور, وبعد القرن العاشر بقليل حُلَّتْ البوذية والمسيحية محل المانوية عند الأويغور, ولكن ليس لدينا ما يثبت أن البوذية أو المسيحية أصبحت ديناً لشعب كامل من الترك, ولكن كانت أول دين دخله الترك بوصفهم شعباً بعد الديانة الشامانية.¹⁹¹

واعتنق كذلك قسم من سكان وسط آسيا الزرادشتية التي تنسب إلى مؤسسها زرادشت, وهي ديانة قديمة تأسست في إيران من 3000 عام, ويعتقد معتنقوها بوجود إله واحد أزليّ هو "أهورامزدا" بمعنى "الإله الحكيم" خالق الكون, ويُمثل الخير ولا يأتي منه الشر أبداً, ويعتقد الزرادشتيون أن زرادشت هو نبي الله, وزرادشت كردي عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران, وكان له ستة مساعدين للإله "أهورامزدا" ويعرفون بـ "اميشاسبنتاش" وتعني الخالدين المقدسين, وكذا اعتنقوا الشامانية ثم انتشرت البوذية قادمة من الشرق فوجدت أتباعاً لها وكانت "كاشغر" مركزاً للديانة البوذية, أما "بالاساغون" فلم يتحقق أنها اعتنقت البوذية أم لا, كذلك اعتنق الخاقانيون ديانات أخرى مثل النسطورية ديانة النساطرة أو الأستوريين, وهم طائفة من المسيحيين ينتمون إلى نسطور (380-451م) بطريرك القسطنطينية, ولقد آمنت النسطورية أن في المسيح طبيعتين وأقنومين, لذلك فهناك مسيحيان أحدهما ابن الله والآخر ابن الإنسان, وقالوا : "إن مريم لم تلد إلهاً متجسداً بل إنساناً محضاً هو يسوع المسيح ثم حلت فيه كلمة الله" لذلك لا يجوز أن تُدعى مريم والدة الله بل أم المسيح, وتصدت الكنيسة لهذه التعاليم وحُرم نسطور وتعاليمه في المجمع الثالث الذي انعقد عام 431م, ونُفِيَ إلى مصر عام 435م, بعد ذلك وجدت المسيحية موطئ قدم في وسط آسيا.¹⁹²

191 أحمد سعيد سليمان : (تاريخ التنك في آسيا الوسطى) , مصدر سابق , ص 48.

192 يوسف خاص حاجب : قوتاتقوبيليك (العمل المبارك) , مصدر سابق , ص 8.

ثم نبذ الخاقانيون تلك الديانات وقبلوا الدين الإسلامي ودخلوا فيه أفواجا، فقد وجدوا أن الدين الإسلامي لم يكن مقصوراً على أمة بعينها، بل كان ذا رسالة عامة تشمل العالم كافة، وأنه يتسم بالسهولة واليسر، ووجدوا أن الحضارة الإسلامية متفوقة على كل الحضارات¹⁹³.

• الإسلام في الدولة القراخانية :

أما عن الإسلام فقد وصل إلى قلب آسيا في خلافة "عثمان بن عفان" رضى الله عنه على يد الصحابي الجليل "الحكم عمر الغفاري"¹⁹⁴، ولكن كانت مرحلة الفتح الحقيقية في عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" على يد قائده الباسل "قتيبة بن مسلم الباهلي" الذي استطاع خلال فترة عشر سنوات (87-96هـ / 705-715م) أن يفتح مناطق واسعة من بلاد ما وراء النهر، ووفقاً للمصادر التاريخية فإن "قتيبة" تحرك من سمرقند قاصداً السيطرة على إقليم "فرغانة" وتجمعت قبائل الترك لخوض المعركة الحاسمة ضد العرب في "خجندة"، وبعد معارك دامية انتصرت قوات "قتيبة" ولكن مشاركة قوات تركية قادمة من "كاشغر" في المعركة جعلت المسلمين يسعون إلى إخضاعها لتأمين فتوحاتهم وهكذا وصلت الجيوش العربية لتفتح "كاشغر"، وبعد معركة دامية أعلن الملك التركي خضوعه للخليفة "الوليد ابن عبد الملك"، وبعد فتح كاشغر عام 96هـ¹⁹⁵ توغل المسلمون جنوباً حتى حدود الصين مما أزعج ملكها، فأرسل إلى المسلمين أن يبعثوا إليه من يخبرهم عنهم وعن دينهم، فأرسل إليه "قتيبة بن مسلم" بسفارة "هبيرة بن مشمرج الكلابي" انتهت مهمتها بأن أرسل ملك الصين - تحاشياً للصدام مع المسلمين مع البعثة الموفدة إليه - بهدية وجزية وأربعة من أبناء ملوكها وبعضاً من تراب وطنه، فأخذ

¹⁹³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، ترجمة عبد الله العزب ، مصدر سابق ، ص 230 .

¹⁹⁴ الحكم بن الغفاري : غلب عليه هذا النسب إلى غفار ، وأهل العلم بالنسب يمتنعون ذلك ويقولون إنه من ولد "نُعيلة بن مُليل" أخی غفار بن مُليل ، ويقولون / هو الحكم بن عمرو بن مُجَنَّع بن جديم بن الحارث بن نُعيلة بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن مناة بن كنانة ، ويقال له الحكم بن الأقرع ، صاحب النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى توفي (صلى الله عليه وسلم) ثم سكن البصرة ، ولقد استعان به زياد بن أبيه على غزو جبل الأشل فغنم غنائم كثيرة ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله فرد عليه : "إن كتاب الله قبل كتاب المؤمنين ، أو لم يسمع لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وقسم في الناس غنائمهم ، فيقال إنه حبس إلى أن مات بمرور في هذه السنة ، وقيل في سنة إحدى وخمسين رحمه الله (انظر : www.wikipedia.org/wiki).

¹⁹⁵ محمد سعيد مرسي : (كبرى المعارك والفتوحات الإسلامية) ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2003 م ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ص 120 .

"قتيبة" الجزية وقبل الهدية وختم الغلمان وردهم ووطأ التراب وذلك إبرارًا ليمينه, وكان قد حلف ألا ينصرف حتى يطمأ بلاد الصين ويأخذ الجزية ويختم ملوكها.¹⁹⁶ وتعد الدولة القراخانية أول دولة تركية إسلامية تحكم بلاد ما وراء النهر وتركستان حكمًا مباشرًا, وتصدت لهجمات الأتراك الوثنيين على العالم الإسلامي.¹⁹⁷

وانتشر الإسلام في تركستان الشرقية, وفيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد كانت "كاشغر" قاعدة لمنطقة إسلامية, وسجل الرحالة الإيطالي "ماركوبولو"¹⁹⁸ عندما زارها في عام (1271م) أنها مدينة سكانها المسلمون؛ وأن تجارها تركوا آثارهم في كل ركن من أركان العالم.¹⁹⁹

ولقد عمَّ الإسلام تركستان الغربية وذلك قبل تأسيس دولة القراخانيين وكانت العلاقات الاقتصادية والتجارية ورابطة الزواج والقرابة فيما بين تركستان الشرقية والغربية قوية, وبهذه الأسباب تسرب الإسلام وانتشر في تركستان الشرقية في القرن الثالث الهجري, وبدأ العلماء والمفكرون المسلمون الذهاب إلى تركستان الشرقية بصفة تجار ويقومون بالدعوة إلى الإسلام دينًا وعقيدة واسلوبًا وحياة.²⁰⁰

وفي عام 320هـ الموافق 932م تحركت إلى تركستان الشرقية قافلة تجارية منتسبة إلى السامانيين يرأسها عالم كبير, تحركت هذه القافلة عن طريق مدينة "أوزكنت" قاصدة منطقة "آرتوج" التابعة إلى ولاية "كاشغر", وصادف أن صلى رجال القافلة إحدى الفرائض الخمس على الطريق العام

¹⁹⁶ عز الدين أحمد الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين (صراع حضارتين) , مصدر سابق , ص36.

¹⁹⁷ عز الدين أحمد الورداني (دكتور) : المصدر السابق , ص3.

¹⁹⁸ الرحالة ماركو بولو : marco polo رحالة إيطالي , ولد في مدينة البندقية , وهو صاحب الكتاب الشهير "عجائب العالم" الذي يعتبره العديد من النقاد والمؤرخين أول عمل وثائقي ذي قيمة تاريخية وجغرافية حول الشرق ؛ إذ كان قد سافر إلى الصين عبر منغوليا بدفع من والده وعمه اللذين كانا من كبار تجار مدينة البندقية الإيطالية , وفي الصين تسلم "ماركو بولو" مهام رسمية عدة بعد أن أمضى سنوات في قصر أحد ملوك الصين الذي أعطاه ثقته وبعثه في المهمات الخاصة , وفي عام 1292م كُلف "ماركو بولو" من قبل إمبراطور الصين بمرافقة الأميرة المنغولية "خانات" حتى القسطنطينية عبر البحر , وفي عام 1295م شارك "ماركو بولو" في الحرب بين البندقية وجنوة , ووقع في الأسر عندما انتصرت جنوة على البندقية , وفي السجن قام بتدوين "كتاب عجائب العالم" الذي كان من أوائل النصوص التي عرفت الإنسانية وسمى بأدب الرحلات , وقد ضم هذا الكتاب العديد من المعلومات حول الصين والعديد من البلدان الآسيوية الأخرى (انظر: محمد عبد الستار البكري (دكتور), مجلة الشرق الأوسط, 2015 (https://aawsat.com).

¹⁹⁹ نابذولجيليل توران : نويغورچه نوقوشلوق (تبل , نه ده بيات وده تاريخ) , مصدر سابق , ص43.

²⁰⁰ محمد أمين بوغرا : (تاريخ تركستان الشرقية) , مصدر سابق , ص254.

فصادف أن مر بتلك القافلة (ساتوق بوغراخان) مع رفاقه, وكانوا في رحلة صيد فرأوا الناس يصلون, وعرف الأمير "ساتوق بوغرا" أنهم مسلمون, وكان الأمير ذا بصيرة نيرة فانتظر مع رفاقه إلى أن انتهوا من الصلاة, وكان إمامهم الشيخ "أبو نصر الساماني" فتقدم الأمير "ساتوق" إليه وسأله عن حقيقة الإسلام, فحدثه الشيخ "أبو نصر الساماني" عن الإسلام مجملًا وتفصيلًا خير بيان, فتأثر "ساتوق خان" بحديثه, وطلب من الشيخ المكوث بمدينة "آرتوج" أيامًا عدة, وأسلم الأمير "ساتوق بوغراخان" سرًا مع بعض رفاقه عام 930 هـ, وأطلق الشيخ "أبو نصر الساماني" عليه "عبد الكريم"²⁰¹, ثم دعا بعض خلصائه وحراسه إلى الإسلام فأسلموا, وطلب ود وصداقة كل من أسلم من أهل البلاد وأن يكونوا قريبين إليه, وعندما دخل بوغراخان الإسلام أسلمت معه قبيلة تتكون من ألفي خيمة, ومنهم تكونت نواة هذه الدولة.²⁰²

وكانت هناك في تركستان الغربية دولة مسلمة ساعدت تركستان الشرقية في نشر الدعوة الإسلامية, وإلى جانب ذلك أتى إلى كل من مدينة "كاشغر" و"بالاساغون" علماء لتعليم الناس علوم الدين ونشرها بين الأهالي, وعلى ذلك كان لبغراخان فضل كبير في اختفاء البوذية وانتشار الإسلام في تركستان الشرقية, حيث كان شديد الغيرة عليه.²⁰³

بدأ القراخانيون ينشرون الإسلام وكانوا غزاة فاتحين ودعاة مخلصين, امتزجت أرواحهم بفقه السنة وأنوار السيرة المحمدية المطهرة, وجعلوا أداء الشعائر وإقامة حدود الله نصب أعينهم, وأرسلوا دعاة الإسلام إلى بلاد التبت فأسلم كثير من سكانها بغير تردد, ثم نشروا الشريعة الإسلامية في بلاد المغول الذين يسكنون هضاب "مغولستان" و"منغوليا"²⁰⁴, وتشكلت الطرق الصوفية وبدأ الصوفية المسلمون ينشرون طرقهم بين الترك الرُّحل ابتغاء نشر دين الإسلام, وساعد كل هذا على تقوية نزعة

²⁰¹ نابولجيليل توران : ئويغورچه ئوقوشلوق (تيل , نه ده بيات و ه بارىخ) ,مصدر سابق , ص43.

²⁰² Sultan Mahmut : Uyghur Türkleri, kültürü ve Türk Dünyası. S.147.

²⁰³ سنية محمد مصطفى (دكتور) محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" , مصدر سابق , ص5.

²⁰⁴ عبد العزيز جنكيز خان : تركستان (قلب آسيا) , مصدر سابق , ص37.

الدخول في الإسلام وصبغ كل شيء بالصبغة الإسلامية الخالصة, وسنذكر فيما يلي نبذة بسيطة عن التصوف وأهم الطرق الصوفية التي انتشرت في القرن الحادي عشر الميلادي في الدولة القراخانية.

• التصوف :

وانتشر التصوف في الدولة القراخانية, وظهرت بعض الطرق الصوفية كالنقشبندية واليسوسة, وسنذكر فيما يلي نبذة عن التصوف وتلك الطرق الصوفية.

إذا نظرنا إلى ماهية التصوف فنجد أن أساسه العشق الإلهي, أي أن الإنسان يعشق الذات الإلهية, والعشق هو إفراط المحبة, ويري الصوفي أنه إذا ما عشق الذات الإلهية فإن الله يبادل له حباً بحب أو عشقاً بعشق, ويترتب على ذلك أن الله يهبه المعرفة, التي لا يمنحها إلا لمن يبادل له عشقاً بعشق وهذا العلم يسمى العلم اللدني, وبهذا العلم يستطيع الصوفي أن يعرف الحقائق بقلبه لا بعقله, ويرى الصوفية أن العقل يخطئ ولا يستطيع أن يعرف كل شيء, أما القلب الذي يتلقى تلك المعرفة إلهاماً فهو لا يخطئ أبداً.²⁰⁵

- نشأة التصوف :

اختلفت الآراء حول نشأة التصوف, فهناك من يقول: إنه يرجع إلى ديانات الفرس القديمة كالزرادشتية والمانوية, ويقولون إن رجال الفكر الصوفي جميعهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين كانوا من الفرس, وأن التصوف قد بلغ غايته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث الهجري, حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يُظهر مُعْتَقَدَه على الملأ.²⁰⁶

ويذكر بعض الكتاب أن التصوف قد تسرب إلى بلاد المسلمين عن طريق الديانة الهندية, ففي الديانة الهندية ما يشبه ما في التصوف من زهد وتقشف, وأنهم قد اعتمدوا في تأييدهم للمصدر الهندي

²⁰⁵ محمود المراكبي : موسى والخضر , الطبعة الثانية , 1996م , ص135.

²⁰⁶ محمد جميل زينو : الصوفية في ميزان الكتاب والسنة , دار "أبو الحسن" للنشر والتوزيع , بدون سنة طبع , ص5.

على التحليل الفسيولوجي لكلمة تصوف معناها الحكيم الهندي العاري، وقد أطلقها اليونان على نوع من

فقراء الهنود.²⁰⁷

وئمة من يقول: إن أصل التصوف يرجع إلى مصادر نصرانية، وهناك من يقول: إن الصوفية مقتبسة من تنسك اليهودية، وكذا من يقول: إن التأثير اليوناني كان واضحاً في تكوين الفكر الصوفي، فالبيروني يرى أن لفظة تصوف مشتقة من السوفية وهم الحكماء، وئمة من يقول: إن التصوف منبثق عن الدين الإسلامي، فلقد انتشر الإسلام بين المجتمعات التي كانت تعبد الأوثان، لذا فإن الذين اعتنقوا الإسلام افتقدوا الإشباع الروحاني الذي كانوا يحصلون عليه من وراء عبادة الأصنام أو ما في الطبيعة فشعروا بعدم الإشباع من الناحية الروحانية، لذلك سعوا إلى الحصول على الإشباع الروحاني من خلال القيام بممارسات في الزهد والتعشف، وكان أول من لقب بالصوفي في التاريخ الإسلامي الزاهد الكبير "أبا هاشم الكوفي"، والذي توفي عام 150 هـ، لذا يقال: إن كلمة الصوفي ظهرت في العصر الثاني للهجرة، وفي القرن الثاني للهجرة ظهر في عهد التابعين طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس وشددوا على أنفسهم في العبادة، وفي القرن الثالث الهجري انتشر التصوف في العالم الإسلامي بوصفه كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت حتى صارت طرقة مميزة معروفة باسم الصوفية، وكان أول من انفرد بخدمة الله عند بيته الحرام رجل يقال له: "صوفه" واسمه "الغوف بن مر"، فانتسبوا إليه فسموا بالصوفية، وقبل التسمية بالصوفية كان للزهاد عدة أسماء، فكانوا يسمون في خراسان بـ "المغاربة" ويسمون أيضاً "الصوفية والفقراء"، وكانت هذه الأسماء في القرون الأولى، وبعد ذلك اشتهر لقب الصوفية وغلب عليهم، وانتشر الصوفية في تلك الفترة في جميع أنحاء العالم

²⁰⁷ سمير عباس زهران (دكتور) : مدخل إلى التصوف مع النصوص ، القاهرة ، 2006 م ، ص12.

الإسلامي، وظهرت العديد من المدراس في تلك الفترة، أما في القرن الخامس الهجري فلقد أدت

الاضطرابات السياسية والعلمية والدينية إلى انتشار الطرق الصوفية.²⁰⁸

وبالنظر إلى نشأة الطرق الصوفية، نجد أن الصوفية في بداية الزهد عاشوا أفراداً لا يجمعهم مذهب معين، ثم بدعوا ينظمون أنفسهم في طوائف ويتجمعون في حلقات، وكان ذلك في المساجد أولاً ثم حلقات الذكر، ثم تكونت جماعات يرأس كل منها شيخ له أسلوب خاص، من خلال هذا الأسلوب ينشر أداب جماعته وتعاليمها، وهذا الأسلوب أطلق عليه اسم الطريقة.²⁰⁹

والمعنى الاصطلاحي للطريقة عند الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين هو مجموعة الآداب والأخلاق والعقائد التي تتمسك بها طائفة الصوفية، وهي تمثل منهجاً للإرشاد النفساني والخلقي وبه يربي الشيخ مريديه.²¹⁰

أما عن معنى الطريقة عند الجرجاني²¹¹ فهي: "ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب"، ويقول التفتازاني²¹² إن: "الغاية القصوى من الطريقة الصوفية هي غاية خلقية تتمثل في إنكار الذات والصدق في القول والعمل والصبر والخشوع ومحبة الغير والتوكل وغير ذلك من الفضائل التي دعا الإسلام إليها، وكانت محوراً دارت حوله أبحاث التصوف النظري.²¹³

²⁰⁸ نبيل بن محمد محمود : فتح أبواب الصوفية ، مكتبة البلد الأمين ، الطبعة الثانية ، 1940 هـ - 2000 م ، ص 15.

²⁰⁹ رزق يوسف الشامي (دكتور) : الأساس في دراسة التصوف الإسلامي ، دار المروة للطباعة ، 1921 م ، ص 99.

²¹⁰ رزق يوسف الشامي (دكتور) : الأساس في دراسة التصوف الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 77.

²¹¹ الجرجاني : هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400 - 471 هـ / 1009 م - 1078 م) ، ولد في جرجان لأسرة رقيقة الحال ونشأ مولعاً بالعلم محباً للثقافة ، وترك أثراً مهماً في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن منها: "الإيضاح في النحو" ، وكتاب "الجمال" ، و"إعجاز القرآن" (انظر : عبد القاهر الجرجاني : ويكيبيديا ، الموسوعة).

²¹² التفتازاني : هو سعد الدين أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي ، ولد بقرية "تفتازان" من مدينة نسا في خراسان سنة 722 هـ في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالماً وقاضياً وكان التفتازاني إماماً من أئمة التحقيق والتدقيق ، وبرز في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير وعلم الكلام ، وكان يفتي بالمذهبين الشافعي والحنفي ، وانتهت إليه رئاسة الحنيفية في زمانه وألف التفتازاني كتباً كثيرة حتى غدت كتبه في علم الكلام والأصول مرجع الباحثين ومنتهى طلب المتخصصين ، ومن مؤلفاته : "التلويح إلى كشف حقائق التنقيح" ، و"إرشاد الهادي" ، و"شرح تصريف الزنجاني" (انظر : التفتازاني : ويكيبيديا ، الموسوعة).

²¹³ رزق يوسف الشامي (دكتور) : الأساس في دراسة التصوف الإسلامي ، مصدر سابق ، ص 79.

سنذكر الآن نبذة بسيطة عن الطرق الصوفية التي انتشرت في القرن الخامس الهجري :

– الطريقة اليسوية :

تنسب الطريقة اليسوية إلى الشيخ أحمد يسوي²¹⁴, وهو علّم من أعلام التصوف في منطقة آسيا الوسطى في القرن الخامس الهجري والنصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي, وكان مريدوه وأصحابه كثيرين, ووصل إلى مرتبة الإمام الكبيرة , ووجد رعاية كبيرة جداً من المشايخ والعظماء, وسلك الطريق والإرشاد في التكية الخاصة به.²¹⁵

ويرى أحمد يسوي أن الصوفي الحق الذي يروض نفسه على المجاهدات والرياضات الروحانية, ويعزف عن زينة الدنيا وزخرفها, يلزم عليه أن يكون ماهراً بنفسه في التوجه إلى الله ومراقبته, ومن ثمّ يكون صوفياً خالصاً, ويرى أن طريق الفقر هو منتهى طريق السالكين وغاية مراحل المجاهدين, ونجد أن المريدين الذين تربوا على يديّ الشيخ أحمد يسوي يكونون له كل التقديس والاحترام, وظلت شهرة أحمد يسوي العظيمة كما هي تطبق الآفاق, ولم يصبها أدنى قدر من الضرر والأذى.²¹⁶

وأحكام الطريقة اليسوية عند الشهرستاني ستة: معرفة الحق – السخاء المطلق – الصدق المحقق – اليقين المستغرق – توكل الرزق المطلق – إمعان وتفكر مدقق, أما أركان المشيخة والقُدوة فهي أيضاً

²¹⁴ أحمد يسوي : كان شيخ المشايخ في تركستان , ولد لأب يدعى إبراهيم ولأم تدعى "عائشة خاتون" ابنة الشيخ "موسى" أحد خلفاء الشيخ "إبراهيم اليسوي" , ولأحمد يسوي أخت واحدة تدعى "جوهر شاهناز" وهي أخته الكبرى , فقد الشيخ أحمد يسوي أمه ثم توفي والده بعدها , وأصبح اليسوي يتيماً وهو في السنة السابعة من عمره , فتولت أمره أخته الكبرى , وبعد فترة انتقل اليسوي وأخته للعيش في مدينة "يسي" , وبدأ أحمد يسوي تحصيله العلمي وهو في سن صغيرة على يد شيخ معروف في هذه المدينة هو "أرسلان بابا" , وكان أحمد يسوي رجلاً صوفياً عظيماً , واستطاع تبليغ دعوته ونشرها عن طريق خلفائه ومريديه وذلك لإمامته باللغة التركية والفارسية والعربية (انظر : محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي , ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم الجزء الأول , الطبعة الأولى , 2002م , ص 77 , 78).

²¹⁵ Kemal Eraslan : Ali Şir Nevai, [Mizanu'L – Evzan] vezinlerin terazisi, Ankara, 1993, S.383.
²¹⁶ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي , مصدر سابق , ص 172 , 175 , 176.

ستة: علم ديني يقيني – حلم مبين متين – الصبر الجميل – الرضى بالجليل – إخلاص الخليل – القرب

الجزيل.²¹⁷

ولليسوية طائفة من الآداب والسلوك نستطيع أن نوجزها في النقاط الآتية :

- لابد من إظهار الإذعان والتسليم للشيخ , ولا يعرف المريدُ فضلاً لأحد عليه سوى شيخه.
- يجب أن يكون المريد فطناً ذكياً و عليه أن يفهم ويعي رموز شيخه وإشاراته.
- يتوجب على المريد كذلك أن يكون راضياً عن كل أقوال شيخه و أقواله مطيعاً لها.
- يلزم على المريد أن يكون خفيف الحركة نشيطاً , ولا يستثقل خدمة شيخه , ليحظى برضائه؛ لأن رضا الله من رضا شيخه.
- يجب أن يكون المريد صادقاً في قوله , ولا يعكر صفو شيخه ولا يكون سبباً في رفض كلامه.
- على المريد أن يكون صادقاً في بيعته وفيأ.
- أن يكون المريد مستعداً دائماً كي يوزع كل ما تملك يداه من مال ومتاع على شيخه.
- على المريد أن يكون حافظاً مؤتمناً على سر شيخه.
- أن يضع المريد نصب عينيه دائماً ما يكلفه به شيخه مصغياً إلى نصائحه.
- يجب أن يكون على أهبة الاستعداد دائماً لكي يضحي بروحه في سبيل شيخه حتى يحظى بوصال الله²¹⁸.

ولقد انتشرت الطريقة اليسوية في بادئ الأمر في منطقة سيحون, ووجدت رواجاً كبيراً بين القبائل والعشائر التركية وبين أتراك أذربيجان وإيران وخراسان, وكان للطريقة اليسوية دور كبير في نشر

الإسلام في منطقة العالم التركي الجغرافية.²¹⁹

²¹⁷ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، المصدر السابق ، ص172.

²¹⁸ محمد فؤاد كوبريلي : المصدر السابق ، ص172.

– الطريقة النقشبندية :

تنسب إلى بهاء الدين محمد بن البخارى الملقب بشاه نقشبند (791هـ) واشتق اسمها منه²²⁰, ولقد تأثرت النقشبندية كثيرًا بالطريقة اليسوية, وترجع صلة شيوع النقشبندية بأحمد يسوي إلى أن الشيخ "بهاء الدين نقشبند محمد البخارى" نال الفيض على يد كل من الشيخ "قاسم", والشيخ "خليل آتا" وهما من شيوخ اليسوية, وقد قضى مراحل طويلة إلى جانب "خليل آتا", ونستطيع أن نقول إن النقشبندية هي امتداداً لليسوية, وقد انتشرت وذاع صيتها بين الشعب التركي في ربوع ما وراء النهر وخراسان, ومن ثم ضاقت ساحة نفوذ اليسوية التي كان لها الانتشار قبلها.²²¹

ومن الملاحظ أن ثمة تقارب بين اليسوية والنقشبندية فكلتا الطريقتين لهما المنهج الصوفي نفسه لاتحادهما في الطقوس والعقائد والمراسم الصوفية, ويرى "فؤاد كوبريلي" أن النقشبندية انبثقت عن اليسوية وحملت ما حملت من التشابه في عاداتها وعقائدها ومراسمها وطقوسها.²²²

ذاع صيت الطريقة النقشبندية منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن التاسع الهجري, وقد انضم إليها عليّة القوم من التجار والقادة العسكريين والمفكرين و الشعراء, كما جذبت إليها عامة الشعب وأهل القرى بأعداد لا تحصى؛ لأنها لم تكن تعرف التعصب, بل اتسمت بالتسامح, ويقوم مذهب النقشبندية على عدة أشياء منها : التفكير والتدبر والخلوة والتأمل وإمعان النظر في كل شيء²²³.

²¹⁹ Haji Muhammad : the ocean of unity, (Wahdat Al wujud in Persian, Turkish and Malay Poetry), Kuala Lumpur, 1994, P.213.

²²⁰ عبد الرحمن بن أحمد جامي : نفحات الأنس من حضرات القدس , بتصحيح ومقدمه : مهدي توحيدي بور , ناشر : كتابفروشي سعدي , نوبت چاپ , دوم زمستان باتجديد نظر مجدر , ص140.

²²¹ بديعة محمد عبد العال (دكتور) : النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك , الطبعة الأولى , القاهرة , الدار الثقافية للنشر , 2009م , ص13 , ص14.

²²² بديعة محمد عبد العال (دكتور) : النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك , المصدر السابق , ص15.

²²³ عبد الرحمن بن أحمد جامي : نفحات الأنس من حضرات القدس , المصدر السابق , ص140.

هذه نبذة بسيطة عن أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في الدولة القراخانية, ولقد كان لإسلام القراخانيين وفتحهم بلاد ما وراء النهر دور كبير في الحضارة الإسلامية, فقد نبذوا الأبجدية الأويغورية القديمة, واتخذوا الأبجدية العربية, وعملوا على توغل الحضارة العربية حتى حدود الصين²²⁴.

واستمرت حضارتها الإسلامية حوالي ألف سنة كان من نتائجها نخبة من العلماء والمفكرين والفلاسفة الذين رفعوا لواء الإسلام عالياً وبنوا له مجداً عظيماً كالإمام "أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري", والإمام "الترمذي" و"النسائي", وصاحب "الكشاف" العلامة "جار الله الزمخشري", وصاحب المفتاح "يوسف السكاكي", والشيخ "عبد القاهر الجرجاني", والعلامة "سعد الدين التفتازاني", والفقيه شيخ الأئمة "السرخسي" صاحب "الهداية", وإمام أهل السنة "أبو منصور الماتريدي"²²⁵.

وسوف نتناول الآن بعض علماء الدولة القراخانية.

• علماء الدولة القراخانية :

- البخاري :

هو أبو عبد الله محمد اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفر²²⁶, شيخ الإسلام وإمام الحُفَّاظ, أصله من الأوزبك من "خربتك" قرية قرب بخارى وتوفي فيها, ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر وذلك لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين.²²⁷

ولد الإمام "البخاري" في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة (194هـ - 810م), ومات أبوه وهو صغير, وتوجه إلى طلب العلم منذ حدثه, فقد حفظ القرآن ثم توجه إلى حفظ الحديث وهو صبي في

²²⁴ حسن أحمد محمود (دكتور) : الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي) ، مصدر سابق ، ص187.

²²⁵ عبد العزيز جنكيز خان : تركستان (قلب آسيا) ، مصدر سابق ، ص40.

²²⁶ قيل له الجعفر؛ لأن المغيرة أبا جده كان مجوسياً ، أسلم على يد الجعفر والي بخارى فنسب إليه حين أسلم (انظر : منشأوي عثمان عيود : المذهب في مصطلح الحديث ، (1428هـ - 1429هـ / 2007م - 2008م ، ص50)

²²⁷ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : صفة الصفوة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، (المجلد الثاني) دار الفجر للتراث ، الطبعة الأولى ، (1426هـ - 2005م) ، ص355.

الكتاب ولم يتجاوز عمره عشر سنين حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سندًا ومتنًا، وقام "البخاري" بأداء فريضة الحج وعمره ثماني عشرة سنة، فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها وكتب عن أكثر من ألف شيخ²²⁸، وكان "البخاري" غزير العلم واسع الاطلاع، وبدأ التأليف وهو لا يزال في الثامنة عشرة من عمره، وصنف ما يزيد عن عشرين مصنفًا فألف "الأدب المقرون"، و "التاريخ الكبير" وهو كتاب كبير في التراجم، وله أيضاً كتاب "التاريخ الصغير" وهو تاريخ مختصر للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ومن جاء بعدهم من الرواة إلى سنة (256هـ / 870م)، وكذا ألف "خلق أفعال العباد"، و"رفع اليدين في الصلاة"، و"الجامع الصحيح" المسند من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنته وأيامه، والمعروف بـ "الجامع الصحيح" أو "صحيح البخاري" ويتألف من ستمائة ألف حديث كان يحفظه، ولشدة تحريه لم يكن يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يصلي ركعتين ويستخير الله، وقد قصد فيه إلى جمع أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصحاح المستفيضة المتصلة دون الأحاديث الضعيفة، ولم يقتصر في جمعه على موضوعات معينة، بل جمع الأحاديث في جميع الأبواب، واستنبط منها الفقه والسيرة، وقد نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها، ولم يحظ كتاب بعد كتاب الله بعناية من العلماء مثل ما حظي به كتاب "صحيح البخاري"، فاعتنى العلماء والمؤلفون به شرحاً، وتكاثر شروحه حتى بلغت عدد شروحه والتعليقات عليه أكثر من مائة وثلاثين شرحاً.²²⁹

– ذكر ثناء الأئمة عليه :

قال شيخه محمد بن بشار الحافظ : حُفَّاز الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي بسمرقند، و"محمد إسماعيل البخاري" بـ "بُخارى"، وقال أيضاً: "ما قدم علينا مثل البخاري"، وقال الإمام الترمذي: "لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل

²²⁸ منشاوي عثمان عبود : المذهب في مصطلح الحديث ، مصدر سابق ، ص51.
²²⁹ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : صفة الصفوة ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص354.

والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أعلم من محمد بن إسماعيل", وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: "لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد, وموته ذهاب العلم", و"قال محمد بن يوسف الهمذاني": "كنا عند "قتيبة بن سعيد" فجاء رجل شعراني, يقال له "أبو يعقوب", فسأله عن "محمد بن إسماعيل", فقال: يا هؤلاء نظرت في الحديث في الرأي, وجالست الفقهاء والزهاد والعباد, ما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل".²³⁰

- ذكر عبادته وفضله وورعه وصلاحه :

قال مُسَبِّح بن سعيد: كان "محمد بن إسماعيل" يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة, ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة, وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: "ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها", وقال: "وكان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر, ثلاث عشرة ركعة, وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت: أراك تحمل على نفسك ولم توقظني, قال: أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك".²³¹

توفي البخاري بـ (خَرْتُتْكَ) ليلة عيد الفطر عام (256هـ - 870م) عن اثنين وستين عاماً.²³²

- الإمام مسلم :

هو الإمام الكبير الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري, ولد بنيسابور سنة 204هـ, وطلب الحديث, ورحل في طلبه إلى جميع مُحدثي الأمصار, فرحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر, ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم, ونظر في علمه وحذا حذوه, وكان يناضل

²³⁰ محمد موسى الشريف : نزهة الفضلاء "تهذيب سير أعلام النبلاء", للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي , مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع , الطبعة الثانية , (1433هـ - 2012م) , ص668 , ص669.

²³¹ محمد موسى الشريف : نزهة الفضلاء "تهذيب سير أعلام النبلاء", المصدر السابق , ص670.

²³² منشاوي عثمان عبود : المذهب في مصطلح الحديث , مصدر سابق , ص53.

عنه, وأخذ الحديث عن "قتيبة بن سعد بن أحمد بن حنبل" و"البخاري" وتأثر به كثيراً, وله منزلة عظيمة, وقد أجمع العلماء على إمامته وعلى مرتبته في السنة.²³³

- مؤلفاته :

ألف كتباً كثيرة منها كتابه "الصحيح", وكتاب "طبقات التابعين", وكتاباه الصحيح أربعة آلاف حديث, واختص مسلم دون البخاري بجمع أطراف الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله.²³⁴

- وفاته :

توفي الإمام مسلم بنيسابور سنة 261 هـ عن سبعة وخمسين عاماً.²³⁵

• الترمذي :

هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي, ولد سنة (209 هـ) بترمذ , وتوفي سنة 279 هـ عن سبعين عاماً.²³⁶

رحل في صباه إلى العراق وخراسان والحجاز, وقابل "البخاري" و"مسلم" و"أبا داود", كما قابل المروزي والزهري, وأخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث مثل: "قتيبة بن سعد" و"إسحاق بن موسى" و"محمد بن إسماعيل البخاري", وكان البخاري يقول للترمذي: "انتفعت بك أكثر مما انتفعت

²³³ منشأوي عثمان عبود : المذهب في مصطلح الحديث , مصدر سابق , ص54.

²³⁴ منشأوي عثمان عبود : المصدر السابق , ص54.

²³⁵ منشأوي عثمان عبود : المصدر السابق , ص54.

²³⁶ منشأوي عثمان عبود : المصدر السابق , ص56.

بي", ويقول ابن حيان: "مات البخاري ولم يخلف بخراسان مثل الترمذي", وكذا شيوخه أحمد بن حنبل وأبو داود السجستاني.²³⁷

- مؤلفاته :

ألف الترمذي مجموعة مهمة من الكتب أبرزها :

- "سنن الترمذي" أو "الجامع الصحيح", أحسن الكتب ترتيباً وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً, وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال, وإيضاح لأنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب.²³⁸

- كتاب "العلل" وهو دراسة في مصطلح الحديث, يشرح عيوب الرواية والرواة.²³⁹
- كتاب الشمائل النبوية, ويحتوي على مجموعة أحاديث تتصل بصفات الرسول (صلى الله عليه وسلم).²⁴⁰

وأقام علماء ترمذ سنة (1409هـ) حفلاً ضخماً بمناسبة مرور 1200 سنة على مولد هذا العالم الكبير, وتقرر في هذا الاحتفال إنشاء جامعة إسلامية باسمه في ترمذ, وجامعات إسلامية في البلاد المجاورة بأسماء علماء المنطقة, وإنشاء معهد باسمه في مدينة "دوشنبه" عاصمة تاجيكستان, كما تقرر في هذا الاحتفال إعادة تعمير الآثار الإسلامية في "ترمذ" وما حولها من عواصم وبلاد, وترجمة معاني القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية المهمة إلى لغة هذه البلاد.²⁴¹

²³⁷ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , الطبعة الأولى , مكتبة الشباب , القاهرة , ص33.

²³⁸ منشاوي عثمان عبود : المصدر السابق , ص57.

²³⁹ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , المصدر السابق , ص33.

²⁴⁰ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , المصدر السابق , ص33.

²⁴¹ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , المصدر السابق , ص34.

• النَّسَائِي :

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان بن بحر بن سنان بن دينار الخراساني النَّسَائِي القاضي, وهو الإمام الحافظ شيخ الإسلام , أحد أئمة الحديث النبوي الشريف, وصاحب السنن الصغرى والكبرى, واشتهر النسائي بشدة تحريه في الحديث, وأن شرطه في التوفيق شديد.²⁴²

وُلِدَ النسائي بـ "نسا" من بلاد خراسان (215هـ), ونشأ منذ صغره على التحصيل العلمي والسعي وراء المعرفة, وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان, وكان شيخاً مهيباً, حسن الوجه يضرب لونه إلى الحمرة, حسن الشبهة, وكان نضر الوجه مع كبر السن.²⁴³

وقد ارتحل إلى "قتيبة بن سعيد البلخي" في سنة ثلاثين ومائتين, وأقام عنده بـ "بغلان" سنة, وجال في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام, ثم استوطن مصر, وارتحل الحُفَاط إليه, ولم يبق له نظير في هذا الشأن.²⁴⁴

- شيوخ الإمام النَّسَائِي :

ومن أشهر من أخذ عنهم وتتلذذ على يديهم :

- الشيخ "قتيبة بن سعيد" الذي ارتحل إليه في سن الخامسة عشرة وأقام عنده سنة وشهرين.
- "محمد بن إسماعيل البخاري" المشهور بالبخاري.
- "مسلم بن الحجاج" المشهور بالإمام المسلم.
- "أبو عيسى محمد الترمذي" المشهور بالترمذي.
- أبو داود.

²⁴² محمد موسى الشريف : نزهة الفضلاء "تهذيب سير أعلام النبلاء", مصدر سابق, ص746.

²⁴³ محمد موسى الشريف : المصدر السابق, ص746.

²⁴⁴ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي , اختصار وتقديم : رضوان جامع رضوان , ج 1 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2013م , ص14.

- أبو كريب.
- سويد بن نصر.
- محمد المروزي.
- محمود بن غيلان.
- محمد بن بشار (بُندار).
- هناد بن أسرى.
- محمد بن عبد الأعلى.
- محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار البصري.

وغيرهم من كبار الرواة, رحمهم الله.²⁴⁵

– مكانة الإمام النسائي العلمية :

كان الإمام النسائي من بحور العلم مع الفهم والإتقان, وقال ابن الأثير عنه في أول جامع الأصول:

"كان شافعيّاً له مناسك على مذهب الشافعي, وكان ورعاً متحريّاً".²⁴⁶

– مؤلفات الإمام النسائي :

ترك النسائي آثاراً من أشهرها :

- كتاب "السنن الكبرى" في الحديث, وهو الذي عرف به, وجاء في سِير أعلام النبلاء.
- كتاب "المجتبى" وهو السنن الصغرى, من الكتب الستة في الحديث.
- خصائص أمير المؤمنين.

²⁴⁵ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي : بُغية الراغب المُتمني في خُتم النسائي رواية ابن السني , حققها وعلق عليها: أبو الفضل إبراهيم بن زكريا, دار الكتاب المصري (القاهرة), دار الكتاب اللبناني (بيروت), ط1, 1411 هـ, 1991م, ص71.

²⁴⁶ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي : مصدر سابق , ص15.

- فضائل الصحابة.
- كتاب الناسك.
- الضعفاء والمتروكون.
- عِشْرَةُ النساء.
- فضائل القرآن.
- كتاب الأعراب.
- المنتقى من عمل اليوم والليلة.
- كتاب العلم.
- كتاب النعوت والأسماء والصفات.
- الإمامة والجماعة.
- كتب الجمعة.
- كتاب الوفاة (وفاة النبي صلى الله عليه وسلم).
- الجرح والتعديل.
- شيوخ الزهري.
- شيوخ الفضيل بن عياض.
- الطبقات.
- مسند حديث بن جريج.
- مسند حديث الزهري – بعلة والكلام عليه.
- مسند حديث سفيان الثوري.
- مسند حديث شعبة بن الحجاج.

- مسند حديث الفضيل بن عياض , وداود الطائي , ومفضل بن مهلهل.
- مسند حديث مالك بن أنس.
- مسند حديث يحيى بن سعيد القطان.
- مسند علي بن أبي طالب.
- مسند منصور بن زاذان الواسطي.
- مناسد الحج.²⁴⁷

- وفاته :

أختلف في مكان وفاته وزمانها فقليل توفي بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة, وقيل: توفي بفلسطين, وقيل بحمص عام 303هـ عن عمر يناهز 88 عاماً.²⁴⁸

• ابن سينا :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا, ولد في إحدى قرى بخارى عام (370هـ-980م) وتوفي في "همدان" عام (428هـ - 1037م), وأشتهر بالشيخ الرئيس, وعُرف بالمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي, ولم تقل شهرته بوصفه طبيباً عن شهرته بوصفه فيلسوفاً, وهو صاحب التصانيف في الإلهيات والطبيعات والمنطق والطب, ولقد تُرجمت أكثر كتبه إلى العبرية واللاتينية قبل نهاية القرن الثاني عشر.²⁴⁹

نشأ ابن سينا في كنف السامانيين في بخارى, وكان أبوه والياً على المدينة, وقد وجهه أبوه منذ طفولته إلى حفظ القرآن الكريم, وكان حفظ القرآن أساساً لكل الباحثين مهما اختلفت توجهاتهم ومواهبهم, ومن هنا اتجه ابن سينا بعد أن حفظ القرآن الكريم إلى الفلسفة والطب, وبرز ابن سينا في ميدان

²⁴⁷ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي , مصدر سابق , ص13.

²⁴⁸ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي : المصدر السابق , ص23, ص24.

²⁴⁹ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , مصدر سابق , ص720

علم الطب الذي استطاع أن يقدم إلى الإنسانية أعظم الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات وما يسر الله له من فتوحات طبية, فقد كان أول من اكتشف العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن؛ فهو الذي اكتشف لأول مرة طفيل "الإنكلستوما" وسماها الدودة المستديرة, كما أنه أول من وصف الإلتهاب السحائي, وأول من فرّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلي في الدماغ , والشلل الناتج عن سبب خارجي, كما اكتشف طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة, وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو, وكذا كان ابن سينا جراحاً بارعاً, فقد قام بعمليات جراحية دقيقة للغاية مثل استئصال الأورام السرطانية في مراحلها الأولى, وشق الحنجرة والقصبة الهوائية, وكان على دراية واسعة بطب الأسنان, ومن إضافاته الطبية معرفة حصى المثانة واليرقان ودراسة الطب النفساني وعلاجه.²⁵⁰

أما في مجال الفلسفة فله الكثير من المؤلفات التي تشهد ببراعته, وقد ترجم بعضها إلى اللغات الأوروبية, وقد وضع ابن سينا تقسيماً للعلوم الفلسفية, وأصبح هذا التقسيم مناط الدراسات الفلسفية بأوروبا طوال القرون الوسطى, وفلسفة ابن سينا العقلية تُقرر أن لكل شيء معتمد في وجوده على علة فهو ممكن, إذ لو لم توجد العلة لم يوجد الشيء, وقد تبع ابن سينا نهج الفارابي في هذا الاتجاه, ولابن سينا مجموعة كبيرة من المؤلفات منها: "الشفاء", و"النجاة", و"الإرشادات", و"التنبيهات", و"القانون في الطب".

• جاز الله الزمخشري :

هو إمام الأئمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري, ولد في زمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة (467هـ / 1074م), وتوفي ليلة عرفة سنة (538هـ / 1143م) في جرجانية بعد رجوعه من مكة.²⁵¹

²⁵⁰ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , مصدر سابق , ص75.

²⁵¹ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , المصدر السابق , ص75.

اشتهر الزمخشري بلقب "جار الله" لمكوته فترة طويلة مجاوراً بيت الله في مكة المكرمة, وكان الزمخشري معتزلياً²⁵² في الأصول (العقيدة), شافعياً في الفروع (الفقه), وكان يجاهر بمذهبه (الاعتزال) ويدونه في كتبه ويصرّح به في مجالسه, وكان إذا قصد صاحباً له استأذن عليه في الدخول ويقول لمن يأخذ له الإذن, قل له: أبو القاسم المعتزلي, وقد بذل مجهوداً كبيراً في تفسير الآيات القرآنية على مقتضى مذهب الاعتزال, واشتهر الزمخشري في عصره, مدحه الشعراء والأدباء, وطلب العلماء أن يعطيهم الإجازة في رواية كتبه, وأعجب بعض المفكرين بطريقة الزمخشري في تفسير القرآن الكريم, ومن هؤلاء المعجبين الإمام السيوطي.²⁵³

- مؤلفاته :

كان الزمخشري إماماً كبيراً في الحديث والتفسير والنحو والبلاغة وصاحب تأليف عظيم في كل ذلك, ومن مؤلفاته :

- في الحديث : "مشتبه أسامي الرواة"
- في الفقه : "الرائض في علم الفرائض"
- في الزهد : "أطواق الذهب في المواعظ" وكتاب "النصائح"
- في التفسير : تفسير الكشاف المشهور.²⁵⁴

²⁵² المعتزلة : فرقة كلامية سنية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80هـ - 131هـ) في البصرة في أواخر العصر الأموي , وقد ازدهرت في العصر العباسي , اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل , وقالوا بأن العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي , وكانوا يؤكدون على التوحيد والعدل الاجتماعي وهذا ما أعطاهم أهمية كبرى لدى الناس في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية , وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية , والتوحيد عندهم هو إثبات وحدانية الله ونفي المثل عنه , وقالوا إن صفاته هي عين ذاته فهو عالم بذاته قادر بذاته لا بصفات زائدة عن الذات , أما العدل عندهم فهم يعنون به قياس أحكام الله على ما يقتضيه العقل والحكمة , وبناءً على ذلك نفوا أموراً وأوجبوا أموراً أخرى.

(www.wikipedia.org.wiki)

²⁵³ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , مصدر سابق , ص59.

²⁵⁴ أحمد شلبي (دكتور) : علماء وأدباء , المصدر السابق , ص59.

ومن أشهر تلاميذ الزمخشري وخلفائه زين المشايخ "محمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي"

(576 هـ) الذي وضع كتاباً سماه "تراجم الأعاجم".²⁵⁵

هكذا نجد أن فطاحل العلماء والفضلاء كانوا من صميم أبناء تركستان، وقد اهتم بهم سلاطين الدولة القراخانية، وكان لهم مكانة عظيمة.

● مكانة علماء الدين في الدولة القراخانية :

تمتع علماء الدين المسلمين وخاصة الفقهاء بنفوذ كبير وذلك بسبب روح التدين الشديدة لدى الحكام حتى أن الخان "طمغاج خان إبراهيم" لم يكن يأخذ مალأً من أحد (أي لا يفرض ضرائب جديدة) حتى يستفتي الفقهاء، وبلغ من توقيره لرجال الدين أنه عندما قال له أحد الفقهاء ويسمى "الخطيب أبو شجاع" أنت لا تصلح للملك"، أغلق طمغاج بابه، وعزم على ترك الملك فاجتمع أهل سمرقند وقالوا له: قد أخطأ هذا الواعظ والقيام بأمور الرعية فرض عليه، فتراجع عن عزمه، إلا أنه حدث صدام بين الحكام والعلماء كما حدث في عصر أحمد خان سنة (488هـ/1095م) الذي قام بقتل أبي أحمد نصر سليمان الكاساني أحد الفقهاء، وكان يشغل منصب قاضي القضاة، وتصاعد عداؤه للعلماء حتى اتهموه بالزندقة، وحرّضوا قادة الجيش على قتله.²⁵⁶

كان اهتمام سلاطين الدولة القراخانية بالعلماء كبيراً، وكانوا قبل رعاياهم في حلقات الدروس يستمعون إلى العلماء، وكانوا يعظمون قدرهم، ويرفعون شأنهم.

²⁵⁵ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، ترجمة عبد الله العزب ، مصدر سابق ، ص 311 .
²⁵⁶ عبد الغني عبد الفتاح زهرة (دكتور): الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، مصدر سابق ، ص18.

• أسباب انتشار الإسلام :

نفاذ الإسلام إلى بعض القبائل التركية الوثنية عن طريق عدة عوامل :

- عن طريق الحملات العسكرية التي كان يشنها السامانيون على بعض المدن التركية مثل "أسفيجاب" و"طراز" وغيرها.
- عن طريق الهجمات التي كان يشنها الأتراك الوثنيون على بلاد ما وراء النهر.
- كان للتجار والدعاة العرب والمسلمين دور كبير في نشر الإسلام بين القبائل التركية.
- تأثر القبائل التركية بطراز حياة المسلمين وذلك لتفوق العالم الإسلامي مادياً ومعنوياً.²⁵⁷

• دور القراخانيين في نشر الإسلام :

اضطلع القراخانيون بدور عظيم في نشر الإسلام بين القبائل التركية الوثنية ف "أرسلان خان علي" رأس الدولة القراخانية مات شهيداً سنة 1998م وهو يحاول نشر الإسلام في شرقي كاشغر، و"قادر خان يوسف بن هارون بغراخان" افتتح مدينة خوتن سنة 1007م - 1008م وثبت الإسلام فيها، كما استطاع القراخانيون بقيادة "طغان خان أحمد بن علي" من صد هجمات لقبائل الترك الوثنية سنة (408هـ - 1017م) استهدفت الاستيلاء على المناطق الإسلامية في تركستان، حيث تمكن الزعيم القراخاني "طغان خان" رغم مرضه من هزيمتهم بعد أن استعان بجيش يقدر عدده بمائة وعشرين ألف فارس، واستطاع "طغان خان" وجيشه أن يقتلوا من الأتراك الوثنيين مائتي ألف وأسروا مائة ألف، وبفضل القراخانيين اعتنق أتراك القرغيز الإسلام وذلك في عام (435هـ - 1043م).²⁵⁸

²⁵⁷ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان "تاريخ منسى وحضارة باقية" ، مصدر سابق ، ص13.

²⁵⁸ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان "تاريخ منسى وحضارة باقية" ، المصدر السابق ، ص13.

• أخلاق حكام الدولة القراخانية :

عرف القراخانيون بأنهم حكام مسلمون متدينون فلم يشرب أحد منهم الخمر, وحكموا بالعدل فكان لسياستهم التي ساروا عليها أكبر الأثر في تحقيق الأمن والرخاء الاقتصادي, وهذه آراء ابن الأثير والذهني وبارتولد بشأن بعض هؤلاء الحكام.

- يصف ابن الأثير "إيلك خان نصر بن علي" بقوله : "كان خيرًا عادلاً حسن السيرة محباً للدين ومعظماً للعلم ومحباً لأهله ومحسناً إليهم".

- ويذكر الذهبي في سيرة "طغان خان أحمد بن علي" بقوله : "صاحب تركستان وبالاغاغون وكاشغر وخوتن كان بطلاً عادلاً شجاعاً".

- ويقول ابن الأثير عن قدر خان يوسف : "كان عادلاً حسن السيرة كثير الجهاد وكان يديم الصلاة في الجماعة".

- ويذكر "بارتولد" أن "طمغاج خان إبراهيم ابن إيلك خان نصر" كان عادلاً, وتوجهت عنايته إلى تثبيت قواعد الأمن والنظام بأراضيه وحماية ممتلكات الناس, وقد وقف التجار الذين أرادوا رفع الأسعار ودفعوا ألف دينار للخرينة مقابل تمرير السلطان قرار رفع الأسعار, فما كان منه إلا أن أجبرهم على إرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه وألزمهم بدفع غرامة مالية وقال في هذا الشأن: "لا يجوز أن أبيع جميع رعيتي بألف دينار".

- يصف ابن الأثير "سليمان بغراتكين أرسلان خان بن قدرخان يوسف" بقوله: "صاحب بالاغاغون وبلاد الترك لم يشرب الخمر قط وكان مُكرماً للعلماء".

- ويقول الذهبي عن السلطان: "شمس الملك نصر بن طمغاج خان": "كان من أفاضل الملوك علمًا ورأيًا وسياسة وحزمًا وفصاحة, درس الفقه وكتب بخط يده مصحف وأملى الحديث, وخطب على منبري بخارى وسمرقند".²⁵⁹

هكذا اهتمت الدولة القراخانية بالعلم وعلوم الدين تفسيراً وحديثاً وسيرةً وتاريخاً, ورفعت من شأن العلماء, وكانوا يكافئونهم ويرفعون من شأنهم, وسنتطرق في الباب الثاني إلى الحديث عن فطاحل الأدباء الذين ظهوروا في الدولة القراخانية في القرن الحادي عشر الميلادي.

²⁵⁹ زياد محمد هوش : القارخانيون في تركستان "تاريخ منسيذ وحضارة باقية", مصدر سابق , ص 17 , 18.

الباب الثاني

الفصل الأول

الأدب التركي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

يعد عصر الدولة القراخانية العصر الذهبي للأدب التركي؛ ففي عام 935م انبثق الأدب الإسلامي التركي على الوجود، وذلك بعد أن أسلم السلطان ساتوق بوغراخان، فشهدت هذه الفترة كما ذكرنا آنفاً اعتناق الأتراك الدين الإسلامي²⁶⁰، وبداية انتقالهم من ثقافة البداوة إلى ثقافة التحضر والمدنية، ففي العصور التي سبقت اعتناق الأتراك للإسلام لم تستطع الأديان التي آمنوا بها أن تحدث تغييرات أساسية في حياتهم ولم تؤثر في اللغة أو الأدب التركي، بينما كان لاعتناق الأتراك للإسلام أثر كبير في الفكر وأنماط الحياة، حيث أقبل الأتراك على الجوامع والمدارس لتعلم أمور دينهم ودراسة علومه من فقه وحديث، ونظموا حياتهم بالشكل الذي ينسجم مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، وأنشأ حكام ما وراء النهر كثيرًا من المؤسسات المدنية، واهتموا بالعلماء والشعراء وأنزلوهم المنزلة اللائقة بهم، وشيدوا في المدن قصورًا ومساجد وأضرحة ومدارس، وأنشأ كل من "تامغاج ابراهيم" و "شمس الملك" قصورًا في كل من "سمرقند" و "بخارى"، ثم جاء من بعدهم الحاكم أحمد فشييد قصرًا واحدًا، وشيدت هذه السلالة الحاكمة ولا سيما سلالة "أرسلان خان" كثيرًا من المؤسسات المدنية، وفي عام 1080م حل "خضر خان" محل "أرسلان خان"، وتقول الروايات إن حياة القصور في عصره كانت تتسم بالعظمة والفخامة، كما أكرم الشعراء والعلماء وأجزل لهم العطاء، ويدون أحد المؤرخين الذين عاشوا إبّان هذا القرن أنه وجد

260 sultan Mahmut kaşgari , uygur türkleri kültürü ve Türk Dünyası .s.90 kurtiş Matbaacılık , İstanbul,2004.

صحافاً مملوءة بالذهب والفضة في أحد الأبهاء التي يستقبل فيها السلطان زائريه, وأن السلطان "خضر" اهدى أحد الشعراء ذات يوم أربع صحاف على كل منها مائتا دينار²⁶¹.

وأجزل حكام سمرقند الهبات والعطايا لكثير من الأعاجم ومنهم "رشيد سمرقندي" و"مختار غزنوي" و"سوزن سمرقندي" الذين نظموا قصائد الوصف والمدح في هؤلاء الحكام, لا سيما أنه كُتبت طائفة من الآثار المهمة في التاريخ والأدب والسياسة باسم أحد حكام هذه السلالة وهو " قليج تامغاج خان إبراهيم".²⁶²

واهتموا بالعلوم الإسلامية وبدأ الأدباء الأتراك يكتبون إنتاجهم بثقافة إسلامية وبلغة عربية أو فارسية أو بلغة تركية تحوي الكثير من كلمات هاتين اللغتين, ووجد العلماء والكتّاب الأتراك أنفسهم أمام كمّ هائل من المفاهيم الفكرية والعلمية الجديدة تخص العقيدة الإسلامية والفقه والحديث الشريف, وُترجمت معاني القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة التركية, فأصبح الأدب التركي في القرن الحادي عشر أدباً دينياً, وأصبحت كاشغر عاصمة الدولة أحد أهم مراكز الثقافة التركية الإسلامية.²⁶³

وأقبل الأتراك علي تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم, واللغة الأساسية للحضارة, وهي وسيلة العلم وتوسيع معارفهم في علوم الدين الإسلامي, وكان تأثير اللغة التركية باللغة العربية تأثيراً عاماً شمل أدبها وقواعدها ومفرداتها وأبجديتها.²⁶⁴

تأثر الأدب التركي في نشأته بالأدب العربي بصورة مباشرة نتيجة لتعلم الأدباء الترك العربية ونقلهم عنها, وأخرى غير مباشرة بسبب تقليدهم للأدب الفارسي وهو مقلد للأدب العربي²⁶⁵, فتعلموا

²⁶¹ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ،ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم العزب , مراجعة : الصفصافي أحمد القطوري :. ط1, القاهرة , 2010, ص 240

²⁶² محمد فؤاد كوبريلي : المصدر السابق , ص241

263 Neclâ pekolcay , Selçk Eraydin /. Mustafa Tahrall / . Mustaf uzun /. M. Husrev subaşı, İslamî Türk Edbiyatında Şekil ve Nevilere giriş , s.3 , İstanbul , Ekim . 1996

²⁶⁴ عز الدين الورداني (دكتور): تركستان الشرقية والصين, صراع حضارتين , ص267, ص268, مركز الحضار العربية, الطبعة الأولى , القاهرة , 2009 .

الفارسية وأخذوا منها في الشعر أشكال النظم وأوزان العروض وهي مأخوذة في الأساس من الشعر العربي، ونظموا الشعر على شكل القصيدة أو على شكل المثنوي، والقصيدة هي شكل من أشكال النظم الكلاسيكية في الشعر العربي، وتتألف من ثلاثين بيتاً فأكثر، أما المثنوي فهو شكل من أشكال النظم في الشعر الفارسي يصل إلى عدة آلاف بيت من الشعر.²⁶⁶

وستتناول فيما يلي مصادر الأدب التركي :

- القرآن الكريم :

تأثر الأدب التركي في نشأته بأسلوب القرآن الكريم، ورصّع الشعراء الأتراك شعرهم بالآيات القرآنية وأطلق على هذا النوع من الشعر بالملعمات، وكان لا بد من ترجمة معاني القرآن الكريم لمن لا يعرفون العربية، وكانت ترجمة تفسير الطبري أولى محاولات الترجمة من العربية إلى الفارسية، وكانت هذه الخطوة حافزاً لإقدام الترك على الترجمة، وظهر نوعان من الترجمة التركية لمعاني القرآن:

- ترجمة حرفية دأب أصحابها على وضع المفردات التركية لكلمات القرآن بين السطور بحيث يأتي المعنى فوق الكلمة مباشرة .

- إيراد الترجمة على شكل فقرات أسفل النص مع ذكر الروايات والسير الواردة في التفسير.²⁶⁷

- الأحاديث النبوية :

تأثرت النماذج الأدبية التركية بالأحاديث الشريفة كما نرى في كتاب "عتبة الحقائق" لأحمد يوكنكي

الذي سنتعرض له لاحقاً، فقد تضمن آيات قرآنية وأحاديث شريفة²⁶⁸

²⁶⁵ - محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور): الأدب التركي الإسلامي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1987م، ص93
²⁶⁶ - محمد فؤاد كوبريلي: المتصوفة الأولون في الأدب التركي (الجزء الأول)، ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم (دكتور)، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2002م، ص73
²⁶⁷ - محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور): الأدب التركي الإسلامي، المصدر السابق، ص29
²⁶⁸ - محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور): الأدب التركي الإسلامي، مصدر سابق، ص24

– الأدب العربي :

تأثر الأدب التركي بالأدب العربي نتيجة لتعلم الأدباء الترك العربية ونقلهم عنها واحتكاكهم بالبيئات العربية, وقد استعان الشاعر التركي بالموضوعات العربية, واستهل قصيدته بالمطالع العربية نفسها من وصفٍ للديار , وما يبعث على ذكرى الحبيب مع اختلافٍ طفيف نتيجة لتغيير البيئة الطبيعية, فالشاعر التركي نظرًا لمعيشته في بيئة زراعية فكان يبدأ قصيدته بوصف الربيع فنُسمى قصيدته (بهارية) أي ربيعيه²⁶⁹.

وبدأ شعراء التركية ينسجون شعرهم على الأوزان العروضية, ونظرًا لأن اللفظة التركية قصيرة المقاطع حادة الحركات, بينما تتميز الأوزان العربية بمد الحروف وإمالتها, فاضطر شعراء الترك إزاء هذه الصعوبة إلي أن يلجأوا إلى الإمالة لتطويع الكلمات التركية وإلي استخدام المزيد من الكلمات العربية مع الفارسية, وهذا ما أطلق عليه المحدثون بالقولبة؛ لأن الشاعر حين كان يعجز عن إيجاد الكلمة التركية المناسبة للوزن الشعري المطلوب يلوذ بما هو موجود من الكلمات العربية أو الفارسية, وقد ظل شعراء التركية مخلصين للعروض منذ القرن الخامس الهجري أي منذ كتاب "قوتادغوبيليك" إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري.²⁷⁰

– الأدب الفارسي :

تأثر الأدب التركي أيضًا بالأدب الفارسي في أشكال النظم وأوزان العروض, وعندما اقتبس الترك العروض الفارسي كان الوزن التركي الباقي من عصر ما قبل الإسلام مهيمًا بشدة على الطبقة الشعبية

269 - محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور): المصدر السابق , ص42

270 محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور) : المصدر السابق , ص42

المتأصلة وله شيوع كبير بينها, ولم يتسَّ للعروض الفارسي الانتقال من الطبقات المتميزة إلى الزمرة الشعبية, وظل يُستخدم فقط في الطبقات العالية الرفيعة.²⁷¹

وكذا تأثر الأدباء الترك بشكل القصيدة وجميع فنون الشعر الفارسي, ونظموا شعرهم على شكل المثنوي, وسنتحدث باختصار عن تلك الفنون التي تأثروا بها .

- القصيدة :

اقتبس شعراء الفرس شكل القصيدة من الأدب العربي ابتداءً من بداية الأدب الإيراني الإسلامي، وقد بات هذا الشكل من النظم مؤكداً ثابتاً إبان عصر الرودي²⁷², ثم ما لبث أن حقق تطوراً قوياً وعظيماً لدى الشعراء الذين عاشوا في قصور "محمود الغزنوي", وكان شعراء الفرس يرون أن فن القصيدة يتمثل في تصوير كل صغيرة وكبيرة مما يفعله الحكام, فهم على سبيل المثال يصفون أقل الأشياء بدءاً من وصف وقائع الصيد والقتل وانتهاءً بالانتصارات العظيمة والأعياد القومية والدينية, حتى إنهم وصفوا الربيع والخريف ومزجوا العناصر الجديدة التي اقتبسوها من الأدب العربي بالثقافة الإيرانية القديمة وصبغوا القصيدة بصبغة فنية خالصة .²⁷³

وتحتل موضوعات مثل الوصف والغزل والفخر وغيرها مكانتها في القصيدة عند شعراء الفرس، ويمكن تقسيم القصيدة الواحدة إلى عدة أقسام وفق موضوعاتها مثل: الأمدوحة والهجوية والمرثية والنعت والتوحيد والمناجاة, وقد تأثر الأدب التركي الإسلامي بشكل القصيدة في الأدب الفارسي وظل هذا الأثر الفارسي واضحاً على الشعر التركي طوال بضعة قرون من الزمان²⁷⁴.

²⁷¹ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي (الجزء الأول) ، مصدر سابق ، ص 208
²⁷² الرودكي : هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم ، ولد عام (244هـ/858م) في قرية "رودك" من قرى سمرقند ، وتوفي عام (329هـ-940م) ، وهو شاعر فارسي ، ويعد أول شاعر ذى شأن في تاريخ الأدب الفارسي ، ومن أشهر أعماله ترجمته الشعرية لكتاب "كليلة ودمنة" نقلاً عن الترجمة العربية التي وضعها عبد المقفع (انظر : الرودي - ويكيبيديا- الموسوعة الحرة ، ar.m Wikipedia.org) .

²⁷³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، المصدر السابق ، ص 213

²⁷⁴ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، المصدر السابق ص 215

– فن الغزل في الشعر الفارسي :

ترجع بداية فن الغزل في الشعر الفارسي إلى أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري وهو عهد رواج المدائح , ولا نجد شاعرًا قد استخدم الغزل بوصفه فنًا مستقلًا له مقوماته وخصائصه.²⁷⁵

والغزل فن من فنون الشعر, ولفظ الغزل "عربي" وهو في أصل اللغة مشتق من أصلين:

الأول بمعنى الفتور, والثاني من مغازلة النساء فيصور أحاسيس العشاق ومشاعرهم تجاه أحبائهم, والغزل لدى الترك ضرب من ضروب النظم موحد القافية مثل القصيدة, ويتكون الغزل من بيت المطلع وهو البيت الأول في منظومة الغزل, ولفظة مطلع من الطلوع وتعني الظهور والشروق من حيث المعنى, ولا بد أن يكون شطراه مصرعين, والبيت الذي يلي المطلع فيطلق عليه "حسن مطلع" أما بيت المقطع فيطلق على البيت الأخير للغزل, كما يطلق على البيت السابق له "حسن المقطع", ثم بيت المخلص وهو ذلك البيت سواء المقطع أو حسن المقطع الذي يذكر فيه الشاعر مخلصه الشعري²⁷⁶, والغزل من حيث الشكل عبارة عن منظومة قصيرة يتراوح عدد أبياتها من خمسة أبيات أو سبعة أبيات أو تسعة أبيات, وهناك الغزل الذي يكون عدد أبياته أربعة, أو الذبित्रاوح ما بين عشرة أو خمسة عشر بيتًا²⁷⁷, وتشترك الغزلية مع القصيدة في أن مطلعها مُقَفَّى بين مصراعيه, والمصاريح الأخيرة في جميع أبياتها موحدة القافية مع المطلع, وتختلف الغزلية عن القصيدة في عدد الأبيات وفي أنها تنتهي عادة بأن

²⁷⁵ - إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور): فنون الشعر الفارسي, ص 201, مكتبة سعيد رأفت, الطبعة الثانية, 1979م.

²⁷⁶ بديعة محمد عبد العال حمودة (دكتور): فن الغزل في الأدب الديواني "دراسة فنية وموضوعية", رسالة دكتوراه, القاهرة, 1993م, ص 2, ص 5.

²⁷⁷ بديعة محمد عبد العال حمودة (دكتور): المصدر السابق, ص 10.

يذكر الشاعر لقبه الشعري في البيت الأخير أو السابق عليه وهو ما يعرف بالتخلص، ويطلق على هذا البيت من الشعر بيت المخلص²⁷⁸.

ولقد تفنن شعراء الفرس في ذكر جمال المحبوب وأوصافه ومحاسنه، وتصوير لوحة الفراق وحلاوة الوصال، وأمثلة ذلك كثيرة في قصائد العنصري²⁷⁹ (431 هـ - 1039 م)، والفرخي²⁸⁰ (429 هـ - 1037 م) وغيرهما، هذا إلى جانب استمرار هؤلاء الشعراء في نظم الرباعيات في الغزل.²⁸¹

- الشعر القصصي العاطفي :

ظهر هذا النوع في الشعر الفارسي في أوائل القرن الخامس الهجري، ويرجع السبب في نظم هذا النوع من الشعر إلى وجود قصص عاطفية في الأدب الإيراني القديم امتدت آثارها إلى الأدب الإسلامي، وإلى اقتباس بعض القصص من الكتب السماوية والأدب العربي القديم، وقد وردت في ثنايا شاهنامه الفردوسي مجموعة من القصص العاطفية مثل قصة "روذابة" بنت ملك كابل، و"زال" بن سام، وقصة "شاپور" والجارية الموكلة بحراسته، وإذا تجاوزنا قصص الحب في الشاهنامه نجد قصة "يوسف وزليخا" المأخوذة عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام، المذكورة في القرآن الكريم والتوراة، وقد نسب نظم هذه القصة إلى الفردوسي، وإن كان البعض يتشكك في صحة هذا أو ينسبها إلى شاعر آخر غير معروف، وقد نظمها شعراء العثمانية في عصور لاحقة مثل "فضولي البغدادي" وغيره من شعراء الترك.²⁸²

²⁷⁸ إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : فنون الشعر الفارسي ، مصدر سابق ، ص 203
²⁷⁹ العنصري : هو أبو القاسم الحسن بن أحمد العنصري أستاذ فن القصيدة الأول في الشعر الفارسي ، وشاعر السلطان محمود الغزنوي ، والذي وقف شعره على مدحه ووصف حملاته وغزواته ، وبخاصة في بلاد الهند لنشر الدين الإسلامي وتحطيم الأصنام (انظر : إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : فنون الشعر الفارسي ، مصدر سابق ، ص 80).
²⁸⁰ الفرخي : هو أبو الحسن علي بن جولوغ السجزي المتخلص بـ (فرخي) : كان من أهالي سيستان ، وتوفي عام (429 هـ - 1037 م) وكان من كبار الشعراء الذين التفوا حول السلطان محمود الغزنوي ، ولقد أجاد المدح والغزل ووصف الطبيعة انظر (إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : المصدر السابق ص 100) .
²⁸¹ إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : المصدر السابق ص 56.
²⁸² إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : المصدر السابق ، ص 64.

– المثنوي :

المثنوي هو شكل من أشكال النظم يأتي كل بيت فيه علي قافية منفردة برأسها, ويستعان بهذا الشكل من النظم في الملاحم والحكايات الخيالية والموضوعات التعليمية أو الصوفية, وهو شديد الشبه بالرباعي لأنه من بقايا الثقافة الفارسية الموروثة, ثم انتقل بعد ذلك من الفرس إلى العرب وسموه باسم "المزدوج", ولم يكن درب المثنوي مقصوراً على الفرس فحسب, بل كان له شيوع وذيوع كبير في التركية, فكما ذكرنا أن شعراء الترك نظموا شعرهم في شكل المثنوي.²⁸³

هذا عن مصادر الأدب التركي وسنتحدث الآن عن أنماط الأدب التركي في عصر الدولة القراخانية فهو ينقسم إلي :

• الأدب الديني أو الصوفي :

كان لتأثر الأدب التركي بالأدب العربي والفارسي أن أصبح أغلبه أدباً دينياً صوفياً, فلقد ظهر التصوف في الشعر الفارسي في القرن الخامس الهجري على يد شعراء الرباعيات من المتصوفة مثل "أبي سعيد بن أبي الخير" (440هـ - 1049م), وخواجه عبدالله الأنصاري (481هـ - 1088م), وكان "أبو سعيد بن أبي الخير" أول شيخ من شيوخ الصوفية صاغ عقائده وأفكاره نظماً بالفارسية, وهو أول من ابتدع الشعر الصوفي واستخدم الرباعيات دون غيرها وضمَّنَها جميع الأفكار الصوفية والفلسفية والدينية, والمتتبع للحركة الصوفية في القرن الخامس الهجري يلاحظ أن صوفية تلك الفترة أخذوا يستقرون في التكايا الصوفية التي بدأت في الانتشار في القرن الرابع الهجري, وزاد انتشارها في أوائل القرن الخامس الهجري حتى عمَّت جميع أرجاء العالم الإسلامي, وكان من المتَّبِع في هذه التكايا الصوفية إقامة حلقات السماع التي يُردد فيها أشعاراً في الغزل يفسرونها تفسيراً صوفياً؛ مما يحرك الوجد في قلوب السامعين

²⁸³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 219 , 222.

من الدراويش، وقد أدّى هذا إلى اهتمام جماعة من المتصوفة بنظم الغزل الصوفي على طريقتهم الخاصة وسلكوا فيه مسلك الرمز والإيماء²⁸⁴، والغزل الصوفي يتناول الموضوعات الدينية، ويصور النظام الفكري للطرق الصوفية المختلفة لأنه يوضح المعتقدات والفلسفة الصوفية، واشتق شعراء التصوف مذهبهم من كتاب الله، وأخذوا من آيات القرآن الكريم وقصصه ما أخذوا ليضمّنوه أشعارهم، وقد ناسب فن الغزل التعبير عن العشق الإلهي وعن فكر المتصوفة عامة²⁸⁵.

وأشعار التصوف في الأدب التركي الإسلامي عبارة عن حكايات وقصص من الحياة الواقعية ومن المعتقدات التي رسخت في ذهن الشعب، فعكست كرامة الشعب التركي وشخصيته، وكانت تُنظم على أنغام آلة وترية تُعرف لدى الترك بـ "ساز" وهي آلة عزف تركية تعرف في العربية بالرباب²⁸⁶، وأصبح للتيار الصوفي صدئ واسع في حياة المجتمع التركي، وبذلك نرى كما ذكرنا آنفاً تأثر الأدب التركي بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة²⁸⁷.

● الأدب التعليمي :

اتسم الأدب في تلك الفترة بالسمة التعليمية وتبوّأت الآثار التعليمية مكانة واسعة بين الأشعار التركية القديمة، وكانت بمنزلة دليل مرشد في الحياة، وتضمنت المبادئ والأسس الأخلاقية، ومن المبادئ الأخلاقية التي ترسخت في ثنايا هذه الآثار الأدبية، الحثُّ على طاعة الوالدين والإحسان إليهما وتوقير الكبير والخشوع للعظمة الإلهية، وحث المرء على الاتصاف بالمروءة والكرم والشرف، والتحذير من البخل والتنفير من مضرة الحسد وشروره وعاقبته الوخيمة²⁸⁸، فكانت المعاني الأخلاقية دائماً هي

²⁸⁴ إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور) : فنون الشعر الفارسي ، مصدر سابق ، ص 57.

²⁸⁵ بديعة محمد عبد العال حمودة (دكتور) : فن الغزل في الأدب الديواني ، مصدر سابق ، ص 129 ، ص 134.

²⁸⁶ Nihad Sâmî Banarlı : Resimli Türk Edebiyatı Târîhi, (Destanlar Devrinden Zamânımız kadeer, S.242 , İstanbul , 1887

²⁸⁷ - Alâeddin yalçınkaya : Sömürgecilik panislamizm Işığında Türkistan 1856, dan Günümüze s. 239 limaş yayınları , İstanbul, 1997 .

²⁸⁸ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 73.

الموضوع المفصل بالنسبة إلى الشعر التعليمي، ويتجلى في هذا الفن اهتمام الشعراء بالعلاقات بين الأفراد والأسر داخل المجتمع، فأفاض الشعراء في ضرب الأمثال حول طبيعة هذه العلاقات ونوعيتها ومدح الطيب منها وذم الخبيث والدعوة إلى مجتمع تسوده الأخلاق الحميدة والعلاقات الطيبة.²⁸⁹

ويعرف هذا النمط من الشعر عند البعض بشعر الحكم والمواعظ أو شعر النصيحة ويُعرف عند البعض بالشعر الأخلاقي، ويطلق عليه آخرون اسم الشعر التعليمي، وكان اصطلاح الشعر التعليمي يطلق على التعليم بمعناه العام الواسع سواء كان هذا الشعر متعلقاً بنوع من العلوم كالنحو والطب والتاريخ مثل ألفية ابن مالك في النحو ومنظومة "ظفرنامه" في التاريخ، أو متعلقاً بالحياة عامة من سلوك وأسلوب للحياة وطرق التعامل بين الناس²⁹⁰.

ويتجلى الأدب التعليمي بوضوح في كتابي: "عتبة الحقائق" لأحمد يوكنكي، وكتاب "قوتادغوبيليك" ليويسف خاص حاجب، فنرى فيهما الدعوة إلى القيم الإسلامية والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتربية الأفراد داخل إطار الثقافة الإسلامية، فقد ذكر أحمد يوكنكي في كتابه "عتبة الحقائق" رباعيات تدعو إلى الخير والكرم ورباعيات فيها ذم للبخل.²⁹¹

• الأدب الشعبي:

ازدهر الأدب الشعبي بين الترك قبل الإسلام، وكان يعبر عن الأعراف والعادات القديمة، واصطبغ في عصور الحضارة الإسلامية بثقافة ولغة مغايرة عن الأدب الشعبي التركي قبل الإسلام، فقد استمد موضوعاته من الحروب والبطولات الإسلامية²⁹²، ولم يفقد الأدب الشعبي أهميته أو قيمته بين الترك، ويوجد الكثير من المقطوعات المنظومة بالتركية تضمنتها كتاب "ديوان لغات الترك" لمحمود

²⁸⁹ محمد السعيد عبد المؤمن (دكتور): الأدب في العصر الصفوي، 1984م، ص272.

²⁹⁰ إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتور): فنون الشعر الفارسي، مصدر سابق، ص68.

²⁹¹ Nihad Sâmî Banarlı : A, G , E , S , 242

²⁹² Nihad Sâmî Banarlı : A – G – E . S . 215

الكاشغري تعبر عن الأدب في تلك الفترة²⁹³, أما فنون الأدب التركي الشعبي في القرن الحادي عشر الميلادي فهي:

• فن الأساطير:

نتعرف من خلال الأساطير على تاريخ الشعوب وحياتها الاجتماعية, وتبين الأساطير التركية في القرنين الرابع والخامس الهجريين إلى أي مدى نفذ الإسلام إلى روح الأتراك, فأسطورة "ساتوق بوغراخان" هي نتاج ديني أدبي حول حياة حاكم تركي يعترف بالإسلام ديناً لدولته, ويدعو قومه إلى الدخول في الإسلام, وهي تصور انتشار الإسلام بين الأقوام التركية, وتستعين بعناصر إسلامية مثل قصة الإسراء والمعراج, وعناصر شامانية تسربت بعد ذلك إلى الطرق الصوفية التي بعدت عن الشريعة الإسلامية, ونجد أن الأسطورة تستعين بالأحداث والحقائق التاريخية بحيث تبدو وكأنها قصة تاريخية, تتخللها البطولات التي تضيف على البطل صفات فوق صفات البشر.²⁹⁴

• المراثي:

أصبحت المراثي من أغراض النظم في الشعر التركي القديم, وكانت تنشد في مراسم المناسبات والاجتماعات والمجالس العامة في عصر ما قبل الإسلام وتشتهر بطولها, كما كان يترنم بها من يسمى "صاغوجي" "sağucu" أي مَنْ يقوم بنظمها أو إنشادها مع العزف على آلة العود, ويتغنى هؤلاء المنشدون بمناقب الميت وسرد صفحات الحروب التي خاض غمارها, وكيف كان يكرُّ ويفرُّ على أعدائه فيوقع بهم الهزيمة تلو الأخرى.²⁹⁵

²⁹³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص242.

²⁹⁴ محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور) : الأدب التركي الإسلامي , مصدر سابق , ص22.

²⁹⁵ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي , المصدر السابق , ص73.

ومن الملاحظ أن الحكاية والألم والإحساس بالشوق العميق تجاه الطبيعة والانجذاب إلى العشق والحياة وغيرها من المشاعر قد وجدت لنفسها في المراثية سبيلاً يُرتجى، وكان الراثي يفعل ما يفعله سائر العشاق حيث كان يبكي منتحباً متحدثاً عن جمال محبوبه وجفوته وعينية الساحرة والفاثنة.²⁹⁶

• الملاحم الشعرية:

ظهرت الملاحم الشعرية في العصر القراخاني بسبب اهتمام بعض الحكام بالشعر والشعراء وإغداق الأموال عليهم، وهي تصور حكايات الحروب، فوجد إحدى الملاحم تروي وقائع الحرب التي وقعت بين الترك والمسلمين والأويغور والبوذيين، وتتجلى الروح القتالية في نقوش أورخون، ونذكر من هذه النقوش مدى عداوة الترك المسلمين للأويغور والبوذيين، وكيفية مواجهة الترك المسلمين لمعابد الأويغور والبوذيين وأوثانهم.²⁹⁷

• أشعار الصيد والعشق والخمر:

تُبرز تلك الأشعار كل خصائص حياة الترك وهي مقتبسة من أحداث الحياة اليومية، وتتميز تلك الأشعار بالأصالة وهي مفعمة بالحياة والذوق الفني الذي يتجلى في الأنغام المترنم بها على آلة العود.²⁹⁸

• المناقب الدينية :

كانت منقبة "ساتوق بوغراخان" من النتاج الديني الأدبي الموجود في عصر القراخانين، وهي تتحدث عن المناقب المنثورة في كرامات "ساتوق بوغراخان" أول حاكم مسلم نشر الإسلام في الدولة القراخانية، وكيف قبل هذا الحاكم وقومه الدين الإسلامي عن طريق الشيخ "أبي نصر السمانى"، وهي

²⁹⁶ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 125

²⁹⁷ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 244.

²⁹⁸ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، المصدر السابق ، ص 244.

تعرض أيضًا أحوال "بوغراخان" وأولاده, وكذا تعرض الكثير من الأحداث التاريخية في تلك الحقبة, ويمكن أن تكون هذه المنقبة قد جُمعت وأُلفت ورُتبت مقرونة بالأحداث التاريخية.²⁹⁹

بعد أن تحدثنا عن فنون الأدب التركي في القرن الحادي عشر الميلادي سنتطرق الآن إلى مميزات الأدب التركي في تلك الفترة, وتتمثل في :

- تأثر الأدب التركي بالأدب العربي والفارسي.
- ظل الأدب التركي أدبًا بسيطًا محافظًا على الشخصية التركية سواء في المبنى أو المعنى.
- امتاز الأدب التركي بالطابع التعليمي, ونرى ذلك بوضوح من خلال الأعمال الأدبية التركية في تلك الفترة مثل كتاب : "عتبة الحقائق" لأحمد يوكنكي, وكتاب "قوتادغوبيليك" ليوسف خاص حاجب.

- تأثره بالعلوم الإسلامية فهي المصدر الثقافي للأدب الإسلامي.³⁰⁰
- أما عن مظاهر التغيير التي طرأت على الأدب التركي في القرن الحادي عشر الميلادي فكانت التوفيق بين الأساطير والحكايات الشعبية التي تميز بها الأدب التركي حينذاك وبين الأسس العامة للدين الإسلامي الجديد.³⁰¹

● اللغة في القرن الحادي عشر الميلادي:

سنتطرق الآن إلى الحديث عن اللغة التركية في القرن الحادي عشر الميلادي, فاللغة تعبر عن ثقافة أي شعب, وهي ظاهرة اجتماعية تتأثر بجميع ظواهر الحياة الاجتماعية, حيث يؤثر المحيط الثقافي الذي

²⁹⁹ محمد فؤاد كوبرلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 252 , 253.

³⁰⁰ Alâeddin yalçinkaya : Sömürgecilik panislamizm [Şiğinda Türkistan 1856, dan Günümüzde A. G. E , S. 240

³⁰¹ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان " تاريخ منسي وحضارة باقية , مصدر سابق , ص 20

يعيش فيه الفرد في مدى اكتسابه لعناصر الثقافة السائدة في , كما ينعكس أثر اللغة بدورها على مختلف الظواهر الاجتماعية.³⁰²

يرى محمود الكاشغري الذي صنف كتاب "ديوان لغات الترك" في القرن الخامس الهجري أنه يجب تقسيم لغة الترك إبان هذا القرن إلى شعبتين أساسيتين إحداها في الشرق والأخرى في الغرب, والتركية الشرقية أو الخاقانية كما يسميها الكاشغري هي اللغة الأدبية الدارجة على لسان أهالي "كاشغر" و "بالاساغون" وما حولها؛ وهذا يعني أنها اللغة التي انتشرت في المنطقة الواقعة تحت نفوذ القراخانيين, أما التركية الغربية فهي تركية "كوك تورك".³⁰³

نرى في عهد القراخانيين تطور الأدب الأويغوري الشفاهي والمدون, وظهرت كثير من المؤلفات القيمة باللغة الخاقانية التي تولدت عن طريق دمج كل من طريقتي الكتابة الأويغورية القديمة والكتابة العربية مثل كتابي: "عتبة الحقائق" و "قوتادغوبيليك", وفي هذه العهود أصبح استخدام اللغة الأويغورية في التأليف من التقاليد المتبعة في القبائل الناطقة بالتركية في وسط "آسيا" و "يدى سو" و "خوارزم" وحتى في المناطق التي تقع خارج حدود الدولة القراخانية, وسميت اللغة في عهود القراخانيين بـ "لغة بوغراخان" و "لغة خان" و "لغة كاشغر" و "لغة الترك" وأطلق عليها "أحمد يوكنكي" لغة كاشغر في كتابه: "عتبة الحقائق", وكانت اللغة التركية هي اللغة الشعبية ولغة العصر ولغة الدولة في عهد القراخانيين, لذا نرى أن القراخانيين من أكثر الأقوام التي حافظت على هويتها التركية.³⁰⁴

واختار الترك بعد دخولهم الإسلام الحرف العربي لكتابة لغتهم؛ شأنهم في ذلك شأن كل شعوب آسيا التي اعتنقت الإسلام, وقد شاعت في التركستان اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن, وأصبحت لغتهم عامرة بالألفاظ العربية³⁰⁵, وما زالت اللغة الأويغورية منذ ألف سنة حتى الوقت الحاضر هي اللهجة

³⁰² عز الدين الورداني (دكتور) : تركستان الشرقية والصين , صراع حضارتين , مصدر سابق , ص 265.

³⁰³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 232

³⁰⁴ Nihâd Sâmî Banarlı Resimli Türk Edebiyatı Târîhi , A. G. E. S. 219

³⁰⁵ Sultan Mahmut Kaşgarlı uygur Türkleri kültürü ve Türk Dünyası, A .G.E, S . 46

التركية الوحيدة من بين جميع اللهجات التركية الأخرى التي ما زالت تستخدم الحروف العربية في كتابة مؤلفاتها ومدوناتها.³⁰⁶

وبالعودة إلى كتابات الأدب التركي قبل الإسلام نجدها أنها بدأت بالنقوش المحفورة على الأحجار في عهد دولة "الغوك تورك"، ويُطلق على أدب تلك الفترة أدب الأحجار الأبدية، وكانت أكبر تلك النقوش "نقوش أورخون"، ولا يوجد أعمال مكتوبة على الورق حتى عهد الأويغور، وقد ذكر "محمود الكاشغري" في كتابه: "ديوان لغات الترك" نماذج من أدب الأتراك قبل الإسلام.³⁰⁷

وفي عهد دولة الأويغور هجر الأتراك أبجدية "الغوك تورك" و استخدموا الأبجدية الأويغورية التي كانت أكثر ملاءمة للكتابة على الجلود والأوراق³⁰⁸، وعندما اعتنق الترك الإسلام كانت اللغة التركية تُكتب بحروف أويغورية جنباً إلى جنب مع الحروف العربية، وقد استخدم الخط الأويغوري في المعاملات والمكاتبات الرسمية وفي ضرب السكة، كما دجبت به طائفة من الآثار الإسلامية التركية، ويرى "أحمد جعفر اوغلو" أن لغة الأويغور قد اضطلعت بدور مهم في ثقافة ولغتها آسيا الوسطى، كما ذكر "رشيد رحمتي": أن اللغة الأويغورية "نقطة تحول في تاريخ اللغة التركية"³⁰⁹، واللغة الأويغورية من اللهجات التركية التي ما زال شعب الأويغور في تركستان الشرقية يتفاهم بها؛ فهي لغة رسمية له، ويتحدث بها حالياً ما يقرب من عشرين مليوناً في مناطق الصين وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأفغانستان، وهي لغة قديمة جداً لها تاريخ طويل، وكان لها أثرها المميز في تاريخ الأويغور السياسي والاجتماعي والحضاري والأدبي³¹⁰، وهي أهم أبجدية استخدمت بعد أبجدية "الغوك تورك"³¹¹، وقبل

³⁰⁶ عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية (مع نماذج الأدب الإسلامي الأويغوري القديم والحديث) نُويغُور تلي گرامماتيكسى، تقديم محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور) وماجدة مخلوف (دكتور): القاهرة. 2010، ص 11.

³⁰⁷ Sultan Mahamut Kaşgarlı: uygur Türkleri ve Kültürü ve Türk Dünyası, A.G.E, S. 21

³⁰⁸ Sultan Mahamut Kaşgarlı:" A .G.E,S. 17

³⁰⁹ Sultan Mahamut Kaşgarlı:" A .G.E,S. 308

³¹⁰ عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية، المصدر السابق، ص 11
³¹¹ "الغوك تورك" هي أول أبجدية استخدمها الأتراك، ويرى طومسون أن هذه الأبجدية قد اشتقت من أصل شامي، كالآرامية مثلاً، وقد استند طومسون في نظريته تلك إلى التشابه الكبير بين بعض حروف هذه الأبجدية وحروف الأبجدية الآرامية، وتكتب

الأبجدية العربية, ولقد استخدم الأويغوريون العديد من الخطوط مثل : الخط البراهيمي والصغدي والماني, وذلك قبل إسلام القبائل التركية, ثم تخلت تلك القبائل عن تلك الخطوط ودونت بالخط العربي تراثها ومؤلفاتها وذلك بعد اعتناقهم الإسلام.³¹²

ويُعدُّ الخط العربي أشهر الخطوط التي استخدمها الأتراك سواء من ناحية الإطار الزمني أو المحيط الجغرافي, وكان أول من كتب بالخط العربي من القراخانيين هو "محمود الكاشغري" في كتابه : "ديوان لغات الترك"³¹³, وسنقوم بعرض لطريقة كتابة الأبجدية الأويغورية مع مقارنتها باللاتينية³¹⁴.

| طريقة النطق | الحرف | طريقة النطق | الحرف | طريقة النطق | الحرف |
|-------------|-------|-------------|-------|-------------|-------|
| N | ن | J | ژ | A | ئا |
| H | هـ | S | س | E | ئه |
| O | ئو | Sh | ش | B | ب |
| U | ئو | Gh | غ | P | پ |
| Ö | ئو | F | ف | T | ت |
| Ü | ئو | Q | ق | J | ج |
| V | ؤ | K | ك | Ch | چ |
| É | ئي | G | گ | H , X | خ |
| İ | ئي | N | ئڭ | D | د |
| y | ي | I | ل | R | ر |
| | | m | م | Z | ز |

أبجدية "الگوک ترک" من اليمين إلى اليسار وهذا دليل على أنها اشتقت من أصل سامي (انظر : الصفصافي أحمد المرسى القطوري (دكتور) : علم اللغة التقابلي وتطبيقاته على اللغة الشرقية , دار الآفاق العربية , القاهرة , 1422 هـ - 2001 م , ص 132
³¹² الصفصافي أحمد المرسى القطوري : علم اللغة التقابلي وتطبيقاته على اللغات الشرقية , مصدر سابق , ص 122
³¹³ الصفصافي أحمد المرسى القطوري : المصدر السابق , ص 136

³¹⁴ Rıdvanöz Türk : yeni uyur Türkesi Grameri , Birinci baskı , S.2 ,3 ,1994

بعد أن تحدثنا عن الأدب واللغة في عهد القراخانيين نستطيع أن نقول: إنه ثمة تطور فكري وثقافي عظيم بين الترك إبان عصر القراخانيين, إذ ظهرت طائفة من أقطاب العلماء المسلمين الذين وقفوا على العلوم الإسلامية في غرب تركستان والمناطق الشرقية مثل بالاساغون وكاشغر, وقد وصل إلينا قدر ضئيل من أسماء هؤلاء العلماء وآثارهم بسبب الغزوات والفتوحات والحروب المختلفة, وإذا كان قد تأكد وضع كثير من الآثار التركية في هذه العصور فإنه مما يؤسف النذر القليل الذي تسنى إلينا, ورغم هذا فإن كتابي الأنساب للسامعاني وملحقات السراح لجمال قرشي قد حققا تطوراً مهماً للعلوم الإسلامية في شرق تركستان إبان عصر القراخانيين, كما ظهر المفسرون والمحدثون والمتخصصون في اللغة والأدب بين الترك والمراكز المدنية الكبرى في هذه البقاع, وسنذكر في الفصل التالي علماء اللغة والأدب في عهد القراخانيين .

الفصل الثاني

علماء اللغة والأدب في عهد القراخانيين

سنتطرق في هذا الفصل إلى المفسرين والمحدثين والفقهاء وعلماء اللغة والأدب الذين نبغوا في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في عهد القراخانيين، وسنورد بعضاً منهم على سبيل المثال.

• من المفسرين والمحدثين والفقهاء :

- حسين خلف الكاشغري (973هـ - 1093م), ألف العديد من الكتب منها تفسير القرآن الكريم, وشرح الأحاديث النبوية, وهو معلم محمود الكاشغري³¹⁵.
- عماد الدين محمد بن رشيد بن الكاشغري (1083م)³¹⁶.
- أبو الفيض محمد بن حسين بيهقي (966هـ - 1039م)³¹⁷.
- أبو بكر محمد بن نارشاخي (959م) ألف كتاباً بعنوان (تاريخ بخاري)³¹⁸.
- مجد الدين محمد بن عدناني³¹⁹.
- محمد السمرقندي: وهو مؤرخ ومؤلف وصاحب كتاب "المعايير الأساسية للسياسة" وقدمه إلى "تاو غاج جان سلطان الدولة القراخانية"³²⁰.
- أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي (1015م) صاحب كتاب (كتاب القند في تاريخ سمرقند)³²¹

315 - هاجي نور هاجي : قه دىمكى سمكن ئۇيغورلار ۋە قارخانىيلار , شىنجاڭ خەلق نەشرىياتى, S.398 .

316 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 398

317 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 401

318 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 402

319 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 403

320 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 401

321 - هاجي نور هاجي : A.G.E,S. 401

- الجوهري: عالم اللغة من مشاهير الأدباء في القرن الحادي عشر الميلادي, وهو صاحب كتاب "معجم تاج اللغة وصحاح العربية" وقد أهدى إلى الأمة العربية أحسن قواميس اللغة العربية و أكملها.³²²
- عبد الغفار بن حسين الكاشغري (1082م) , عالم مشهور, ولد وعاش في كاشغر, ألف كتابه "تاريخ كاشغر مسكن الأساتذة"³²³
- محمد بن العباس الخوارزمي: (323هـ – 935م), يُكنَّى بأبي بكر وهو من أئمة الكتاب وأحد الشعراء والعلماء, وهو صاحب الرسائل المعروفة بـ "رسائل الخوارزمي".³²⁴
- ومن سلاطين الدولة القراخانية :

السلطان ساتوق بوغراخان والسلطان خرزخان, والسلطان يوسف قادر خان, والسلطان علي أرسلان خان, والسلطان بوغراخان.³²⁵

• ومن مشاهير الأدباء في القرن الحادي عشر الميلادي:

- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (362هـ – 973م)³²⁶
- أبو علي بن سينا (370هـ – 980م)³²⁷
- أبو نصر محمد الفارابي (260هـ – 874م)³²⁸

322 - عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا , مصدر سابق , ص 41
 323 - حاجي نور حاجي : قه د بمكي سمكن ئويغورلار ۋه قارخانييلار , A.G.E,S. 398
 324 - عبد العزيز جنكيز خان : تركستان من قلب آسيا , المصدر السابق , ص 40
 325 - عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية , مصدر سابق , ص 188
 326 - حاجي نور حاجي : A.G.E,S. 406
 327 - حاجي نور حاجي : A.G.E,S. 402
 328 - حاجي نور حاجي : A.G.E,S. 403

وسنذكر نبذة بسيطة عنهم :

• البيروني:

هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ولد عام (362هـ - 973م) في بلدة بيرون إحدى ضواحي مدينة كاث عاصمة الدولة الخوارزمية، وقضى فترة طويلة في الهند، وتوفي عام (440هـ - 1048م) في غزنة بأفغانستان.³²⁹

تلقى تعليمه في بلده، حيث حفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة، والكتابة والحساب وشيئاً من الفقه والحديث ثم اتجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات، وكان رحالة وفيلسوفاً وجيولوجياً وصيدلياً ورياضياً وفلكياً وجغرافياً وكيميائياً، وكاتباً موسوعياً، وأحد عظماء العلم الإسلامي، وكان منقطع النظر في العصور الوسطى في تسامحه وحبه وشجاعته، ولقد صنف كتباً تُرَبِّي على المائة والعشرين، وكتب باللغة العربية والفارسية، وكتب بالعربية عدداً من المؤلفات في الجغرافيا والرياضيات والفلك، وترجم عدة كتب من السنسكريتية إلى العربية، وإلى جانب ذلك قام البيروني بنقل المعرفة الإسلامية إلى الهندوس، وبذلك فهو يعد رافداً مهماً من روافد الثقافة العلمية في الاسلام³³⁰.

رحل البيروني إلى جرجان في سن الخامسة والعشرين حوالي (388هـ - 999م) حيث إلتحق ببلاط السلطان أبي الحسن قابوس وشمجير شمس المعالي ونشر هناك أول كتبه وهو: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" عام (1000م)³³¹، وحين عاد إلى موطنه إلتحق بحاشية الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه الذي عهد إليه ببعض المهام السياسية نظراً لطلاقة لسانه، وعند سقوط الإمارة بيد محمود بن سبكتكين حاكم غزنة عام 407 هـ ألحقه مع طائفة من العلماء إلى بلاطه ونشر ثاني مؤلفاته الكبرى (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، كما كتب مؤلفين آخرين كبيرين هما

³²⁹ عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية، مصدر سابق، ص 188

³³⁰ مصطفى ليبب عبد الغني (دكتور) : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر، الطبعة الرابعة، 2005م،

ص148، ص149

³³¹ هاجي نور هاجي: قه دىمكى سمكن ئويغورلار ۋه قارخانىلار، A.G.E.S. 407

(القانون المسعودي)، و(التفهيم لأوائل صناعة التنجيم)، وله أيضاً إسهامات في حساب المثلثات والدوائر وخطوط الطول والعرض، و دوران الأرض، والفرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت، واشتهر أيضاً بكتابه عن الصيدلة والأدوية، فكتب في آخر حياته كتاب: "الصيدلة في الطب" وكان الكتاب عن ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها.³³²

وهب البيروني حياته كلها للعلم، ولم تشغله الدنيا في الانصراف عنه وكان زاهداً في المال إلا ما يكفي حاجته، وقد أشاد بمكانته كبار مؤرخي العلم أمثال: "سخاو" و"سارتون"، ولقبه عليه المستشرقون تسمية بـ "طليموس العرب"، وقد سبق البيروني جاليليو بخمسائة عام وقرر أن الأرض تدور حول محور الشمس، وسبق نيوتن بستمائة عام فاكتشف قانون انجذاب الأجسام نحو الأرض.³³³

– ابن سينا:

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، كان فيلسوفاً وطبيباً مسلماً، ولد عام (370هـ – 980م) في قرية أفشنة بالقرب من بخارى في أوزبكستان من أب من مدينة بلخ في أفغانستان، وأم قروية، وتوفي في همدان في إيران عام (427هـ – 1037م).³³⁴

بدأ ابن سينا رحلة العلوم في بخارى، وحفظ القرآن بأكمله وعمره لم يتجاوز العاشرة، ثم تلقى علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب، ودرس على يد عالم بخارى متخصص في علوم الفلسفة والمنطق اسمه: "أبو عبدالله النانلي" وهو من الفلاسفة، وكان ابن سينا شديد الذكاء، وامتاز بمواهبه الفذة وعبقريته في تعلم القرآن والأدب وهو ابن عشر سنين، وتعلم حساب الهند.³³⁵

³³² هاجي نور هاجي: قه ديمكى سمكن نؤيغورلار، وه قارخانيلار، A.G.E,S. 408

³³³ - عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية، مصدر سابق، ص 188

³³⁴ - هاجي نور هاجي: A.G.E,S. 402

³³⁵ - هاجي نور هاجي: A.G.E,S. 403

عُرف ابن سينا باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبي الطب الحديث في العصور الوسطى، فكان حجة في الطب والفلك والرياضة والفلسفة والتربية والسياسة، ألف مائتي كتاب في مواضيع مختلفة، ركز فيها على الفلسفة والطب، وكتب رسائل كثيرة نثرية وشعرية معظمها بالعربية و قليل منها بالفارسية.³³⁶

ففي العلوم الشرعية: وفق بين الفلسفة والدين، بما حاوله من تأويل آيات القرآن الكريم، وبما أورده من أدلة عقلية لإثبات النبوة، وضرورتها لتدبير أمور الناس في معاشهم، وتبصيرهم بحقائق حياتهم في معادهم، وفي الطب: يُعدُّ ابن سينا أول من كتب عن الطب في العالم، وأشهر أعماله كتاب (القانون في الطب)، وهو موسوعة طبية أفاد منها أطباء القرون الوسطى سواء في الشرق أو في الغرب، وعدها الأوربيون خير ما أنتجه الفكر العربي الإسلامي، وأمَّا التشريح فلقد قام ابن سينا كل أعضاء الجسم، وفي التربية والتعليم، كان من رأيه في سياسة الرجل مع أولاده أن يبدأ بتوريض أخلاق الطفل منذ نشأته، قبل أن يتخلق بأخلاق قبيحة، و يحذر ابن سينا من تعريض الطفل لمسببات الغضب أو الخوف أو القهر حتى لا يضطرب مزاجه، فتفسد أخلاقه، وينصح بعدم اللجوء إلى الضرب لتقويم اعوجاجه.³³⁷

• الفارابي:

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي، ولد عام (260هـ - 874م) في واسج بالقرب من فاراب في إقليم تركستان لأسرة تركية³³⁸، وتوفي عام (339هـ - 950م)، تنقل في أنحاء البلاد وفي سوريا قصد حلب، وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني فترة ثم ذهب إلى دمشق وأقام فيها حتى وفاته، ودفن بها عن عمر يناهز ثمانين عامًا.³³⁹

³³⁶ مصطفى لبيب عبد الغني (دكتور): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، مصدر سابق، ص 150
³³⁷ - سعيد جودة السحار: مصور أعلام الفكر العربي، الجزء الثالث، مكتبة مصر، بدون سنة طبع، ص8
³³⁸ - نابذو لجليل توران: نؤيغورچه ئوقوشلوق تئل نه ده ببيات وّه تاريخ A.G.E, S51
³³⁹ - نابذو لجليل توران: A.G. E, S.52.

وضع الفارابي عدة مصنفات أشهرها كتاب "إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها", وسُمِّيَ "الفارابي" المعلم الثاني لأن أرسطو المعلم الأول, وكان الفارابي شارحاً لمؤلفات أرسطو المنطقية³⁴⁰.

عكف الفارابي في مسقط رأسه على دراسة طائفة من مواد العلوم والرياضيات والآداب والفلسفة واللغات واللغة التركية بصفة خاصة، فهي لغته الأصلية, بجانب معرفته للغات العربية والفارسية واليونانية, ثم خرج من بلده حوالي عام 310هـ, وهو يومئذ يناهز الخمسين, قاصداً العراق, حيث أتم دراسته فيما بدأ فيه في مسقط رأسه وأضاف إليه مواد أخرى كثيرة, فدرس في حران الفلسفة والمنطق والطب على الطبيب المنطقي المسيحي : "يوحنا بن حيلان", ودرس في بغداد الفلسفة والمنطق على "أبي بشر متى بن يونس" ودرس في بغداد كذلك العلوم اللسانية العربية على "ابن السراج" وأُتيح له فيها أيضاً دراسة الموسيقى وإتمام دراساته في اللغات والطب والعلوم والرياضيات, وكان الفارابي مولعاً بالأسفار في طلب العلم ونشره والإحاطة بشئون الجماعات, فانتقل من العراق إلى الشام في عام 330هـ؛ حيث اتصل بسيف الدولة بن حمدان الذي عرف له فضله, وعاش في كنفه منقطعاً إلى التعليم والتأليف, وأثناء إقامته بالشام تنقل بين مدنها وخاصة بين حلب ودمشق, كما سافر من الشام إلى مصر, وكان ذلك عام 338هـ, ثم عاود أدراجه إلى دمشق.³⁴¹

أثر الفارابي حياة الزهد والتقشف فلم يتزوج و لم يقتن مالا, ويروى أنه قد بلغ به التقشف أنه كان يسهر الليل للمطالعة والتصنيف مستضيئاً بقنديل الحارس؛ لأنه لم يكن يملك قنديلاً خاصاً, وكان يؤثر العزلة والوحدة ليخلو إلى التأمل والتفكير.³⁴²

تعددت مؤلفات الفارابي؛ غير أنه لم يصل إلينا إلا أربعون رسالة منها اثنتان وثلاثون رسالة وصلت إلينا مترجمة إلى العربية, ورسالتان مترجمتان إلى اللاتينية, وقد طبع نصف مؤلفاته التي وصلت

340 - مصطفى لبيب عبد الغني (دكتور): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب , مصدر سابق , ص 127

341 - نابذو لجيل توران : ئۇيغورچە ئوقۇشلۇق تىل ئە دە بىيات ۋە تارىخ S.52,A.G.E

342 - نابذو لجيل توران : S.55,53 A.G.E

إلينا في أصلها العرب في حيدر آباد والقاهرة وبيروت وغيرها, ومن بين كتبه: قاموس باللغة العربية باسم

"ديوان الأدب في بيان لغة العرب", وأفاد منه "محمود الكاشغري" إفادة جمة.³⁴³

وتنوعت مؤلفاته في موضوعات كثيرة منها على سبيل المثال :

• الفلسفة:

"رسالة فصوص الحكم"³⁴⁴ وهي مقدمة موجزة للفلسفة, وكتاب "الخرافة الكبير", وكتاب

"الواحد والوحدة", وكتاب "الجوهر", وكتاب "الزمان", وكتاب "المكان", وكتاب "الخلاء", وكتاب

"العقل والمعقول", وكتاب "منطق الفارابي".

• الموسيقى:

كتاب "صناعة علم الموسيقى", وكتاب "الموسيقى الكبير".

• المنطق:

كتاب "الأخلاقيات إلى نيقوماخوس", وكتاب "العلم الطبيعي", وكتاب "الآثار العلوية", ورسالة

"النفس والعالم".

• الاجتماع:

كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة", وكتاب "السياسات المدنية", وكتاب "جوامع السياسة".

• العلوم:

إحصاء العلوم و التعريف بأغراضها.

³⁴³ عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية , مصدر سابق , ص 188
³⁴⁴ ثمة تشابه بين اسم "رسالة فصوص الحكم" للفارابي وبين مؤلف "فصوص الحكم" لمحيي الدين بن عربي , وكتاب فصوص الحكم لابن عربي يتحدث عن الفلسفة الإلهية الممتزجة بالتصوف , وغاية المؤلف في البحث في طبيعة الوجود بوجه عام وصلة الوجود الممكن (العالم) بالوجود الواجب (الله) , وأخص ناحية فيه كما تشهد فصوله البحث في الحقيقة الإلهية متجلية في أكمل مظاهرها في صور الأنبياء عليهم السلام (انظر : محيي الدين بن عربي – فصوص الحكم – www.sooqkaz.com)

• الأدب:

كتاب الشعر, و"رساله في قانون صناعة الشعر", و"كلام في الشعر والقافية"³⁴⁵.

كان الفارابي فيلسوفًا مسلمًا أفلاطونيًا محدثًا وموسوعيًا, مذهبه توفيقي يجمع بين الأفلاطونية والأرسطية والصوفية, واصل التوفيق الذي بدأه الكندي بين الفلسفة اليونانية والإسلام ومهد بذلك الطريق لفلسفة ابن سينا.³⁴⁶

ويوجد تجانس بين الشيخين الفارابي وابن سينا في مؤلفاتهما رغم أن الفارابي في فاراب وابن سينا في بخارى فهما لا يختلفان باختلاف المكان.³⁴⁷

هذا عن مشاهير الأدباء, أما أهم الأدباء الأتراك المسلمين وأوائلهم في عهد القراخانيين الذين تركوا لنا نتاجًا أدبيًا يمثل أول نتاج أدبي إسلامي تركي فهم:

"أديب أحمد يوكنكي" صاحب كتاب "عتبة الحقائق", و"يوسف خاص حاجب" صاحب كتاب "قوتادغوبيليك", و"محمود الكاشغري": صاحب كتاب "ديوان لغات الترك", ونجد أن كتاب "عتبة الحقائق" أحدث عهدًا من كتاب "قوتادغوبيليك", ويتناول الموضوع نفسه الذي يتناوله "قوتادغوبيليك", فهو يحتوي على نصائح أخلاقية³⁴⁸, وقد دُون أن كتاب "قوتادغوبيليك" قبل أن يشرع محمود الكاشغري في تدوين كتابه بعامين فقط, ولا نعلم هل رآه الكاشغري أم لم يره, فالكاشغري نفسه لم يُجب عن هذا السؤال ولكنه يقول إن كتابه اللغوي ليس له نظير فيما دُون من قبل.³⁴⁹

وسنورد في الباب الثالث هؤلاء الأدباء الأتراك العظام لما تركوه لنا من أدب إسلامي ترك أثره في الأدباء الذين خلفوهم.

³⁴⁵ عبد الرحمن جمال الكاشغري: قواعد اللغة الأويغورية (مع نماذج الأدب الإسلامي الأويغوري القديم والحديث) مصدر سابق, ص 201

³⁴⁶ نابذو لجليل توران: A.G.E, S. 403

³⁴⁷ مصطفى لبيب عبد الغني (دكتور): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب, مصدر سابق, ص 13

³⁴⁸ و.بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى, ترجمة: أحمد السعيد سليمان (دكتور), ص 138

³⁴⁹ و.بارتولد: ترجمة: أحمد السعيد سليمان (دكتور), المصدر السابق, ص 137

الباب الثالث

أوائل الأدباء الأتراك المسلمين في عهد القراخانين

أديب أحمد

ولد أديب أحمد بن محمد يوكنكي عام 1110م في منطقة "يوكنك" التابعة للقراخانين الغربيين, وتوفي عام 1180م , وكان كفيفاً شديد الذكاء³⁵⁰ وزاهداً وشديد الورع والإيمان, وبارعاً في اللغة العربية وملماً بالعلوم الإسلامية, وقد تلقى العلم في مدرسة كلاسيكية تهتم بهذه العلوم.³⁵¹

وذكر "علي شير نوائي" في كتابه: "نسائم المحبة" معلومات قيمة عن "أديب أحمد", وهي بمنزلة المصدر الوحيد الذي يمكننا العثور عليه في المصادر التاريخية والأدبية وتتصل بهذا الشاعر الأديب علماً بأن الأديب أحمد تركي الأصل³⁵², وذكر "علي شيرنوائي" أنه رجلٌ ذكيٌّ ومن رجال الدين المبرزين, وكان تلميذاً نجيباً للإمام "أبي حنيفة النعمان", وقطع مسافات طويلة من أجل تلقي العلم, وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس, وعندما سئل الإمام "أبو حنيفة النعمان" عن سبب حبه ورضاه عن هذا التلميذ حتى يذنيه من مجلسه, ودرجه بين ثنايا طلابه, أجاب الإمام قائلاً: "إنهم جميعاً أفاضل طييون ذوو أربحية وخلق عظيم, ولكن هذا التركي الأكمه الذي يجلس في المجلس ويأتي من مسافه أربعة فراسخ ليتعلم مسأله فقهية واحدة, إنه مثال يحتذى لطلاب العلم أجمعين".³⁵³

350 - Edib Ahmed bin Mahmud yükenki : Günümüze .Diliyle Atebetü `l – Hakâyik Gerçeklerin eşği , Hazırlay : yaşar çağbayır, s.37 , İstanbul , 2009

351- Nihad sâmi Banarlı : Resimli Türk Edebiyâtı Târîhi , A.G.E.S 242

³⁵² محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 269

353 - Edib Ahmed bin Mahmud yükenki : Günümüz .Diliyle Atebetü `l – Hakâyik Gerçeklerin eşği , A.G.E. s.37 , 39.

أطلق الأدباء على "أديب أحمد" لقب أديب الأدباء ورئيس الفضلاء فهو رجل علم ذو قيمة عظيمة لا نستطيع أن ننسى اسمه على مدار العصور ولا حكمه وأمثاله, ولقد ذكر أديب أحمد في أشعاره معلومات عن نفسه وشخصيته وحياته, ولكن المعلومات التي وردت إلينا ليست كافية.³⁵⁴

قرض أديب أحمد الشعر بالتركية على سبيل الموعظة والنصيحة , وكان هدفه الرئيس في أشعاره الحث على الأخلاق الحميدة والمبادئ الأساسية والأعراف التركية, فهو يُعلي من شأن الكرم والعلم والفضيلة³⁵⁵, وهذا ما سنراه في كتابه القِيم "عتبة الحقائق" أو "هبة الحقائق" .

• "عتبة الحقائق أو "هبة الحقائق" :

كتب "أحمد يوكنكي" كتابه "عتبة الحقائق", في القرن السادس الهجري أي في أواخر عهد الدولة القراخانية, وقدم هذا الكتاب إلى الملك محمد داد اسپهسالار (Dad İspehsalar) حاكم الترك والعجم, ونجد في هذا الكتاب الكثير من الجمل في مدح الملك محمد داد اسپهسالار, فقال : "إنني أكتب كتابي هذا في مدح (داد اسپهسالار)", وقد ورد كلامه بهذا الشكل في نسخة آيا صوفيا 4757 :

في مدح الأمير الأجل داد.

اسپهسالار بيك عليه الرحمة والغفران

أما في نسخة سمرقند في الصفحة التاسعة فقد ورد بهذا الشكل :

في مدح الأمير ملك الترك والعجم مالك رقاب الأمم.

محمد داد اسپهسالار بيك رحمة الله عليه³⁵⁶

³⁵⁴- Nihad sâmi Banarlı : Resimli Türk Edebiyatı Târîhi , A.G.E,S 241

³⁵⁵- Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S .424

وبدا يشرح مؤلفه من ذا يكون (داد اسپهسالار) ومتى وأين تولى الحكم³⁵⁷.

ويُعدُّ "عتبة الحقائق" أقدم أثر كلاسيكي تركي مدون في اللهجة الخاقانية بعد كتاب "قوتادغوبيليك"، وهو مؤلف صغير يتناول قضايا دينية وأخلاقية، وهو أثر ذو طابع تهذيبي كتبه "أحمد يوكنكي" بهدف تفسير عدد من المسائل والقضايا الاجتماعية والسياسية والروحانية والأخلاقية التي كانت سائدة في منطقة ما وراء النهر في ذلك العصر وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ومن أجل تربية الأفراد في ظل الثقافة التركية الإسلامية³⁵⁸.

نظم الكتاب في وزن العروض مثل (قوتادغوبيليك)، ومقفى في نمط القصيدة، أما القسم الرابع الذي يشرح الموضوع الرئيس فقد نُظم في الشكل المعروف بالرباعيات، وتشكل الكتاب من أربعة عشر باباً، وأربعة وثمانين و أربعمائة (484) بيتاً، ووصل عدد الأبيات إلى اثني عشر وخمسمائة (512) بيتاً بالتعليقات التي كتبها الآخرون، ويوجد مائة وإحدى (101) رباعية في الكتاب بأسره، وأربعون (40) بيتاً في الغزل³⁵⁹، وقد تناول في رباعياته موضوعات بعينها كان من أهمها أن تحدث في : اثنتي عشرة رباعية عن الجهل، واثنتي عشرة رباعية عن الحفاظ على اللغة، ثم ذكر اثنتي عشرة رباعية في موضوعات دنيوية، وذكر عشر رباعيات في مدح الكرم وذم الجهل، وسبع رباعيات عن التواضع والكبر، وتحدث في ست رباعيات عن الحرص، وحثَّ في ست عشرة رباعية على السلم وفعل الخير والكرم، ثم عبر عن فساد الزمان في إحدى وعشرين رباعية، ثم ذكر آفة أصحاب الكتاب في خمس رباعيات³⁶⁰.

³⁵⁶ Edib Ahmed bin Mahmud yükenki : Günümüz .Diliyle Atebetü `l – Hakâyık Gerçeklerin eşîği , A.G.E. s.37 , 39

³⁵⁷ - Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,s.44

³⁵⁸ محمد فواد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي , مصدر سابق , ص28

³⁵⁹ Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,s.49

³⁶⁰ Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,s.49

ويوجد رباعية كتبها "أديب أحمد" ورباعيات كتبها الأمير سيف الدين, أما باقي الرباعيات مجهولة المصدر, ويقول "أحمد يوكنكي" في أول رباعية : "إن الأديب أحمد لا يرى منذ ولادته ورغم ذلك كتب هذا العمل القيم" وفي الرباعية الثانية يحكي عن عقل الأديب أحمد وجوهره³⁶¹.

أما آخر قسم من الكتاب فقد دَوَّنه الأمير الكبير "أرسلان خوجه طارخان" (Büyük Emir Arslan Hoca Tarhan) في هيئة المثنوي وبالوزن نفسه, وفي هذه المنظومة ذكر أن مكان ولادة "أديب أحمد" كان في "يوك نك" وهو مكان واسع يُشرح القلب, وأن أباه اسمه (محمد يوكنكي), واسم الكتاب "عتبة الحقائق", وذكر أن هذا العمل مدون في لغة كاشغر, وأوضح أن كل من يفهم لغة "كاشغر" سوف يفهم كلام "أديب أحمد"³⁶².

موضوع الكتاب :

يبدأ كتاب "عتبة الحقائق" بعشرة أبيات في حمد لله وخمسة أبيات في الثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم وخمسة أبيات في مدح الصحابة, وتحدث كذلك فيهم عن وفاته³⁶³.

ثم يرد مدح الأمير "محمد بيك" يعقبه حديث عن منفعة العلم وضرر الجهل, وذكر أن المعرفة تفتح طريق السعادة أمام الإنسان, ثم تحدث عن السلوك والآداب وحث على الجود والسخاء, وحذر من البخل والشح, وحث على الكرم والأخلاق الحميدة, وذكر الكثير من النصائح والإرشادات, وذكر أديب أحمد في القسم الأخير من الكتاب رباعية بها وصيته, فقد أوصى كل مَنْ يقرأ هذا الكتاب لا ينساه بالدعاء وقال كذلك : "عندما أذهب سيبقى كلامي الذي أكتبه إليكم الآن"³⁶⁴.

³⁶¹ Nihad sâmı Banarlı : A.G.E,S.243

³⁶² Nihad sâmı Banarlı : A.G.E,S.423

³⁶³ Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,S.48

³⁶⁴ Nihad sâmı Banarlı : A.G.E,S.246

اهتم "أحمد يوكنكي" في "عتبة الحقائق" بالعلم، وأوضح قيمته وأثره في الإنسان، وأشار إلى قيمة المرأة ودورها شأنها في ذلك شأن الرجل، وقال كما لا نقبل رجلاً بلا علم يجب أيضاً ألا نقبل امرأة بلا علم فالمرأة لها حق التعليم، وأكد على ضرورة احترام المرأة فهو أمر ضروري للحياة الاجتماعية، ووفقاً لهذا المفهوم فقد أصبح للمرأة مكانة ووضع مقدس ومحترم في المجتمع التركي في بداية العصور الإسلامية³⁶⁵.

حذر "أحمد يوكنكي" في "عتبة الحقائق" من الانسياق وراء لذات الدنيا، وذكر أنها زائلة كما تحدث عن الإسلام، وذكر أنه بدأ غريباً ويعود غريباً فقال :

"Garib erdi İslam garip boldı".³⁶⁶

ونرى هنا تأثر "أحمد يوكنكي" بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغريباء".³⁶⁷

وكذا حذر "أحمد يوكنكي" من الرياء في العبادة وحث على التقوى فقال :

"إن المساجد مهجورة والحانات ممتلئة بالسكران، وإياكم والتخلي عن التقوى وعليكم باجتنب الفواحش".³⁶⁸

• القيمة العلمية لكتاب "عتبة الحقائق" :

حظي مؤلف "عتبة الحقائق" بقيمة أدبية وعلمية سامية؛ وحافظ على نفوذه المعنوي والأخلاقي بين الترك، وأقبلوا على قراءته، ويعد بمنزلة بداية مهدت السبيل لتصنيف كثير من المؤلفات الصوفية

³⁶⁵ Nihad sâmî Banarlı:A.G.E,S. 244

³⁶⁶ İslam garîb idi , yeniden garîb oldu (bak : Nihad Sâmî Banarlı : A.G.E,S. 245

³⁶⁷ حديث صحيح أخرجه مسلم حديث (145) , وأخرجه ابن ماجة في "كتاب الفتن" باب بدأ الإسلام غريباً , حديث (3986).

³⁶⁸ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 271

الأخلاقية, وحاكاه الشعراء والأدباء ورتبوا مصنفاتهم على غرارهِ, حيث قام "نجيب عاصم" مدير قسم التاريخ في دار الفن بتقديمه إلى عالم العلم عام 1334هـ - 1918م, ونقله إلى الحروف العربية, فنجد في كل سطر كلمات من الأويغوريه واللغة العربية, وبعد ذلك وجد "كيليسلي رفعت بيك" (Rifat bey Kilisli) نسخة بحروف أويغورية فقط³⁶⁹, وتولي النشر العلمي "رشيد رحمتي آرات" عام 1951م, وقام بترجمته إلى التركية الأناضولية³⁷⁰, ويمكن أن نوجز ما ورد عن الكتاب في حديث نجلة باقولجاي فيما يلي:

- صياغة المنظومة في وزن العروض .
- عرض القيم الدينية والأخلاق الإسلامية .
- حديثه يدل على قوة إيمان أحمد يوكنكي وإمامه بأصول الدين الإسلامي.
- يدل كثرة استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة على ثراء ذخيرته منها من ناحية, وعلى إمامه باللغة العربية من ناحية أخرى³⁷¹.

• النسخ المخطوطة لـ "عتبة الحقائق" :

ثمة أربع نسخ مخطوطة لهذا الكتاب وهي على النحو التالي:

- نسخة سمرقند 4012 في مكتبة آيا صوفيا: دونت في سمرقند عام (848هـ / 1444م) وهي أدق النسخ الموجودة وأصحها وأكثرها رونقًا وجمالًا وقد كتبت هذه النسخة بالحروف الأويغورية³⁷².
- نسخة 4757 في مكتبة آياصوفيا : دونها الشيخ "زاده عبد الرزاق بخشي" (Şeyh Zâde Abdürrezzak Bahşî) في استانبول (884هـ - 148م), و نرى في هذه النسخة ترجمة بالحروف العربية أسفل الخط الأويغوري وهي بقسم كتب آيا صوفيا بمكتبة السلیمانیة³⁷³.

³⁶⁹ - Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 243

³⁷⁰ - Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 243

³⁷¹ - محمد عبد اللطيف هريدي : الأدب التركي الإسلامي , مصدر سابق , ص 26

³⁷² - Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,S. 52

- نسخة 35552 بمكتبة طوب قايي سراي, لا يعرف تاريخ كتابتها³⁷⁴.
- جُهِزَت نسخة تجمع بين النسخ الثلاث وذلك من "رشيد رحمتي آرات", ونُشِرت وتُرجمت إلى اللغة التركية الحديثة, وكتب مقدمة لـ "عتبة الحقائق"³⁷⁵.
- **خصائص كتاب "عتبة الحقائق" :**
 - يهدف إلى النصيحة والدعوة إلى الأخلاق الحميدة .
 - يعتمد بشكل كبير على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.
 - يعتمد على الحكم والأمثال فقد ذكر في كتابه " ابحثوا عن العلم ولو في الصين"³⁷⁶, وهذه الحكمة تتشابه مع حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على طلب العلم , فعن ابن ماجة من حديث أنس بن مالك, قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "طلب العلم فريضة على كل مسلم"³⁷⁷.
 - متأثر بالشعر العربي وطرائق نظمه.
 - استخدم أحمد يوكنكي الكتابة الأويغورية متأثرًا بكتاب " قوتادغوبيليك", معنى وأسلوبًا
 - يتميز الكتاب بكثرة الألفاظ العربية والفارسية³⁷⁸.
 - بعد الاطلاع على كتاب "عتبة الحقائق" نستطيع أن نتعرف خصائص أسلوب "أحمد يوكنكي" وهي :
 - تأثره بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية واقتباسه منه وذلك ليدعم أسلوبه, وهو ما يُعرف بالتناص الأدبي.
 - استخدم أسلوب الثناء والمدح .
 - عرض أديب أحمد كتابه بأسلوب تجلى فيه التأثيران العربي والفارسي .

³⁷³ - Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,S. 53

³⁷⁴ - Edib Ahmed bin Mahmud yükneki : A.G.E,S. 54

³⁷⁵ - Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 246

³⁷⁶ - Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 246

³⁷⁷ صححه الألباني في صحيح سنن بن ماجة.

³⁷⁸ - Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 244

- استعان بالكثير من الحكم والمواعظ

- تميز أسلوبه بالبساطة والسهولة.

• الناحية الأدبية لكتاب "عتبة الحقائق" :

نُظم هذا الكتاب في الوزن الذي نُظمت فيه "الشاهنامة", وهذا يعني أنه كان متأثرًا بأسلوب النظم الإيراني, كما نرى آثار ضرب الغزل الكلاسيكي بارزة في منظومات ثلاث من مقدمة الكتاب, وإذا كان النعت والمناجاة اللذان ورد ذكرهما في الكتاب يمثلان معًا وحدة متكاملة من حيث القافية, فإن الأجزاء الخاصة بسبب تأليف الكتاب مقرونة بالأمدوحة تمثل قطعة منفصلة قائمة بذاتها من حيث القافية, وكذا نلاحظ على المنظومة أن طريقة استخدام الوزن بها كانت ضعيفة جدًا³⁷⁹.

وسنذكر الآن نماذج من رباعيات "عتبة الحقائق" :

• "اسمي أديب أحمد, كلامي هو الأدب والنصيحة, وتمضي روحي, ويبقى هنا كلامي, ويمضي الربيع, ويأتي الربيع, ويمضي هذا العمر, وينقضي عمر الربيع"³⁸⁰.

رباعية أخرى :

• "إن الصالح من هذا الشعب هو الشخص الكريم , فالكرم يزيد الشرف والرتبة والجمال, وإذا أردت

أن تكون محبوبًا بين الناس كن كريمًا , فالكرم يجعلك محبوبًا"³⁸¹.

³⁷⁹ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , مصدر سابق , ص 272 , 273

³⁸⁰ Edib Ahmed atım edeb pend sözüm.

Sözüm munda kalur barur bu özüm.

Kelür küz Keçer yaz barur bu Ömür.

Tüketür Ömürni bu yazum Küzüm .

(bak : Nihad sâmi Banarlı :A.G. E,S. 245)

³⁸¹ Bu budun talusı akı er turur.

akıllık Şeref cah Cemāl arturur .

Sevilmek tilesen kişiler are .

Akı bol akılık sını sevdürür.

(bak : Nihad sâmi Banarlı :A.G.E,S. 245)

• "الحياة الدنيا كقافلة مرتحلة مهاجرة, وكل شيء فيها صائر لا محالة إلى زوال, ولزام على المرء

ألا يصدق هذه الأفعى السامة.³⁸²

بعد الحديث عن كتاب "عتبة الحقائق" نستطيع أن نقول إن له أهمية كبيرة, وإنه حظي بمكانة بين الترك في مناطق ما وراء النهر وخوارزم وخراسان, وحظي بالتقليد والمحاكاة من قبل الشعراء والأدباء, وقد ذكر "علي شير نوائي" أن النجاح الذي حققه "أديب أحمد" لا يعني أنه فنان ذو قيمة أدبية فحسب, وإنما حظي بالتقديس بين الشعب³⁸³, وسننتقل إلى الحديث عن أديب آخر عظيم ترك أثر له مكانته في الأدب التركي وهو الأديب "يوسف خاص حاجب" ..

³⁸² محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , المصدر السابق , ص 271

³⁸³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , المصدر السابق , ص 274.

يوسف خاص حاجب

ولد "يوسف خاص حاجب" في مدينة "بالاساغون" لأسرة نبيلة عام (410هـ – 1019م) وتوفي عام (1085م) عن عمر يناهز سبعة وستين عامًا في "كاشغر"، ودفن في قرية "باريگاه" (Barigah) على شاطئ نهر تومن (Tümen) وأصبح قبره مزاراً.³⁸⁴

ولا توجد معلومات كافية عن حياته ولا اسم أبيه وأمه، ولقد أنفق والداه كل ما يملكون من أجل تربيته بشكل جيد، وتلقى تعليمًا جيدًا في بالاساغون.³⁸⁵

ويوسف خاص حاجب مفكر عظيم وشاعر ورجل الدولة، وأحد رجال القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي المبرزين، ولقد عُرف منذ حداثة سنه بذكائه وفطنته، وكان يعشق القراءة ووفق في اللغة العربية والفارسية إلى جانب لغته الأم الأويغورية، وقيل إنه ضلع في علوم اللغة العربية والفارسية كأحد أصحابها وذلك لأنه استخدم مفردات اللغة العربية والفارسية بشكل سليم³⁸⁶، واطلع على أعمال الفارابي وابن سينا العربية، وكان شغوفًا بموضوعاتهم الفلسفية وموضوعات الأخلاق، ويعد يوسف خاص حاجب الوارث المتميز لأفكار الفارابي وكذا تتشابه أفكاره مع أفكار ابن سينا³⁸⁷، وقد صنع يوسف خاص حاجب صنيع ابن سينا حيث أراد إخفاء كتابه في مكان أمين وألا يقدمه إلى غير ذوي الكفاءة والأهلية وهذا ما فعله ابن سينا، فبينما كان يختار ابن سينا طلابه ويعمل على نشر مذهبه الفلسفي فإنه كان يأخذ جانب الحيطة والحذر خشية تكفير علماء أهل السنة له، وكما كان ابن سينا يستعين في كتبه كثيرًا بضرب المثل؛ وكان يلجأ يوسف خاص حاجب إلى هذه الطريقة نفسها في كتابه، ونجد أيضًا لدى كل من

³⁸⁴ Sultan Mahmut Kaşgarlı : Uyğur Türkelri Kültürü ve Türk Dünyası , s. 154. İstanbul, 2004.

³⁸⁵ Yusuf Has Hacıp : kutadu Bilig den Seçmeler Hazırlayan Ersin Teres ,s.2, 2010 .

³⁸⁶ Yusuf Has Hacıp: A.G.E,S.2.

³⁸⁷ Nihad Sâmî Banarlı: A.G.E,S.231 .

ابن سينا ويوسف خاص حاجب التقسيم نفسه للمجتمع السياسي الذي يتكون من الأمراء والعمال والفلاحين والمدافعين³⁸⁸.

ودرس يوسف خاص حاجب علومًا كثيرة منها علم البلاغة والكلام وعلم العروض والقوافي، وكان أيضًا على دراية بعلوم الفلك والطب وتفسير الأحلام، إلى جانب اهتمامه بعلوم الرياضة، كما أتقن فن الفروسية وترويض الصقور وكيفية اصطيادها وتعلم رمي السهم والشطرنج³⁸⁹.

اكتسب يوسف خاص حاجب شهرته من مؤلفه المعروف في علم الاجتماع باسم "قوتادغوبيليك"، الذي يبدو منه أنه تعلم على أسس علمية منتظمة خاصة أنه قد كان في مدينة "كاشغر" علماء أجلاء في عصره أمثال العلامة "عماد الدين الكاشغري" و"عبد الغفار حسين الكاشغري" و"حسين خلف الكاشغري" وغيرهم³⁹⁰.

ويبدو من كتاب "قوتادغوبيليك" أنه كان يجيد الحديث في التاريخ والفلسفة والأديان وشؤون الدولة والمجتمع والسياسة الشرعية والمعارف والأخلاق والطب والجغرافيا وعلم الحساب وعلم الفلك، والعلاقات الدولية واللغة والأدب والأمور الحربية³⁹¹.

ويعد يوسف خاص حاجب أول أديب يدون مصنفًا في اللغة التركية وشجع الآخرين على أن يؤلفوا مؤلفاتهم بلغتهم التركية إلى جانب العربية والفارسية، ويتضح في كتابه "قوتادغوبيليك" مدى التأثير الإيراني في الشكل والوزن واللغة، أما من ناحية اللغة فإن "قوتادغوبيليك" حافل بالكلمات العربية والفارسية، ومن ناحية الوزن فلم ينظم الترك أشعارهم على وزن الهجا فحسب، وإنما كتبوا بعضًا منها في الوزن الذي نُظِمَتْ عليه "الشاهنامه"، كما أنهم كانوا يؤثرون فن المثنوي مثلهم مثل الفرس، ولما كان

³⁸⁸ محمد فؤاد كوبريلي: تاريخ الأدب التركي، مصدر سابق، ص 209

³⁸⁹ Yusuf Has Hacip : A.G.E,S.3

³⁹⁰ عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية (مع نماذج الأدب الإسلامي الأويغوري القديم والحديث) ، مصدر سابق ، ص 202.

³⁹¹ Yusuf Has Hacip : A.G.E,S. 2 , 3

وزن العروض غريبًا غير مألوف على تركيبة اللغة التركية وبنيتها فكان من الطبيعي أن تظهر بعض جوانب الخلل والنقص والضعف في النظم التركي بسبب عدم تناسبه هذا الوزن مع صوتيات اللغة التركية الجديدة من النظم³⁹².

وألف يوسف خاص حاجب عدة كتب باللغة الأويغورية أهمها وأشهرها كتابه "قوتادغوبيليك"، ولقد ذكر في مؤلفه "قوتادغوبيليك" العوامل التي تؤدي إلى قيام الدولة أو إلى انهيارها³⁹³.

أهدى يوسف خاص حاجب كتاب "قوتادغوبيليك" إلى الملك "أبي علي حسن تاوغاج بوغراخان" ابن الملك "سليمان أرسلان خان"، وقد قبل الملك "أبو علي حسن تاوغاج خان" هذا الكتاب وقدره حيث عين "يوسف خاص حاجب" مستشارًا خاصًا لبلاطه، ومن ثم سمي بهذا اللقب³⁹⁴، وبعد ذلك ذيل يوسف خاص حاجب كتبه بهذا اللقب، ولم نحصل على دليل قطعي يثبت أن يوسف خاص حاجب قد اشترك في مراسم جنازة الملك "حسن بوغراخان" الذي توفي بعد خمسة وثلاثين عامًا من تاريخ تقديم يوسف خاص حاجب كتابه له³⁹⁵.

ولقد أشاد الدكتور حسين مجيب المصري بهذا الأثر في كتابه "تاريخ الأدب التركي" ص12 وقال عنه : " لدينا في الأويغورية أثر فريد وهو " قوتادغوبيليك "³⁹⁶.

³⁹² محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفون الأولون في الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص69
³⁹³ Nihad Sâmî Banarlı: A.G.E,S.248

³⁹⁴ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين ، قوتادغوبيليك(العلم المبارك) ، مصدر سابق ، ص 15

³⁹⁵ Nihad Sâmî Banarlı: A.G.E,S.231

³⁹⁶ حسين مجيب المصري (دكتور) : تاريخ الأدب التركي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ص 12.

كتاب "قوتادغوبيليك"

يعد "قوتادغوبيليك" أقدم نص أدبي يخص الترك أكتشف حتى الوقت الحاضر, ويحتل هذا الكتاب مكانة عظيمة في تاريخ الأدب التركي, وهو أول عمل أدبي إسلامي تركي, وكان متأثرًا بالقرآن الكريم والحديث الشريف³⁹⁷.

وهذا الكتاب نموذج للأدب الشعبي والتفكير العقلي في تاريخ الحضارة الأويغورية, وهو كتاب في علم الاجتماع, والحكم وفلسفة الحياة, وهذا المؤلف ليس في الأدب والاجتماع فحسب بل هو أثر يعبر عن الفكر الإسلامي في عصره, وأفكار الكتاب تشبه الحكم والأمثال³⁹⁸.

ويمكن أن يعتبره البعض غير ذي قيمة علمية, ولكنه كان قويًا في عصره, وهو اللبنة الأولى في علم الاجتماع, ولا يزال أثره أساسًا في أي صرح اجتماعي³⁹⁹.

ويعد "قوتادغوبيليك" كتابًا تعليميًا يهدف إلى النصيحة, ودعوة الناس إلى الطريق المستقيم الذي إن سلكوه نالوا السعادة في الدنيا والآخرة, إنه كتاب أخلاقي سياسي؛ لأنه يتحدث عن تشكيلات الدولة القراخانية ويوضح وصفها الاجتماعي والثقافي⁴⁰⁰.

نظم يوسف خاص حاجب كتاب "قوتادغوبيليك" عام (461هـ-1069م) في "بالاساغون", وأنهى الكتاب عام (462 هـ – 1070 م) في مدينة "كاشغر"⁴⁰¹.

• اسم الكاتب ومعناه :

يطلق البعض على اسم الكتاب "قوتادغوبيليك" وهناك من يطلق عليه "قوتاتقوبيليك", ويعتقد محمد قاسم أمين أن هذا الفرق قد يكون من عدم ضبط الكتاب والوراقين لنسخ الكتاب, وذكر أن الذي

³⁹⁷ Nesimi yazici : İlk Türk İslâm Devletleri Tarihi , S.98 . Ankara , 1992 .

³⁹⁸ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص 204

³⁹⁹ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص 22

⁴⁰⁰ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص 203

⁴⁰¹ هاجي نور هاجي : قه د نمكى سمكن ئويغورلار و قارخانيلار , مصدر سابق S.414.A.G.E

ساعد على هذا الاختلاف أن بعض القبائل في تركستان الشرقية والغربية ينطقون الدال تاء كما في الكلمات تاغ وتون، ولقد ترجم محمد قاسم أمين كتاب يوسف خاص حاجب وأطلق عليه التسمية "قوتادغوبيليك" بالتاء استناداً على ما سمعه من أستاذه حينما قال له: "إن منبع اللغة التركية كتاب قوتاتقوبيليك واستند على ما تناقلته الصحف والمجلات في تركستان بـ "قوتاتقوبيليك"، واعتمد على حكايات الجدات في ليالي السمر فيقول: "إنها كانت تمر عليهم كلمة "قوتات" بالتاء ولم يسمعوها "قوتاد"، وكذا يقول: "نظراً لكثرة القبائل التركية واختلاف لهجاتهم فلا نستبعد أن تكون الكلمة على غير ما ضبطنا".⁴⁰²

ولقد أطلق حكماء المشرق أسماء أخرى على هذا الكتاب، فسمي في الصين "أدب الملوك"، وسماه ولاية عهد الهند الصينية "مرآة المملكة" وسمي في المشرق "زينة العلماء" وسماه الإيرانيون "تاريخ ملوك الترك" وآخرون أطلقوا عليه "مواعظ الملوك".⁴⁰³

• أما عن معنى الكتاب :

نَمَّةٌ مَنْ يترجم اسم الكتاب على أنه "علم السعادة"، ومنهم مَنْ يترجمه إلى "العلم المبارك"، وكلمة قوت (kut) في التركية بمعنى السعادة، وقد ذكر معنى السعادة في موسوعة Nihad Sâmî Banarlı (نهاد سامي بنارلي) وفي كتاب يوسف خاص حاجب⁴⁰⁴، ويرى محمد فؤاد كوبريلي أن كلمة "قوتادغ" بمعنى السعادة أو السلطنة اللائقة بالسلطين، وكلمة "قوت kut" تستخدم بدلاً من كلمات المهابة والحشمة، ومن ثَمَّ فإن معنى اسم الكتاب هو : العلم الذي يهب السعادة أو العلم اللائق بالسلطين⁴⁰⁵.

⁴⁰² يوسف خاص حاجب : قوتاتقوبيليك(العلم المبارك) ، مصدر سابق ، ص 16

⁴⁰³ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق ، ص 206

⁴⁰⁴ Yusuf Has Hacıp : A.G.E , s . 3

⁴⁰⁵ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، مصدر سابق ، 254

يختلف محمد قاسم أمين مع صاحب هذا الرأي، وينكر على المحققين ترجمتهم كلمة (قوت) إلى معنى السعادة فهو يرى أن معناها "مبارك" ويذكر محمد قاسم أمين أن التركستانيين يستخدمون كلمة (قوته أو قوت) في تبريكاتهم وتهانيهم، ويقول إن معنى كلمة "قوتاتقوبيليك" أن الكتاب علم مبارك، وترى الباحثة أن المعنى الأقرب هو علم السعادة وذلك لأن "يوسف خاص حاجب" كان هدفه من تأليف هذا الكتاب هو حث الإنسان على اتباع تعاليم الإسلام والطريق المستقيم من أجل الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة وذلك من خلال الحكم والمواعظ والأمثال التي ذكرها في كتابه، وكذا ترى الباحثة أن الكلمتين (مبارك) و(سعيد) متقاربتين في المعنى فمثلاً البعض يقول في التهنة بالعيد "عيد سعيد"، والبعض يقول عيد مبارك " والباحثة تميل إلى أن يكون معنى الكتاب "علم السعادة".

• الهدف من تأليف الكتاب :

ألف يوسف خاص حاجب كتاب "قوتادغوبيليك" على أساس العلم والمعرفة والفلسفة الإسلامية، وقدم لنا الكثير من الحكم والمواعظ والنصائح المتعلقة بالعقل والصبر والطمأنينة والسعادة والعدالة التي باتباعهم يعيش الإنسان في سعادة، وكان يدعو "يوسف خاص حاجب" في كتابه إلى اتباع الأخلاق الحميدة، وكان يذم الأخلاق السيئة⁴⁰⁶، وكان يدعو في كتابه الزهاد إلى خلع ثوب الزهد والتفاعل مع الحياة وذلك من خلال حوار أجراه بين الزاهد والوزير، ومن بين ما ورد في هذا الحوار من النص:

من لاخير للناس فيه غير جدير في الحياة⁴⁰⁷

وهو متأثر بالحديث النبوي الشريف ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله تعالى عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي".⁴⁰⁸

⁴⁰⁶ Yusuf Has Hacip : A.G.E , s . 3

⁴⁰⁷ محمد عبد اللطيف هريدي (دكتور) : الأدب التركي الإسلامي , مصدر سابق ,ص24

⁴⁰⁸ رواه الترمذی وابن ماجه

كما يقدم يوسف خاص حاجب في كتابه عالماً فاضلاً يعظ الحاكم وصديقه, ويقدم إليه نصائح في كيفية إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخمر ولعب القمار⁴⁰⁹.

ومن الملاحظ أن كتاب "قوتادغوبيليك" من حيث الموضوع على طريقة الكتب الإيرانية المعروفة باسم "سياستنامه لر" أي كتب السياسة⁴¹⁰؛ لأنه يتحدث عن تشكيلات الدولة القراخانية, ويوضح مستواها الاجتماعي والثقافي, ويوضح يوسف خاص حاجب أن ازدهار الدولة وتنمية مستوى المعيشة للناس يعتمد على ريادة أشخاص لديهم قدرة وأخلاق ويعتمدون على القانون العادل, فالقانون العادل يعبر عن عقل الحكماء من جهة, ومن جهة أخرى يضمن سعادة الشعب, وأعطى يوسف خاص حاجب أهمية خاصة إلى الثقفين, وتحدث كذلك عن الأشخاص الذين كانوا سبباً في انهيار الدولة⁴¹¹.

القيمة العلمية للكتاب :

يحتل كتاب "قوتادغوبيلي" مكانة عظيمة في الأدب التركي من حيث تاريخ الحضارة وفقه اللغة المقارن, فهو أول كتاب اجتماعي موسوعي, واتفق حكماء المشرق جميعاً على أنه لا يوجد من ألف كتاباً أفضل من هذا الكتاب, ويعد هذا الكتاب من خزائن الحكم العقلية الفذة, اكتشفه المستشرق "رادولف" ونشره في ثلاثة أجزاء, ثم حققه وقدم له "رشيد رحمتي آرات", وكان أول من قارن بين النسخ المختلفة, ونشره مجمع اللغة (1367هـ - 1947 م) ⁴¹².

وقام العلماء بدراسة (قوتادغوبيليك) وأوضحوا أن هذا الكتاب كُتِبَ باللغة الأويغورية, ومن هؤلاء العلماء: علماء الروس أمثال "رادولف" و"مالوف", ومن علماء قازاقستان "محمد أخونوف", ومن علماء الأويغور "عبد الشكور محمد أمين", و"عبد الرحيم أوتكور", و"أحمد ضيائي", و"محمد يوسف" و"أمين

⁴⁰⁹ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضان باقية (مصدر سابق) , ص 19

⁴¹⁰ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي , المصدر السابق , ص 70

⁴¹¹ يوسف خاص حاجب : قوتادغوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص 205

⁴¹² Yusuf Has Hacıp : A.G.E, S . 6

ترسون" و"خميت تيمور" و"آمنة غفار" وغيرهم, ومن الباحثين الصينيين "جنغ شيمين" و"سولي" و"خاوكونجونغ" و"لانغ نيغ" و"ليوبين" وغيرهم, ومن العلماء أيضًا الذين تناولوا دراسة هذا الكتاب "كمال أرسلان" و"نوري يوجه" و"عثمان فكري"⁴¹³.

• نسخ الكتاب :

يوجد ثلاث نسخ من هذا الكتاب ولم يُعثر على الأصل, ولقد وجد المؤرخ الألماني المعروف "هامر" إحداها في استانبول وكانت مكتوبة بالخط الأويغوري فأرسلها إلى مكتبة في فينا وهناك حققها المستشرقون ونشروها ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى 1439م⁴¹⁴.

أما النسختان الثانية والثالثة فإحداها في والثانية في فرغانة, وهما مدونتان بالأبجدية العربية⁴¹⁵, وسوف نذكر نبذة عن تلك النسخ :

- النسخة الأولى :

نسخة فينا نُسخَت في هرات بالأبجدية الأويغورية القديمة , نسخها خطاط أويغوري فيما بين عامي 1439م إلى 1440م, وأحضرت هذه النسخة إلى مدينة طوقات (Tukat) فيما بين عامي 1475م إلى 1476م, وأرسلت هدية إلى السلطان العثماني من قبل أحد السلاطين التيموريين, ثم أحضرت إلى استانبول من "طوقات" لأجل "عبد الرزاق بخشي" (Abdürrezzak) فيما بين عامي 1491م إلى 1492م, وهذه النسخة تتكون من ثلاثة وسبعين بابًا, وقسم الشعر بها يتشكل من ستة وسبعين بيتًا, وقسم النثر يتكون من ستة وأربعين سطرًا ويوجد بها مقدمة شعرية⁴¹⁶.

⁴¹³ Yusuf Has Hacip : A.G.E, S . 6

⁴¹⁴ Yusuf Has Hacip : A.G.E , s . 5

⁴¹⁵ Yusuf Has Hacip : A.G.E, s . 5

⁴¹⁶ Sultan mahmut Kaşgarlı : A.G.E.S.153

– النسخة الثانية :

أما نسخة التي في مصر فهي محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة ولا يُعرف تاريخ كتابتها⁴¹⁷، ولقد اكتشفنا من قبل العالم الألماني موريتز (Morietez) ونشرت عام 1943م، وكُتبت هذه النسخة بالحروف العربية ونُسخت بشكل جميل، وتتكون هذه النسخة من 5800 بيت من 392 صفحة في ثلاثة وسبعين باباً⁴¹⁸.

– النسخة الثالثة :

نسخة فرغانة اكتشفها أحمد زكي وليدي طوغان (Ahmet Zeki Velidi Togan)، في نامنجان في ولاية فرغانة عام 1914م وكُتبت بالحروف العربية⁴¹⁹، وتتكون هذه النسخة من 6095 بيت وجاءت في 445 صفحة⁴²⁰.

وثمة ترجمة باللغة العربية لكتاب "قوتادغوبيليك" نقلها محمد قاسم أمين إلى التركية الحديثة، وأطلق على الكتاب "قوتاتقوبيليك" (العلم المبارك)، وأهدى هذا العمل الأدبي لآل سعود، وأوضح محمد قاسم أمين أنه وجد نسخة من كتاب "قوتادغوبيليك" أخرجها الأديب التركي "رشيد رحمتي" بالأحرف اللاتينية التركية، وذكر أنه اعتمد أيضاً على نسخة هرات التي كُتبت بالأحرف الأويغورية القديمة، كما ذكر أنه قرأ نسخة فرغانة التي كتبت بالحروف العربية، ونسخة القاهرة التي سُطرت أيضاً بالحروف العربية، وأخذ منها الصور الفوتوغرافية وطبعها على ما هي عليه وتوزعت عام 1942م، وقد

⁴¹⁷ Yusuf Has Hacip : A.G. , s . 6

⁴¹⁸ Sultan mahmut Kaşgarlı: A.G.E.S. 153

⁴¹⁹ Yusuf Has Hacip : A.G.E,S. 6

⁴²⁰ Yusuf Has Hacip : A.G.E,S. 6

قرأ تلك النسخ مرارًا وتكرارًا، واتخذها بوصفها مرجعًا في شرحه، ولكنه وجد فروقًا واختلافات بسيطة من نسخة لأخرى ولذلك اكتفى في ترتيب شرحه بنسخة الشيخ "رحمتي آرات".⁴²¹

ومن الملاحظ على ترجمة محمد قاسم أمين عدم إتقانه للغة العربية وعدم معرفته بقواعدها، فقد استخدم الكثير من الكلمات العامية مثل (راح) و(شلة)⁴²²، وكتب بعض الكلمات بشكل خطأ، كما أنه لم يستطع ترجمة بعض الأبيات فترك مكانها خاليًا، وعند قراءة الكثير من الأبيات نجد صعوبة في فهمها أو عدم الوقوف على معناها لأنه ليس بعربي ولا يجيد اللغة العربية كل هذا أدى إلى أن تكون الترجمة ضعيفة، وقد ذكر محمد قاسم أمين أنه لم يجد مَنْ يساعده علميًا ولا فنياً عند إخراج كتابه، ولم يعثر على أحد يعاونه في النسخ والتبويض، ولكنه كافح خمس سنوات متتالية حتى أخرج هذا الكتاب⁴²³.

• خصائص كتاب (قوتادغوبيليك) :

- نُظِم الكتاب باللغة الأويغورية ويُعد أساسًا للأدب الأويغوري .
- يتسم الكتاب بالبساطة وهي صفة لا وجود لها في الأدب الإيراني .
- أسهم الكتاب في خزينة الأدب العالمي في نقاط متعددة .
- الكتاب موسوعة أدبية حوى كل ما يتعلق بالشعر .
- كتب المضمون شعرًا وعلى شكل المثنوي .
- في نهاية الكتاب ثلاث قطع نُظِمَتْ على شكل قصيدة في كل منها 124 بيتًا بالإضافة إلى وجود 173 رباعية .

- نُظِمَت الأبيات في أوزان العروض العربية .⁴²⁴

⁴²¹ يوسف خاص حاجب : قوتادغوبيليك(العلم المبارك) ، مصدر سابق ، ص4 ، ص 50

⁴²² يوسف خاص حاجب : المصدر السابق ، ص42 ، ص142

⁴²³ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق ، ص205

⁴²⁴ عبد العزيز محسن سلمان (دكتور) : الأدب التركي في ظل الحضارة الإسلامية ، المجلد 6 ، العدد 31 ، جامعة لكريت ، 2010 ، ص139

• القيمة الأدبية لكتاب "قوتادغوبيليك" :

ظهر في الكتاب عنصران أساسيان هما : العنصر القومي المنبثق من أعراف الأدب الشعبي القديم وتقاليده، والعنصر الأجنبي الذي انتقل من الشعر الإيراني الكلاسيكي، أما الألفاظ العربية والفارسية التي تأثر بها يوسف خاص حاجب فكانت قليلة حيث لم تزد على مائة واثنتي عشرة كلمة رغم أن أبيات الكتاب تربو على ألف بيت⁴²⁵، وكتب الكتاب بضرب المثنوي⁴²⁶.

• محتوى الكتاب:

كتب مضمون الكتاب شعراً، وعلى أوزان العروض العربية فعولن فعولن فعول (وزن المتقارب المجزوء)، في حين نظمت القصيدتان الواردتان في نهاية الكتاب بوزن المتقارب الكامل فعولن فعولن فعولن⁴²⁷، والمنظومة تتكون من أربعة وخمسين وستمئة وستة ألف بيتاً عدا 77 بيتاً أضيفت إلى الكتاب بوصفها مدخلاً له⁴²⁸.

ويتضمن الكتاب أشعاراً أخلاقية نظمت بلغة تركية خالصة، وهي أشعار لها قيمتها العلمية في الأدب واللغة التركية من حيث الإفادة في استعمال الكثير من الكلمات التركية المهجورة في الكتابة الحديثة، وتنقسم مواضيع الكتاب إلى خمسة وثمانين باباً تتحدث عن العدل والعلم والعقل والصبر، ولكن أكثر من خمس الكتاب جدال فيما بين العقيدة الإسلامية والتصنيع والتعدين والصيد وشق الطرق والقنوات التي حدثت بالعلم والتعليم والتربية، وكذا يتحدث الكتاب عن السبيل إلى السعادة والتمسك بالقيم الإسلامية، وحث الإنسان على التحلي بالصفات الحميدة وأن يبتعد عن الصفات الذميمة، ويتحدث الكتاب عن العلاقة المثلى بين الحكام والرعايا⁴²⁹، ويعرض السلوك الذي يجب على الشعب أن يسلكه، كما

⁴²⁵ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي، مصدر سابق ، ص 261

⁴²⁶ محمد فؤاد كوبريلي : المصدر السابق ، ص 261 ، ص 262

⁴²⁷ عبد العزيز محسن سلمان (دكتور) : الأدب التركي في ظل الحضارة الإسلامية، مصدر سابق ، ص 139

⁴²⁸ عبد العزيز محسن سلمان (دكتور) : المصدر السابق ، ص 139

⁴²⁹ Sultan mahmut Kaşgarlı : A.G.E.S. 153

يتطرق إلى كيفية التعامل مع النساء وتوضيح المزايا والصفات الحسنة التي يجب أن تتصف بها الزوجة، كما يشرح الكتاب كيف يجب على الرعية احترام وتوقير رسالة الأسرة الحاكمة .⁴³⁰

والكتاب حوار سياسي بين أربعة أشخاص يتمثلون في :

- الحاكم كونتوغدي (Kün Toğdı) وهو رمز الطريق المستقيم والعدالة .
- الوزير ايتولدي (Ay toldı) وهو رمز السعادة والدولة .
- ابن الوزير: أغدولميش (Öğdülmiş) وهو يمثل المنطق والعقل .
- صديق الوزير الزاهد أودغورمش (Ödğürmiş) وهو يمثل العقوبة والمصير .⁴³¹

وعرض يوسف خاص حاجب هذه المحاورات بأفكار فلسفية واجتماعية تتصل بقضايا مختلفة ومناقشات مستفيضة لمختلف جوانب الكيان العظيم الممثل بالراعي والرعية، ونجد في تلك المناقشات الكثير من الحكم والوعظ والحث على العدالة الاجتماعية وأنها أساس الدولة، وذكر الكثير من الصفات التي تتعلق بالحاكم العادل والأمراء والوزراء وغيرهم ممن يعمل بالبلاط، وأنهم في حاجة ماسة إلى رجال مؤهلين ذوي إرادة ومن أصحاب المبادئ الذين يؤثرون أمتهم على أنفسهم⁴³²، كما قدم الطبقات المختلفة التي يتكون منها المجتمع وشرح ماهيتها، وذكر أوصافهم وطريقة معاملة الحاكم لهم، ويفهم من هذا أن المجتمع التركي المسلم الموجود في "كاشغر" والذي يضم كل أرباب الحرف والصناعات لم يكن مصطبغاً بصبغة المجتمع البدوي البدائي، بل هو مجتمع على درجة عالية من تقسيم العمل وتصنيفه، وهذا يعني أن التطور الاجتماعي قد دخل مرحلة بالغة التطور والرقى .⁴³³

⁴³⁰ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي، مصدر سابق ، ص 70

⁴³¹ Nesimi yazici : İlk Türk İslâm Devletleri Tarihi , S.96 . Ankara , 1992

⁴³² يوسف خاص حاجب : قوتاتقوبيليك(العلم المبارك) ، مصدر سابق ، ص 4 ، ص 22

⁴³³ محمد فؤاد كوبريلي : المصدر السابق ، ص 256

وتبدأ منظومة "قوتادغوبيليك" بمقدمات منثورة متضمنة الثناء على الله تعالى، ثم خصص الباب

الأول لحمد الله وتحدث فيه عن تقديسه ووحدانيته فيقول في بداية هذا الباب :

| | |
|---------------------------|-------------------------------------|
| باسم الإله بدأت الكلام | رب خالق غفور رحيم |
| كثير من المدح ومليون ثناء | لقادر كريم باقي بلا انتهاء |
| أراد أن يخلق الكون | فقال له: كن فأوجده |
| قدوس عظيم فرد صمد | ولم يكن له كفواً أحد ⁴³⁴ |

وثمة تناص قرآني حيث اقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى : " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ⁴³⁵، وقوله تعالى : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " ⁴³⁶.

ثم يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً :

| | |
|----------------------------|-------------------------------------|
| صلاة سلاماً رسولهُ المصطفى | صلاة وسلاماً علي مَنْ به اهتدى |
| بعثهُ الله للخلق سيداً | قرة العين لهم به بدا ⁴³⁷ |

ثم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في الباب الثاني قائلاً :

| | |
|-------------------------|------------------------------------|
| أرسل رسولهُ رب العلا | نبيّاً كريماً رؤوفاً مصطفى |
| دعا الناس لدين الهدى | أجبنا دعاءهُ وكل الورى |
| انثر مديحك وصلّى عليه | كما أن ربي والملك صلوا عليه |
| أرسلهُ به رحمة للعالمين | وإنه لعلّى خلق عظيم ⁴³⁸ |

⁴³⁴ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص26

⁴³⁵ القرآن الكريم : سورة يس , رقم الآية 82.

⁴³⁶ القرآن الكريم : سورة الإخلاص , رقم الآية 4.

⁴³⁷ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص23

⁴³⁸ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص28

وفي موضع آخر نجد صورة أخرى للتناسق القرآني حيث اقتبس قول الله تعالى : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " ⁴³⁹ , وقوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ⁴⁴⁰ .

ثم واصل الأشعار التي بها مدح , وراح يمدح الخلفاء الراشدين الأربعة :

| | |
|--|---|
| صَحْبَةُ كَرِيمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْهَدْيِ | أَرْبَعَةٌ كَرَامٌ رَافِقُوا الْمُصْطَفَى |
| أَهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ وَالتَّقِي | شَارِكُوهُ مَأْكَلَهُ وَلَبَّوْا دَعْوَتَهُ |
| أَوَّلَهُمُ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ | ثَانِيَهُمُ الْفَارُوقُ شَمْسُ الضُّحَى |
| فَتَحَ السُّدُودَ لِصَاحِبِهِ الْمُجْتَبَى | اشْتَهَرَ بِالْعَدْلِ نَدِيمُ الْمُصْطَفَى ⁴⁴¹ |

وكذا من أبيات المدح (مدح الخيسر وأهله) :

| | |
|-------------------------------------|---|
| أَشْجَارُنَا تَحْفَهَا الْأَلْوَانُ | مَزْدَانَةُ أَرْكَانِ دِيَارِنَا |
| بَخْلَعَةُ مَخْضَرَةٍ أَدِيمَا | فَضْفَاضَةُ مَرِيحَةٍ لِبَاسِنَا ⁴⁴² |

وكذا ذكر مدح أوغولمش للملك قائلاً :

| | |
|-------------------------------------|---|
| عَلَيْكَ مَلِكِي عَقْلٌ صَحِيحٌ | ثَمِينُ الْكَلَامِ صَدُوقٌ فَصِيحٌ |
| وَجْهَكَ صَبُوحٌ وَرَأْسُكَ صَغِيرٌ | لَكِنْ فِي الشَّائِدِ عَقْلُكَ كَبِيرٌ |
| صَبُورٌ كَرِيمٌ حَلِيمٌ | قَلْبُكَ يَحُومُ يَجُولُ الْأَدِيمُ |
| مَتَى مَا يَرُومُ بَعِيدَ السَّفَرِ | بَيِّسِرُ وَسَهْوَلَةٍ يَحِلُّ وَيَسْتَقِرُّ ⁴⁴³ |

كما تطرق يوسف خاص حاجب بعد ذلك إلى أهمية كتابه وما يشتمل عليه قائلاً :

- هذا كتاب عزيز مهم
كبحر عظيم لذوي العلم

⁴³⁹ القرآن الكريم : سورة القلم , رقم الآية 4.

⁴⁴⁰ القرآن الكريم : سورة الأحزاب , رقم الآية 56.

⁴⁴¹ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق ، ص 28

⁴⁴² يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص 29

⁴⁴³ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق ، ص 112

مزين بعلم ذي قيمة
 كن قنوعًا وشاكراً به
 يحوي جميع الحكم قد انتشر
 تنظيمه كالدرر قد انتثر⁴⁴⁴.
 - شاهنامه ذا في الفرس قد اشتهر
 قوتاقوبيليك عندنا قد اعتبر
 بغزير العلم بين الملل
 باختلاف الألسن اسم شمل⁴⁴⁵.
 ويؤكد في "يوسف خاص حاجب" في هذه الأبيات أن مؤلفه جامع شامل لتاريخ الفرس والترك
 وعلوم كثيرة.

ثم ذكر يوسف خاص حاجب العديد من الأشعار التي تتعلق بالوصف ومنها :

- يقول في وصف الشهور الفصلية :

فصولنا أربعة نحن بها على علم
 ربيعنا والصيف الذي بثمره يتم
 ثم الخريف والشتاء ذو الشفاء
 في أرضنا لصالح بهما جفاء⁴⁴⁶.

- ويقول في وصف البروج :

أولها برعومها هو الحمل⁴⁴⁷
 يليه ثور هائج ليته حمل

جوزاء⁴⁴⁸ اثنتان بعده سرطان⁴⁴⁹
 كلاهما ضدان جملة برجان⁴⁵⁰.

⁴⁴⁴ يوسف حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص23

⁴⁴⁵ يوسف حاجب : المصدر السابق , ص24

⁴⁴⁶ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص32

⁴⁴⁷ برج الحمل : برج ناري ومواليد هذا البرج من تاريخ واحد وعشرين من شهر مارس إلى تاريخ عشرين من شهر إبريل , ويتصف مواليد هذا البرج بالنشاط وحب المغامرة التحدي والاصرار , ومواليد هذا البرج يحبون العدل ويكرهون الظلم (انظر : رامى أبو عمر : صفات برج الحمل , 2015 م , mawdoo3.com)

⁴⁴⁸ برج الجوزاء : يقع في الفترة من الحادي والعشرين من مايو وحتى العشرين من يونيو , ومواليد برج الجوزاء مشهورون دون سائر الأبراج بالطباع المتذبذبة والثنائية في المشاعر التي تنعكس على أغلب الأفعال التي يقومون بها , ومن مميزاتهم الذكاء الفطري المواليد الجوزاء لا تعنى عدم وجود العديد من الأمور الإيجابية التي تجعل منهم متميزين للغاية في أكثر من جانب من جوانب الحياة وحب الاستكشاف , ويمتلكون عددًا كبيرًا من الأصدقاء والمعارف. (انظر : ليلي العاجيب : برج الجوزاء , 2016 م , mawdoo3.com)

⁴⁴⁹ برج السرطان : من مجموعة الأبراج المائية , ومواليد هذا البرج متقلبوا المزاج وطبعهم حاد , ويتميزون بتأثرهم بالقمر الذي يمنحهم مزيدًا من الرقة والمزاجية والشخصية المتقلبة والعاطفة المشتعلة وخيالهم واسع. (انظر : عاتكة البورياني : برج السرطان , 2015 م , mawdoo3.com)

⁴⁵⁰ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص32

- وفي وصف الإنسان وقيمة العقل والعلم والبيان :

إلهنا أكرمنا واصطفى

فضلنا بالعقل والعلم اجتنى

انطلقنا بفضلله نحو النماء

ميز فينا خلقتنا بالحياء

عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم

بعقله يدرك ما لا يفهم

ما أعظم الرجال بالعقول

ما أكرم الإنسان بالعلوم⁴⁵¹.

وثمة تناص قرآني من قول الله تعالى في سورة الرحمن : " الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ

(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) " ⁴⁵² وكذا قوله تعالى في سورة العلق : " عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " ⁴⁵³.

- وفي وصف الملك كونتوغدي :

ملك الزمان كونتوغدي خان

أولوا العزم جهاده في كل شأن

سليم السير نقي السريرة

صادق المرام ذو عدل وهيبة

نافذ البصيرة بعيد النظر

شديد الباع رحيم الحضر⁴⁵⁴.

وقدم يوسف خاص حاجب أشعار تعليمية يهدف منها النصح والإرشاد مثل :

إذا كنت تبغي سلامًا لك

لا تقل كلامًا بالفز لك⁴⁵⁵

إذا كنت ذا علم كلامك فقيه

كلام الجاهل سيف سفيه

لم أر فائدة لكثير الكلام

ومن يرغب الصمت فهو علام⁴⁵⁶.

ونُصح السلطان إليك لوزيره آيتولدي قائلا :

افهم كلامي بوعي قدير

أخو الجهل دائمًا لسانه شرير

⁴⁵¹ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص33

⁴⁵² القرآن الكريم : سورة الرحمن , رقم الآية : 1 : 4.

⁴⁵³ القرآن الكريم : سورة العلق , رقم الآية : 5.

⁴⁵⁴ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص44

⁴⁵⁵ لفظة أُستُخدمت في التركية وكذا في العامية المصرية أوردها المؤلف كما هي.

⁴⁵⁶ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص34

أخو العلم دومًا بذا يقتصد

بنطق كريم هواء يفتقد

يعطي العليم بعلمه فدا

كعين حمئة ولا ينفدا⁴⁵⁷.

وكذا يقول أيضًا :

قال المليك اترك الهراء

كم من سقيم يأتيه البراء

تصبح معافيّ اطلب شفاء

لله درك ابحت دواء

ما هذا اللسان أصابه اليأس

يشفيك ربي عليك لا بأس⁴⁵⁸.

و نصح آيتولدي لابنه أغدولمش قائلًا :

إبني عزيزي اليوم أرحل

لك الجاه والمال وهذا المحل

المال والبنون زينة الحياة

بعمل صالح يلقي الاعتناء

من عاش في الأهل حمى أولاده

لم يطرق النوم أجفانه

لأجلهم يمحي الأب صفاته

ويفنى لسعدهم حياته⁴⁵⁹.

ويقول في نصحه له أيضًا :

تنبه للدنيا و غدره اللئيم

تعوذ بربي وكن مستقيماً

تمر الحياة كريح سريع

تأسفت لعمرى دومًا يضيع

يوم لا ينفع مال ولا بنون

خذني إلهي بيد حنون

أسمع نبيها بعقل رزين

يوم المنية يوم مشين

حكيمًا تجرد من حكمه

يموت وعقل تجرد في غفلة

يغرر نابه إذا أجهز

ويفتك فتكا إذا اقتص⁴⁶⁰.

⁴⁵⁷ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق, ص 71.

⁴⁵⁸ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق, ص78.

⁴⁵⁹ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق, ص82.

⁴⁶⁰ يوسف خاص حاجب :المصدر السابق ،ص82

وكذا يتضح التناص القرآني في اقتباسه قول الله تعالى في محكم آياته : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بُنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)⁴⁶¹.

ومن النصائح التي ذكرها أيضاً يوسف خاص حاجب :

| | |
|-------------------------------|---|
| توكل على الله بخلوص نية | اعمل للأخرة بالمائة مائة |
| الخير والشر من عند ربنا | واستعن به هو معيننا |
| إذا استعنت فاستعن بالله | إذا سألت اسأل الله ⁴⁶² |
| تخلق بخلق كريم الخصال | تواضع وتصدق وأوجز المقال |
| ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة | لا تقترب الحرام به مهلكة ⁴⁶³ . |

وثمة تناص قرآني مع قول الله تعالى : "وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"⁴⁶⁴ (البقرة:95) , وكذا تناص مع الحديث النبوي الذي يرويه ابن عباس حيث يقول

: كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً فقال : "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله

يحفظك, احفظ الله تجده تجاهك, إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله, واعلم أن الأمة لو اجتمعت

على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك, ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم

يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك, رُفعت الأقلام وجفت الصحف" (صدق رسول الله صلى الله عليه

وسلم).⁴⁶⁵

ومن النصائح التي ذكرها عن الخلق الكريم :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| كُنْ مستقيماً في الخلق والآداب | حبة البهجة في الخلق والأصحاب |
| سعادة الدارين في الخلق الكريم | قالها المجرب صفته حكيم |

⁴⁶¹ القرآن الكريم : سورة الشعراء , الآيتين : 88 , 89.

⁴⁶² هنا يتضح عدم إتقانه للغة العربية فالأصل أن يقول : إذا سألت اسأل الله , ولا يصح أن نقول : اسأل من الله.

⁴⁶³ يوسف خاص حاجب : قوتاقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص87

⁴⁶⁴ القرآن الكريم : سورة البقرة , رقم الآية : 195.

⁴⁶⁵ رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

راحة البال في العدل والاستقامة

ونجاة أهل الله بالصدق والأمانة⁴⁶⁶

وفي ذكر الموت يقول :

اذكر الموت وكن له مستعداً

اذكر النطفة لأصل يرتبط

الأقربون أولى بالمعروف

تصل قريبك تسلم من العزوف⁴⁶⁷

وكذا يقول أيضاً :

لا تنس الأجل ليس لك حائل

احفظ الشرع بشتى الوسائل

قل إن الموت الذي تفرون منه

فإنه ملائكم لا حيد منه

و لو كنتم في بروج مشيدة

كل الخلائق بحكمه مكبله⁴⁶⁸

وفي هذه المقطوعة نجد تناسبا قرآنيا اقتبس من قول الله تعالى : " قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ

فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ⁴⁶⁹ (الجمعة:8) وقوله تعالى :

"أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ

تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

حَدِيثًا⁴⁷⁰(النساء:78)

وفي نبذ الخمر و النبيذ يقول يوسف خاص حاجب :

لا تشرب الخمر ولا النبيذ

لا تقرب الزنا فهو خبيث

وكل ذي خبث ونجاسة

ظالمون ليس لهم مفازة

وكذا ذكر العديد من النصائح ,ومن تلك النصائح نصيحة أودغورمش لأودغولمش :

كن رؤوفاً رحيماً بالعباد

لا تنس بالغفلة يوم التناد

⁴⁶⁶ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص87

⁴⁶⁷ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص89

⁴⁶⁸ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص91

⁴⁶⁹ القرآن الكريم : سورة الجمعة , رقم الآية : 8.

⁴⁷⁰ القرآن الكريم : سورة النساء , رقم الآية : 78.

استعد للموت لا تنساه

لا تنس نفسك من العذاب تلقاه

دع الحرص على الدنيا وتذكر

فقد وُلدتَ فردا ويوم القيامة تُحشر .

وذكر يوسف خاص حاجب نصيحة لنفسه :

تعلم يا عزيز فالعلم مفتاح الجنان

تتصدر على الجهول بحسن بالبيان

الجهل لا ينفع مهما صاحبه ارتقى

هامة العلم شموخ لها الصدى

زد من العلم زيادة مطرد

في بيتهم فص خاتم منفرد

لا تقل عندي علم و أنت جهول

بين أهل العلم جهول

فالعلم بحر مائج

يصعب إليه الوصول

العلم علم ثروة إنسانية

ليس بالعلم فقط إنسانية

دون الإنسانية العلم هراء

اقرأ، علّم نزل على النبي في الحراء⁴⁷¹.

كذلك ذكر يوسف خاص حاجب أشعارًا توضح ماهية العدالة الاجتماعية فيقول :

قواعد العدل أساس الدولة

ولسائر الحكام عدل وعفة

بعدل الحكام تنمو الأمة

وبعميق الجذور تدوم الدولة

العدل يبقى والظلم زائل

اقم فلا تظن أن العدل مائل

كل المنايا بالعدل قامت

كل العواصف بالعدل شاخت⁴⁷².

وكذا يقول عن العدالة :

لسان العدالة أمضى لسان

بقلب مكين يعطي البيان

صفات العادل صخر الصفاء

خلوق كريم صادق الوفاء⁴⁷³.

⁴⁷¹ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص318وص319

⁴⁷² يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص64

⁴⁷³ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص66

كما تناول الصفات التي يجب أن تتوفر في الأمراء والوزراء وكل من يعمل في البلاط ، فذكر أن الإمارة تحتاج إلى الشجاعة والإقدام والعقل والعلم والتقوى والورع، وأن يرحم الأمراء العباد ويخافون الله، وهي نفس الصفات التي يجب أن يكون عليها الوزراء، ثم ذكر صفات أمين البلاط فعليه أن يتحلى بالخلق الكريم ويكون مهذباً، أما حارس أبواب السلطان فيجب أن يفدي بروحه ملكه ويكون يقظاً للغرباء ودقيقاً في فحصهم، ثم تطرق إلى صفات الجيش، وأكد على ضرورة أن يكون يقظاً لا ينام أبداً ولا يغفل عن شيء، وأن يكون نبهاً مقدماً لا يهاب عدوه .

وسنعرض هذه الصفات من خلال الأشعار التي نظمها يوسف خاص حاجب في كتابه، فيقول في صفات الأمراء من خلال وصف أوغدولمش لصفات الأمراء لمليكه :

| | |
|------------------------------|---|
| إمارة حكمة يعرفها الأمراء | تنظيم القوانين عادات الفضلاء |
| فضائل فطانة دراية إدراك | عزيزة في الأفاضل كثير سواك |
| إذا الله أراد أن يؤمّر أحداً | يجعل به العقل والعلم الصمد ⁴⁷⁴ |

وكذا يقول :

| | |
|-----------------------------|--|
| الإمارة يا ملكي أصل الأصالة | تحتاج إلى شجاعة وإقدام قوة و بسالة |
| ولي العهد يبقى مليكاً | كما أبوه يحكم له ملكاً |
| بالعلم أمراء سادوا أرضنا | بالعقل والإدراك قادوا خلقنا |
| فليكن الأمير أعقل العقلاء | وليحذر الآن من أرزل العدلاء ⁴⁷⁵ . |

ويقول في صفات الأمراء :

| | |
|--------------------------|---|
| إن لم يكن أميرنا مهذباً | لم تدم دولته في الآخرة عذباً |
| إن كان هو لم ينفذ وعده | لا ترم خيراً ولمن بعده |
| إن الأمير يجب أن يصدقا | فالأمر يهون به ويصدقا |
| شيطان في الإمارة المفتاح | نباهة ونفاذ القانون المتاح ⁴⁷⁶ . |

⁴⁷⁴ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص116

⁴⁷⁵ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص117

أما عن صفات رئيس الوزراء فذكر يوسف خاص حاجب قول أو غولمش في ذلك فيقول:

| | |
|-----------------------------|---|
| قالوا سيد القوم خادهمهم | مَنْ يخدع الناس فهو خادع نفسه |
| و هناك للوزير دعائم و أركان | أعمالهم في غيبته و حضرته سيات |
| فليكن ذو العلم والعقل رجحان | من أصله أصالة تقوى وإيمان |
| فليكن وزيرنا مختارنا | في عمله يرضي النفوس وجداننا |
| مهارة و ثقافة و علو شأن | بحر العلوم ذو العقول إيمان |
| فليكن من مُتقى وورع كما | يرحم عباده ويخاف رب السماء ⁴⁷⁷ |

أما عن صفات أمين البلاط فذكر أنه أن حَرِيٌّ به أن يكون مهذبًا، ويُنتخب من خيرة الناس علمًا ويكون ملماً بمختلف العلوم ، ويذكر يوسف خاص حاجب قول أو غولمش في ذلك فيقول:

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| هو الفتى أهل التقى والهدى | مهذب الخلق به قد يُفتدى |
| ذو حسب ونسب مواظب | من خيرة الناس علمًا وموطنًا توازن |
| متوازن في فعله ورزين في نفسه | قد نال شكرًا من البلاد رضية |
| مهذب عينه شبع | حيي غزير العلوم |

يذكر يوسف خاص حاجب بعد ذلك الصفات التي تليق بحارس أبواب السلطان حيث يجب أن يعرف أنظمة الدخول والخروج، وأن يراقب الخدم ويفحص الغرباء فيقول في ذلك :-

| | |
|----------------------------|--|
| يفدي بروحه مليكه في خدمته | رؤوف رحيم صفاته علو همته |
| ليغرس صرامة على أبوابنا | ويسرج سراجًا تنير لنا |
| ليعرف أنظمة الدخول والخروج | يفكر قليلًا قبل الولوج |
| ليفحص غريبًا أتى بابنا | تساعده مجموعة من أصحابنا |
| يغلق الأبواب بعد فحص دقيق | ليسأل نبيلاً كما من رقيق |
| بحرص شديد يراقب خدم | يراقب مريبًا قدم بقدم ⁴⁷⁸ . |

⁴⁷⁶ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص120

⁴⁷⁷ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص127

أما بالنسبة إلى صفات الجيش، فذكر أنه يجب على الجنود ألا تنام قط ولا تغفل عن شيء وأن تعي دستور القتال فقال في ذلك :

| | |
|---------------------------|--|
| لا يغفل قائد عن عشب وماء | يختار مكان سكب الدماء |
| حارس الجنود لا ينام أبدًا | لا يحرك لسانه لتعجل به |
| يبلغ القائد معلوم العدو | ليصدر الأمر لإرغام العدو |
| بالنباهة ينتصر جيشه | ينهزم العدو فتاه وشيخه |
| سلاح المنتصر حيلة و نباهة | شراسة المقدام ضرب مباغة |
| وعى الجنود دستور القتال | خلوص النية يحمي من زوال ⁴⁷⁹ . |

أورد يوسف خاص حاجب العديد من الأشعار في كيفية معاملة العلماء والأطباء وأهل الرقية وأهل تعبیر الرؤى والشعراء والمزارعين وأصحاب الغنم والإبل والحرفيين والفقراء فيقول في ذكر معاملة العلماء :

| | |
|-----------------------------|--|
| التعامل مع العلماء الأكرمين | هم سراج الملة والعقيدة والدين |
| تعلموا علوم الدين عنهم | تأخذوا الصواب منهم |
| واستنفيدوا بعلمهم وفضلهم | وفروا لهم الجهد و اخدموهم ⁴⁸⁰ . |

ويقول في كيفية معاملة الخدم :

| | |
|--------------------------------|--|
| أطعم الكل من الخدم بالوفاء | ألبسهم لبس الحرائر والحشم |
| لا ترهقهم بالكثير من العمل | ليعملوا الخير بيسر دون ملل |
| لا تحملهم الأثقال ما لا يطيقوا | تجد الخير وفي كل أمر تطاع ⁴⁸¹ . |

⁴⁷⁸ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق , ص142

⁴⁷⁹ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص134

⁴⁸⁰ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق, ص221

⁴⁸¹ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص121

وكذا يحتوي الكتاب على العديد من الأشعار في بيان فضل العلم والعقل على الإنسان فيقول :

سراج العقل نور المكان ضياء العلم في النفس آن

نماؤك بالعقل تدرك به وبالعلم تكبر وتعظم به

أما تعلم أن أنوشيروان⁴⁸² بالعقل والعدل ساد الزمان⁴⁸³ .

كما ذكر يوسف خاص حاجب محاسن الدنيا وعيوبها فقال :

احذروا من الدنيا لأنها غدارة تلك الأيام تداول بين الناس دوار

إن الحظوظ لا تستقر كالسعادة تعطي يومًا و تأخذ غدًا كالعادة

لا يفرق الموت بين الأمير والصلوك وبين الصغير والكبير والغني والفقير⁴⁸⁴

بعد ذلك ذكر يوسف خاص حاجب في كتابه وصفًا لكبر سنه واسم الكتاب ومعناه فيقول في اسم

الكتاب ومعناه :

قوتا تقوبيليك سميت ذا كتابي مبارك للطالب أودعته دعائي

فقلت ذا مقالتي كتبتها دنيوي وأخروي ألفتها⁴⁸⁵ .

وأما عن وصف كبر سن المؤلف فيقول عن نفسه :

كل توفير الشباب و كنوزه راح في أوداج الهرم وبطونه

مستقيم الظهر وقلبٌ يتلهى مستقيم الظهر وقلبٌ يشتهي

إلهي نجدتي وختام أمري تخلصني من الحزن وسقي

أحاول لأمشي أكاد أشل وضياء عيني يكاد يمل⁴⁸⁶ .

⁴⁸² أنوشيروان : وُلد عام 501م , ويُعرف عند العرب بـ "كسرى الأول" , وفي بلاد فارس باسم أنوشيروان العادل أي ذو الروح الخالدة وعند اليونان كسروس , كان أعظم ملوك الساسانيين جميعًا , واسمه كسرى أنوشيروان بن قباد بن يزدجرد بن بهرام جور , وضع الأسس لمدن وقصور جديدة , وأصلح الطرق التجارية , كما بنى جسرًا وسدودًا جديدة , وخلال عهده ازدهرت الفنون والعلوم ببلاد فارس وتوفي عام 579 م وخلفه ابنه هرمز الرابع (انظر : أنوشيروان / ويكيبيديا - الموسوعة الحرة ar.m Wikipedia.org)

⁴⁸³ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتا تقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق, ص39

⁴⁸⁴ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق, ص185

⁴⁸⁵ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص41

ثم يختتم كتابه بمناجاة يذكر فيها صفات الله العلي القدير ويتوسل إليه أن يعفو عنه، ثم ينهي

مناجاته بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

| | |
|-------------------------------|--|
| إلهي يا صمد حي أحد | تغفر ذنوبي أنا عبد الصمد |
| إلهي أنا الضال وزلت القدم | أنت إلهي خلقتني من العدم |
| ربي إلهي أنا عبدك | عبد ضال يستهدي بك |
| أنا العبد و أنت الغفور الرحيم | واعف عني وأنت الرؤوف الرحيم |
| إلهي رجائي دعائي لك | تغفر ذنوب المؤمنين بك |
| أنا الجهول المغرور في أرضك | لم أعمل عملاً لكي أرضيك |
| قامتي هيكلتي وجسمي جفا | أنت المليك بيدك الوفاء |
| صلاتي سلامي على الرسول | وعلى له وصحبه والتابعين |
| وعلى الخلفاء الأربعة الراشدين | أصلي صلاة وأسلم حتى يوم الدين ⁴⁸⁷ . |

كان هذا سرداً ضئيلاً لبعض المفاهيم في الكتاب من شعر "يوسف خاص حاجب" وذلك لضخامة الكتاب الذي يشتمل على 6645 بيتاً، ولقد قامت الباحثة بإعادة صياغة ترجمة الأبيات السابقة التي ترجمها محمد قاسم أمين لكتاب "قوتادغوبيليك"، وذلك لضعف ترجمته وإحتوائها على الكثير من الكلمات العامية، وكذا أخطائه في كتابة بعض الكلمات، فصاغت الباحثة من جديد حتى يتيسر فهمها وقراءتها. وكما رأينا فقد بدأ الكتاب بمناجاة الله تعالى والتضرع له ومدح للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكذا انتهى بالصلاة والسلام على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وهذا يدل على تأثر يوسف خاص حاجب بالمؤلفات الإسلامية، وبذلك نستطيع أن نتحدث عن أسلوب "يوسف خاص حاجب".

• خصائص أسلوب يوسف خاص حاجب :

⁴⁸⁶ يوسف خاص حاجب : ترجمة محمد قاسم أمين , قوتاتقوبيليك (العلم المبارك) , مصدر سابق, ص42

⁴⁸⁷ يوسف خاص حاجب : المصدر السابق , ص314

- تأثره بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة مثل أديب أحمد .
 - بدأ يوسف خاص حاجب كتابه بالثناء على الله .
 - نظم المدح فمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الأربعة، كما صور الربيع.
 - تأثر بالعروض العربي والنظم الفارسي .
 - استخدم الكثير من الكلمات العربية والفارسية .
 - استعان بالكثير من الحكم والمواعظ .
- هذا عن خصائص أسلوب يوسف خاص حاجب وسنتحدث الآن عن منهجه.

● **منهج يوسف خاص حاجب :**

- قبل فكر التأثر والتأثير، فقد استعان بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .
 - استخدم اللغة الأويغورية وجعل الكثير من الأدباء يتبعون نهجه .
 - تأثر بأسلوب اللغة العربية والفارسية واستعان بالكثير من الكلمات العربية والفارسية.
- هذا عن الأديب "يوسف خاص حاجب" وكتابه "قوتادغوبيليك" , وسنتطرق في الباب الثالث إلى الحديث عن أديب آخر يعد من أهم أدباء القرن الحادي عشر الميلادي وهو "محمود الكاشغري" وكتابه "ديوان لغات الترك".

حياة محمود الكاشغري و ثقافته

يعد محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري أحد علماء الترك ومؤرخي الترك في القرن الحادي عشر للميلاد، ولد عام 1019م في قرية أوفال التابعة إلى مدينة كاشغر في تركستان الشرقية، وتوفي عام 1134م، وقبره في أوفال بقرية آزاق (Azak) بمقاطعة طوقوزاق (Tokkuzak)⁴⁸⁸.

ينسب الكاشغري إلى أسرة قراخانية، جده أبو الحسن هارون بن سليمان أرسلان، الذي فتح منطقة بخارى عام 922م، وتوسع في أرض الدولة القراخانية، وأكمل بعده ابنه يوسف قادرخان فتح ختن، وكان "حسين محمد بوغراخان" الابن الثاني ليوسف قادرخان والد محمود الكاشغري وهو من أهالي باراسغان، جلس فترة من الزمن على العرش في إحدى الولايات التابعة للقراخانيين⁴⁸⁹، ويؤكد الكاشغري في ديوانه انتماءه إلى القراخانيين فيقول في هذا المعنى: "كان أبائنا الأمراء يسمون (خمير)؛ لأن الغزاة ما قدروا أن يقولوا (أمير) فقلبوا الألف خاء فقالوا (خمير)".⁴⁹⁰

وينتمي الكاشغري إلى عائلة نبيلة من قبل أمه بوبي رابية (Bübi Rabi) ابنة "خوجه سيف الدين بزرک" (Hoca seyfettin Buzruk) وهي من أصول عربية⁴⁹¹، وكانت ذات علم وثقافة، وكان لها الأثر الأكبر في تربية ابنها محمود الكاشغري وتنشئته نشأة صالحة جعلته يفوق أقرانه، فيتعداهم حتى وصل إلى مصافي الفلاسفة وأصبح متفرداً في علمه وأدبه ومن العلماء المبرزين على عهده.⁴⁹²

⁴⁸⁸ Sultan Mahmut Kaşgarlı : Uygur Türkleri Kültürü ve Türk Dünyası, İstanbul, Türkiye, 2004, S.121

⁴⁸⁹ Sultan Mahmut Kaşgarlı : A.G.E., S . 121.

⁴⁹⁰ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك، المجلد الأول، ط1 دار الخلافة العلية، 466 هـ، 1333 م، ص4.

⁴⁹¹ Sultan Mahmut Kaşgarlı :A.G.E, S .121

⁴⁹² Sultan Mahmut Kaşgarlı :A.G.E, S .120

حصل محمود الكاشغري تعليمه الابتدائي والمعارف العليا في كاشغر في مدرسة ساجية (Medrese-i -:Saciye) ومدرسة الحامدية (Medrese-i -: Hamidiye)⁴⁹³ وتتلذذ على يد أستاذه حسين بن حلب الذي يعد واحداً من العلماء والمؤرخين المشهورين في ذلك العصر، ولقد درس تاريخ الإسلام والفلسفة وعلوم أصول الدين والفنون الاجتماعية وعلوم الطبيعة على السواء في المدن الكبرى مثل كاشغر وبلاساغون وبخارى وسمرقند وفاراب وأتقن اللغة العربية في كاشغر ووقف على علومها، وكان كذلك على علم بالفارسية ؛ واطلع الكاشغري على علم التركيات، وتمثلت أعماله الأدبية في قواعد اللغة التركية الذي فُقد ولم يُعثر عليه حتى يومنا الحاضر، ويثبت هذا المؤلف أن الكاشغري أول نحوي، أما أثره الثاني فهو "ديوان لغات الترك" الذي جعل له الشهرة والميزة على أقرانه، لذا أقام مجمع اللغة التركية مؤتمراً عالمياً تحت عنوان "محمود الكاشغري في ميلاده الألف"⁴⁹⁴.

ويعد الكاشغري أول من كتب التركية بالخط العربي من القراخانيين في مؤلفه "ديوان لغات الترك" فقد طوع التركية للخط العربي وحركاته المختلفة، سواء حركات المد "الألف والواو والياء" والحركات الصغيرة "الفتحة والضمة والكسرة" حتى صارت التركية بالخط العربي لغة الكتابة السائدة منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وكانت تسمى الغزية أو التركية الشرقية.⁴⁹⁵

كما نجح الكاشغري كذلك في المزج بين الخط العربي والإشارات الفارسية التي تعبر عن الحروف التركية غير الموجودة في العربية والتي استحدثها الإيرانيون بعد استخدام الخط العربي مثل "گ"، "چ"، "ژ"، "پ".⁴⁹⁶

بدأ الكاشغري رحلته الاستطلاعية الطويلة للبحوث والدراسات عن علم اللغة والمقارنة بين اللغة الفصحى واللهجات العامية، فتنقل لمدة خمسة عشر عاماً بين القبائل التركية وطاف جميع صحاري الترك

⁴⁹³ Sultan Mahmut Kaşgarlı :A.G.E, S .137

⁴⁹⁴ Yakup Deliömer Oğlu : Gök bayrak, kaşgarlı Mahmut, 2008, S.10

⁴⁹⁵ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" بحث منشور 1993 م ، ص23

⁴⁹⁶ سنية محمد مصطفى (دكتور) : المصدر السابق ، ص24

ليجمع لغات الأقوام التركية وتواريخهم وأساطيرهم وأمثالهم، وكانت حصيلة هذه الرحلة مؤلفه "ديوان لغات الترك"، ثم استقر في بغداد حيث شرع في تأليفه عام 1072 باللغة العربية وهو في الشيخوخة وأتمه عام 1074م، إبان عصر الخليفة العباسي القائم بأمر الله⁴⁹⁷ وأهداه إلى الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله.^{498*}

وانفرد الكاشغري بإمدادنا بمعلومات عن حدود بلاد المسلمين في شرق تركستان في زمن القراخانيين، ولديه معلومات كثيرة عن مدن الأويغور، وتدل المعلومات القصيرة التي يذكرها عن المدن المختلفة على أنه كان يملك كتبًا تاريخية كثيرة وهي مفقودة لم تصلنا⁴⁹⁹.

كان الكاشغري من أكثر الناس معرفة بلغات الترك، فقد أجاد التركية والتركمانية والغزية والچيغيلية والنعمانية والقرقزية⁵⁰⁰، ويعد الكاشغري أول من أفاض في وصف الشعوب التركية ومواطنها ولغاتها ولهجاتها بما في ذلك الترك غير الخالص.⁵⁰¹

أشار الكاشغري في ديوانه إلى دراساته حول اللغة التركية ولهجاتها حيث يقول :

"قمت بالدراسات الاستطلاعية حول اللغة التركية الخاقانية والفونولوجية في قبائل الترك وتركمان ووقس وكيجر ويانغمو .. إلخ من القبائل التركية، حيث حفظت ذلك عن ظهر قلب، ثم بعد طول البحث والدراسات العميقة ألفت "ديوان لغات الترك" على أكمل وجه وأكثر لغة وضوحًا.⁵⁰²

⁴⁹⁷ هو أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله، من خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة بعد أبيه وكانت بيعته في ذي الحجة سنة 422هـ - 1075م، وفي زمانه قام الفاطميون بهدم كنيسة القيامة عام 1009م يعد هذا الحدث أحد أبرز الأحداث التاريخية التي مرت على مدينة القدس عامة ومسيحية الشرق خاصة (انظر عبد الله القائم بأمر الله. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - ar.m.wikipedia.org)

* هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله، وهو من خلفاء الدولة العباسية، ولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر في عام 448هـ، وبويع له بالخلافة عند موت جده القائم بأمر الله وعمره تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان خيرًا قوي النفس عالي الهمة، من نجباء بني العباس، ومن محاسنه أنه نفى المغنيات ببغداد وتوفي سنة 487هـ (انظر عبد الله المقتدى بأمر الله - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - ar.m.wikipedia.org)

⁴⁹⁸ هاجي نور هاجي : قه د مكي نويغورلار ۋه قاراخا نيلار ، A.G.E ، s.443

⁴⁹⁹ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان تاريخ منسى وحضارة باقية ، مصدر سابق : ص 21

⁵⁰⁰ و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، مصدر سابق ، ص 92

⁵⁰¹ عز الدين الورداني (دكتور): (تركستان الشرقية) صراع حضارتين (مركز الحضارة العربية ، مصدر سابق ، ص 268

وكذا قال الكاشغري:

"زرت جميع مدنهم وقراهم وسجلت لهجات القبائل المختلفة، مثل: القبائل التركية، والتركمانية، والووقسية، والكيجرية، واليانغمورية، والخيقسية، كما راجعت واستعملت تلك اللغات فحفظتها عن ظهر قلب".⁵⁰³

وبعد أن ساح محمود الكاشغري في مناطق الأتراك في آسيا واختلط بجميع القبائل التركية سنين عديدة ألف مؤلفه "ديوان لغات الترك".⁵⁰⁴

ويعد الكاشغري من أوائل علماء اللغة الكبار الذين أوضحوا أن اللغة التركية والثقافة القومية وحب الوطن فوق كل شيء⁵⁰⁵، ويوضح الكاشغري في مقدمة "ديوان لغات الترك" وجهة نظره بخصوص الأمة التركية، وكيف كان قومياً متحمساً في القرن الحادي عشر فيقول:-

"أما بعد فقال العبد (محمود بن الحسين بن محمد) : لما رأيت أن الله قد أطلع شمس الدولة في بروج الأتراك وأدار بملكهم دائرات الأفلاك، فسماهم الترك، وولاهم الملك وجعلهم ملوك العصر، ووضع في يدهم أزمة أهل الدهر، فقيضهم على الخلق وأيدهم على الحسن، وأعز من انتمى إليهم وسعى بين يديهم، ونال منهم المراد، وسلم من معرة أوباش العباد، حق لكل ذي لب التمسك بحالهم، توقياً عن وقع نبالهم، ولا ذريعة لديهم أحسن من التراطن بلسانهم لإصغائهم إليه أسماعهم، واستمالة جنانهم، فإذا اعتصم به عدوه اعتبروه من فرقهم وأمنوه من فرقهم، فيلوذ به غيره ويكشف عنه ضيره".⁵⁰⁶

⁵⁰² محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ص 3

⁵⁰³ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 1 ص 3

⁵⁰⁴ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية ، مصدر سابق ، ص 323

⁵⁰⁵ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" مصدر سابق ، ص 16

⁵⁰⁶ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 2 ، 3

ونستطيع أن نقول من خلال ما ذكره الكاشغري عن الترك إنه بالغ بعض الشيء في إعلاء مكانة الترك ولغتهم وثقافتهم، فقد كان يقدس اللغة التركية ويمقت التراكيب واللهجات الدخيلة، وبالغ في مدح التركية لدرجة أنه كان يربط هذا بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الكاشغري : لقد سمعت عن ثقة من أئمة بخاري، وإمام آخر من أهل نيسابور، كلاهما رويا بإسناد لهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه عندما ذكر أشراف الساعة، وفتن آخر الزمان، وخروج الترك الغزية فقال " تعلموا لسان الترك فإن لهم ملكًا طوالاً " .⁵⁰⁷

⁵⁰⁷ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه " ديوان لغات الترك " , مصدر سابق , ص 18 ، 19

ديوان لغات الترك

ألف الكاشغري "ديوان لغات الترك" في مسقط رأسه , وأتمه في مدينة بغداد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد فيما بين عامي (464 هـ- 466 هـ/ 1072م - 1074م)⁵⁰⁸، وراجعته أربع مرات، وقدمه إلى الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله العباسي بمدينة بغداد.⁵⁰⁹

• الهدف من تأليف الديوان في اللغة العربية :

هدف محمود الكاشغري من تأليفه لكتاب "ديوان لغات الترك" في اللغة العربية أن تتعرف الأمة العربية على لغة الترك بوصفها لغة حية من لغات الشعوب الإسلامية، وأن يُثبت ثراء اللغة التركية ومضارعتها للعربية وأنها تستطيع اختواء المعاني والمفاهيم، كما هدف إلى بناء جسور التواصل والتعاون بين الشعبين، فكان كبار رجال الدولة العباسية وقواد الجيش ومعظم الإداريين أتراكًا، لذلك وجب على الخليفة العباسي وأمرائه أن يتقنوا اللغة التركية لكي يتحقق التفاهم بين الجانبين التركي والعربي.⁵¹⁰

قال الكاشغري في ذلك : "لكي تستطيع أن تشرح للتركي مقصودك، وتستميله ما من سبيل أمامك إلا أن تعرف لغته وتخطبه بها"⁵¹¹، فكان يأتي الكاشغري في مؤلفه "ديوان لغات الترك" بكلمة تركية ولهجتها وينسبها إلى قبيلة تركية ثم يترجمها إلى العربية، وغالبًا ما يورد بيتًا من الشعر التركي أو مثلاً ثم يأتي بما يماثله في العربية، وبهذه الصورة يوضح الكتاب اللغة التركية القديمة والأدب الشعبي التركي، ولقد أطلق الكاشغري على الكتاب اسمًا عربيًا وذلك لأن أقرانه من علماء الأتراك آنذاك كانوا يصنفون مؤلفاتهم باللغة العربية، والعربية لغة لها مكانتها في قلوب المسلمين كافة؛ لأنها لغة القرآن الكريم⁵¹²، وكانت الكتابة باللغة العربية عملاً مقبولاً بالقياس لعصره، إلا أن الكتابة بالخط العربي

⁵⁰⁸ هاجي نور هاجي : قه د مكي نويغورلار و ه قاراخا نيلار , A.G.E , s.443

⁵⁰⁹ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية ، مصدر سابق ، ص 324

⁵¹⁰ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية ، المصدر السابق ، ص 223

⁵¹¹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ، ص 3

⁵¹² عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية ، مصدر سابق ، ص 208

ووضعها في قوالبه النحوية بهذا الشكل قد حقق سهولة في القراءة نسبياً للعرب ولكنه كان صعباً بالنسبة للأتراك المحدثين وخاصة بعد تحويل الكتابة في اللغة التركية من الخط العربي إلى الخط اللاتيني بعد إعلان الجمهورية التركية⁵¹³، ويدل ديوان لغات الترك على علم الكاشغري الكامل باللغة العربية.⁵¹⁴

• أهمية الديوان :

حظي الكتاب من حيث علم اللغة التركي بأهمية كبيرة لا مثيل لها، فهو مصدر مهم في تاريخ دراسة اللهجات التركية؛ إذ قام الكاشغري بعرض لهجات جميع الأقوام التركية، وأصبح مؤلفه مرجعاً لجميع اللغويين؛ وبمرور الوقت دخلت مفردات أجنبية إلى تركستان الشرقية والغربية، ونهج الشعراء والأدباء نهجه في كتبهم وأشعارهم فتناسلت كثير من مفردات لغتهم الأجنبية فكان "ديوان لغات الترك" وسيلتهم للحصول على مفردات لغتهم الأصلية⁵¹⁵، وقد اعتمد العرب والترك حتى الفرس فترة طويلة على هذا المعجم لتعلم اللغة التركية، ولا يعد "ديوان لغات الترك" معجماً لغوياً فحسب؛ بل موسوعة تلقي الضوء على الأدب التركي والأدب الشعبي لدى الترك قبل الإسلام.⁵¹⁶

كذلك تتضح أهمية الكتاب من وجهة نظر الجغرافيا حيث قدم الكاشغري معلومات عن حدود بلاد المسلمين في شرق تركستان في زمن القراخانيين، وذكر معلومات وافية عن أماكن القبائل التركية تصحبها تفاصيل عديدة عن الجغرافيا التاريخية للبلدان التي عاشوا فيها.⁵¹⁷

قسّم الكاشغري العشائر التركية من الغرب حتى جهة الشرق؛ فرعاً يبدأ من مقاطعات "باجناك" حتى أقرب نقطة لبلاد الروم وهم : القبقاق والأوغوز واليماق والباشغورت والبسميل والقاي واليابكو والتتار والقرغيز، ثم امتدت هذه الفروع من الشمال حتى الجنوب على النحو الآتي

⁵¹³ Nihad Sami Banarlı : A.G.E, S. 254.

⁵¹⁴ عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية ، مصدر سابق ، ص21

⁵¹⁵ محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية ، مصدر سابق ، ص 324

⁵¹⁶ عز الدين الورداني (دكتور) : (تركستان الشرقية) صراع حضارتين مصدر سابق , ص 268

⁵¹⁷ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه " ديوان لغات الترك " , مصدر سابق , ص39

چيگيل وطخسي و ياغما و أوغراق و جاروق و جومول و وأويغور، وجاء بعد هؤلاء : التانكوت والخطاي والماجين .⁵¹⁸

وتضمن الكتاب خريطة للعالم وصور وسط آسيا على أنها مركز للأرض⁵¹⁹، وكذلك يَزيد الكتاب أهمية كونه يعكس حياة الترك الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم، كما يتحدث عن ثقافة الأمة التركية وأدبها الشعبي.⁵²⁰

• طباعة الديوان ونشره :

أُخفي كتاب "ديوان لغات الترك" ثمانمائة عام (800 سنة) على رفوف دور الكتب القديمة، حتى عثر عليه في بداية القرن الماضي عثر رجل تركي يدعى "علي أميري" على هذا الكتاب في أماكن بيع الكتب القديمة في استانبول، وعندما رأى "أميري" هذا الكتاب أدرك قيمته العلمية واللغوية وبذل كل ما يملك لشرائه إذ كان شغوفاً باقتناء نسخة مخطوطة منه، وقال أميري عند شرائه هذا الكتاب : "اشتريت هذا الكتاب بـ 33 ليرة وعدت إلى المنزل ولم أفكر في أي شيء سواه، ولن أبيع بثقله ذهباً ، وقد أخفى أميري هذا الكتاب عن الناس ولم يظهره إلا للسيد "رفات كيليسلي" الذي أخذه وقرأه ثلاث مرات، وأعاد تنظيم صفحاته المبعثرة، وقد نسخ عالم دمشقي بخط يده هذا الكتاب وهي النسخة المحفوظة حالياً في المكتبة الوطنية باستانبول⁵²¹.

وطبع "ديوان لغات الترك" لأول مرة في تركيا في المطبعة العامرة باستانبول عام 914هـ- 1916م في ثلاثة مجلدات، وأفضل ترجمة مع الفهارس وصورة طبق الأصل له نشرت من قبل العالم اللغوي "بسيم أتالاي" في خمسة مجلدات بين عامي (1939م-1943م) في مجمع اللغة التركي، كما طبع

⁵¹⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج1، ص27 ، 28

⁵¹⁹ زياد محمد هواش : القراخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضارة باقية ، مصدر سابق : ص21

⁵²⁰ Sultan Mahmut Kaşgarlı : Uygur Türkleri Kültürü ve Türk Dünyası, A.G.E,S .127

⁵²¹ Sultan Mahmut Kaşgarlı : A.G.E, S .119.

ونشر كتاب "ديوان لغات الترك" الأصلي ونشر باللغة العربية، وفي عام 1960م نشر في الاتحاد السوفيتي باللغة الأويغورية لمجلداته الثلاثة ، وفي عام 2000م نشر هذا المعجم باللغة الصينية⁵²².

• الدراسات والأبحاث التي أجريت حول كتاب "ديوان لغات الترك" :-

حظي الكاشغري ومؤلفه "ديوان لغات الترك" باهتمام العديد من علماء اللغة التركية في العالم التركي في أذربيجان وتركستان الشرقية وغيرهما من البلدان الأخرى وعكفوا على دراسته وترجمته إلى اللغات التركية، غير أنهم لقوا حتفهم على أيدي المحتلين الروس في الاتحاد السوفيتي السابق والمحتلين الصينيين في تركستان الشرقية، وخلال حكم السوفيت في الفترة بين 1935م-1937م كلف فرع الأكاديمية السوفيتية بأذربيجان "سعيد هوجاييق" بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الأذربيجانية، ولكنه قتل بسبب ترجمته لهذا الكتاب، وفي الصين عام 1937م اغتيل الشاعران الأويغوريان "قوتلوك شوقي" و"محمد علي" بسبب ترجمتهم هذا الكتاب إلى اللغة الأويغورية، وأحرقت السلطات الصينية هذه الترجمة، وعندما قامت الدولة الأويغورية عام 1944م وعهدت إلى العالم الشهير "إسماعيل دامولام" ترجمة الجزء الأول من الكتاب، الأمر الذي أدى إلى تحالف الروس والصينيين للقضاء على الدولة الأويغورية وقتلوا العالم "إسماعيل دامولام"، وبعد القضاء على الدولة الأويغورية جعلت الصين من أويغورستان المسلمة مقاطعة صينية ذات حكم ذاتي، فلم ييأس الأويغور أو تفتر عزيمتهم، واستمروا في محاولاتهم لترجمة كتاب "ديوان لغات الترك" فخصص "سيف الله سيف الدين" حاكم مدينة كاشغر الأويغورية مبلغًا من المال، وكلف الشاعر المؤرخ الأويغوري "أحمد ضيائي" بترجمة هذا الكتاب، وأتم الترجمة بين عامي (1952م - 1954م)، وأرسل حاكم مدينة كاشغر المترجم إلى بكين لطباعة الكتاب، إلا أن قوات الأمن الصينية ألقت القبض عليه بتهمة زائفة وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عامًا، ثم قتل أثناء عمليات التعذيب في الحبس، وفي الفترة بين (1960م - 1963م) ترجم مترجم

أويغوري آخر يدعى "صيرامي" هذا الكتاب فلكي هو الآخر حتفه وكان له مصير رفاقه الذين سبقوه عندما ترجموا الكتاب ذاته، وأُحرقت الترجمة للمرة الثانية، ولم يتوقف الأويغور عن المحاولات المستمرة لترجمة هذا الكتاب حتى خرجت ترجمة الكتاب إلى النور في الفترة بين عاميّ (1981م – 1984م) وطبعت عشرة آلاف نسخة منه باللغة الأويغورية، كما يقوم كثير من الخبراء والمتخصصين بدراسة وتحقيقه في بريطانيا واليابان والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأخرى، ونشرت عدة ترجمات ودراسات للكتاب، كما قام بطبعه ونشره عدد من العلماء في روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر، وأُجريت بحوث ودراسات حول الكاشغري وديوانه على يد علماء اللغة الأتراك ومنهم الباحث "عليار صفارلي" الذي كتب عن هذا الأثر، وأشار إلى أنه أول مصدر عريق من مصادر اللغة التركية وآدابها، دُون من أجل تعريف العرب وتعليمهم اللغة التركية وتعليمها لهم، كما علق عليه المستشرقون الأوروبيون وبخاصة الألماني بروكلمان.⁵²³*

وتتناول بعض الباحثين الكتاب بالدراسة وجمعوا المقطوعات والمنظومات التي تتفق في الموضوع والقافية، ونجد في معجم "طارما" 228 مقطوعات شعرية جمعت ورتبت حسب موضوعاتها على النحو الآتي :-

-البكائيات. -الأساطير والملاحم .

-أشعار الحرب . -أشعار الخمر والصيد .

-أشعار العشق . -أشعار الطبيعة .

-الأشعار الأخلاقية والاجتماعية .

* ولد كارل بروكلمان في 17 سبتمبر 1868م في مدينة روستوك ، وكان مستشرقاً ألمانياً ، بدأ دراسة اللغة العربية والسريانية والآرامية الكتابية وهو في المرحلة الثانوية ، وأتقن العبرية ، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) (انظر كارل بروكلمان – ويكيبيديا – الموسوعة الحرة - ar.m.wikipedia.org)
523 سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكشغري وكتابه " ديوان لغات الترك " , مصدر سابق , ص21

ولم يتضمن هذا التصنيف الأمثال والجمل النثرية الموجودة في الكتاب .⁵²⁴

• محتوى الكتاب :

يعد كتاب "ديوان لغات الترك" موسوعة شاملة في اللغة والأدب والجغرافيا والتاريخ، وبه دراسة لديانات الأقوام التركية قبل الإسلام كالشامانية والطوطمية وغيرها، وكذلك يتحدث عن مفهوم السلطة ودرجات موظفيها والشؤون العسكرية والاستراتيجية، ويتحدث أيضاً عن الطب والزراعة والملاح الطوبوغرافيا⁵²⁵ والنوادر والنقوش والمراثي والأمثال والحكم والنباتات والحيوانات والطيور والحشرات والعادات والتقاليد والقيافة التركية والمجوهرات والأدوات والأشغال اليدوية⁵²⁶، إنه موسوعة مفعمة بالمعرفة الفنية حول القومية التركية في العصر القديم، كما يتضمن الديوان معلومات تاريخية حيث يقدم الفلسفة الإسلامية ويصف حوادث تاريخية مهمة وفقاً لمشاهدات الكاشغري بذاته وما سمعه من الحكايات، كما سجل الكاشغري في الديوان أماكن الأسرة القراخانية والقبائل التي تتكلم اللغة التركية، مرفقاً بها خريطة لأماكن انتشار القبائل التركية في تلك المنطقة، ودون بعض القصص الأدبية والقصائد والأغاني والأمثال .⁵²⁷

ويضم الديوان 7500 كلمة تركية مشروحة باللغة العربية تعكس حياة أبناء الشعب في منطقة تركستان الشرقية في القرن الحادي عشر الميلادي، وأوضح الكاشغري أنه جمع كل الكلمات التركية التي عاشت بين الناس، ولكن ثمة كلمات وضعها في الكتاب مأخوذة من لغات أخرى مثل كلمة أجون (Ajun) بمعنى "دنيا" وهي من اللغة الصغدية، وكلمة صافران "Safran" أي "أخاف" من اللغة الهندية، مما لا

⁵²⁴ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك"، مصدر سابق، ص37,38
⁵²⁵ الطوبوغرافيا : يقصد بها الملاح العامة لسطح الأرض طبيعية كانت أو مصنوعة ، وهي تمثيل دقيق لسطح بعناصره الطبيعية والبشرية ، وهي مصطلح يوناني مركب من كلمتين : "طبو" Topo وتعني الأرض أو المكان ، وجرافيا Graphie وتعني الاسم والتمثيل البياني للتضاريس (انظر a.r.m.Wikipedia.org)

⁵²⁶ عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية ، مصدر سابق ، ص209

⁵²⁷ عبد الرحمن جمال الكاشغري : قواعد اللغة الأويغورية ، المصدر السابق ، ص209

يمكن معه الإدعاء بأن جميع الكلمات التي جمعها ذات أصل تركي⁵²⁸، ونرى أن هذه الكلمات رغم كونها ليست من أصل تركي فإن محمود الكاشغري أوردتها على أنها كلمات معروفة بين الشعب التركي على عهده لذا أوردتها في الديوان الذي ألفه على أساس أنها أصبحت من الألفاظ المتعارف عليها آنذاك؛ ونجد أن الكلمات الموجودة في ديوان لغات الترك هي الكلمات الدارجة على ألسنة الناس في القرى على وجه الخصوص.⁵²⁹

يتضمن الديوان 20 قصة و237 قصيدة و279 مثل، ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء جمعت في كتاب واحد، وعدد صفحاته 1119 صفحة، وألف على طراز غير مسبوق من الترتيب والتنظيم حتى ذلك الوقت، وهذا الكتاب يرينا مدى طول باع علماء تركستان في التأليف والتصنيف.⁵³⁰

أما عن طريقة عرض الديوان فقد استهله الكاشغري بحمد الله متأثراً بالأدب العربي ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ في مدح الترك، وبعد ذلك مدح أبا القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله ودعا له فيقول :-

"برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشمية العباسية سيدنا ومولانا " أبو القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، أطال الله بقاءه في عز دائم ممدود وعمر ناعم مسعود، وأرسى قواعد سلطانه بعز تمتد سوابق المجد في ساحته، وأعلى نواهي برهانه في مكارم يحيا الأنام من جود راحته، وجد سمير النجم، وعزم صائب السهم، وولي مقرون بعز النصر، وعدو ممنون بذل القهر، ولا أخلي من المسلمين ظله وجماله، وقدرته وفضله وجلاله .⁵³¹

528 سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه " ديوان لغات الترك " ، مصدر سابق ، ص22

529 سنية محمد مصطفى (دكتور) : المصدر السابق ، ص21

530 محمد أمين بوغرا : تاريخ تركستان الشرقية ، مصدر سابق ، ص 223

531 محمود بن الحسين محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج1، ص3، 4

أوضح الكاشغري بعد ذلك أنه رتب مؤلفه حسب حروف المعجم موشحاً بحكمة أو سجع أو مثل أو شعر أو رجز أو نثر، وذكر أنه حصّره في ثمانية كتب :-

الكتاب الأول : كتاب الهمز

الكتاب الثاني : كتاب السالم

الكتاب الثالث : كتاب المضاعف

الكتاب الرابع : كتاب المثل

الكتاب الخامس : كتاب ذوات الثلاث

الكتاب السادس : كتاب ذوات الأربع

الكتاب السابع : كتاب الغنة

الكتاب الثامن : كتاب الجمع بين الساكنين .⁵³²

ثم ذكر الكاشغري أنه خصص كل كتاب من هذه الكتب لشرح الأسماء والأفعال، وقدم الأسماء على الأفعال، ثم ذكر المستعمل والمهمل معاً ليوضح أن لغات الترك تجاري اللغة العربية مثل :

قرا : الأسود (مستعمل)، قاره (مهمل)

أرق : النهر (مستعمل)، أريق (مهمل) .⁵³³

وتحدث الكاشغري بعد ذلك عن الحروف التي تدور عليها ألسنة الترك، وذكر أنها ثمانية عشر حرفاً أصلية، تتركب منها الكتابة التركية تجمعها هذه المقالة (أخوك. لف. سمج. ترق. بذر. شتيا)، وسبعة حروف أخرى فرعية وهي (الباء والجيم العربية والزاي المتولدة بين مَخْرَجِي الزاي والشين، والفاء

⁵³² محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ص4، ص5

⁵³³ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق ج 1 ص5

والغين المعجمة والكاف المتولدة بين مَخْرَجِيَّ القاف والكاف)، وكاف الغُنة المتولدة بين الغين والقاف والنون والقاف.⁵³⁴

ونجد من خلال الكتب التي ذكرها الكاشغري أنه تحدث عن اللغة والأدب والجغرافيا والتاريخ والأمثال والحكم والشعر والقبائل التركية ... إلخ، وسنقوم بالحديث عن بعضها :

● اللغة التركية ولهجاتها :-

قسّم الكاشغري اللغة التركية في القرن الحادي عشر الميلادي إلى شعبتين في الشرق والغرب :

أولهما : التركية الخاقانية أو التركية الشرقية وهي اللغة التي يتكلم بها أهل كاشغر وبلاساغون، وتشمل كذلك اللهجات الأدبية في سائر المناطق المحيطة بها وهي لهجات :

چيگيل و ياغما و أركو و تخسي وأويغور , وهذه اللغة هي المستعملة في المنطقة الواقعة تحت نفوذ القراخانيين.⁵³⁵

والأخرى : لهجة الأوغوز و تشكل القسم الثاني الكبير ويعرف باللهجة الغربية ويربط بينها وبين لهجات قبجاق و يماق و بجنك وبلغار أوجه تشابه وتماثل على نحو كبير.⁵³⁶

ومن الملاحظ أنه لا يوجد كتاب سوى كتاب الكاشغري الذي يعد المصدر الوحيد الذي يمكننا من إلقاء الضوء مباشرة على اللهجة الأوغوزية، وبَيَّنَ لنا الكثير عن نشأة هذه اللغة، ومما لا شك فيه وجود آثار مكتوبة بالأوغوزية في بداية القرن السادس الميلادي، ولكن لم ينتنَّ لواحد من هذه الآثار الوصول إلى زماننا الحاضر.⁵³⁷

⁵³⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ص78

⁵³⁵ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص218

⁵³⁶ محمد فؤاد كوبريلي ، المصدر السابق، ص218

⁵³⁷ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، مصدر سابق، ص292.

وهناك فروق بين هاتين المجموعتين من حيث البناء الصرفي والصوتي، فيقول الكاشغري إن الكلمة المبدوءة بحرف الياء (y) تنتشر بين أترك الشرق، بينما تنتشر الكلمات المبدوءة بالألف والجيم بين الأوغوز والقبجاق، كما أن الكلمات المبدوءة بحرف الميم عند أترك الشرق، بينما تتغير الميم إلى باء عند الأوغوز والقبجاق، وتتحول الدال إلى تاء عند أهل صوار (suvar).⁵³⁸

أما عن رأي الكاشغري في اللغة التركية الخالصة فهو يرى أنها هي التي يتحاور بها الطوائف والقبائل التركية التي لم تتأثر بلغة أجنبية، ولم تعرف لغة سوى التركية، أما الأتراك الذين كانت لهم علاقات اجتماعية وثقافية بأمم أخرى فقد تأثرت لغاتهم بلغات غيرهم نتيجة لهذه العلاقات، وأثناء هذه الفترة التي تأثروا فيها بلغات الأقوام الأخرى؛ تغيرت لغتهم وابتعدت عن أصولها، ويقول الكاشغري في هذا: "أفصح اللغات لمن لا يعرف إلا لساناً واحداً، ولم يختلط بالفارسي، ولم يتعود نزول البلاد، وأصحاب اللسانين واختلط بأهل المدن، ففي ألفاظه تدخل الركة ، وهم مثل :

سغداق و گنجاك و أرغو و والصنف الثاني مثل ختن .⁵³⁹

وكذا يقول: "لغات الصوار والبلغار وحتى البجاناك المنتشرة في ديار الروم تركية لم تكتمل فيها الكلمات، وكانت لهجات القرغيز والقفجاق والأوغوز والتخسي والياغما والچيگیل والاعراق والجرق، لهجات تركية خالصة، وكانت لهجات اليماك والباشغورت وثيقة الاتصال بها، وكانت لغة البدو من نهر إتل إلى يمار أنقى على الجملة من لغة الحضر، ويتحدث أهل بالاساغون الصغدية والتركية، وكذلك أهل طراز وأهل مدينة البيضاء والكاشغر يتكلمون فيها بالگنجاكية، ووسط البلد بالتركية الخاقانية .⁵⁴⁰

⁵³⁸ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 232 ، ص 233
⁵³⁹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ص 29
⁵⁴⁰ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق ج 1 ص 29 ، 31

أما بالنسبة إلى الكلمات التركية فقد صنفها الكاشغري على شكل ثلاثي ورباعي وخماسي مثل اللغة العربية حتى يتيسر على العرب تعلم التركية بسهولة وبسرعة، وقسمت الكلمات التركية إلى مجموعات؛ كلمات ذات حروف ثلاثة أساسية ، وكلمات ذات أربعة حروف، وغير ذلك، فكلمة قيرق (Kırk) وتعني العدد أربعين مثلاً من الكلمات التركية التي كتبت بإملاء قرق (Krk)، وكلمة ترك (Turk) كتبت ترك (Trk)، وضبطت هذه الكلمات أي وضعت بها علامات الإعراب، وهذه الكلمات التي تتكون من حروف ثلاثة صامتة على هذا النحو عدّها من الكلمات الصحيحة كما هو الحال في اللغة العربية.⁵⁴¹

وسجل الكاشغري كلمات مثل : اوچ (Uç) بمعنى غاية أو نهاية، وأوت : (Ot) بمعنى عشب مع حرف "الألف" الذي في أول الكلمة، وحرف الواو الموجود في وسطها في مجموعة المنقوص، وكتب كلمة أمك (Emek) ومعناها جهد أو مشقة، وكلمة أركك (Erkek) بمعنى فتى بإملاء أمك (Emmk) وأركك (erkk) وتكرار حرف الكاف في هذه الكلمات مرتين عدّ وسيلة لإظهار التضعيف في اللغة التركية كما هو الحال في اللغة العربية.⁵⁴²

وجميع الكلمات التركية الصائتة وضعت في قوالب وأوزان مثل فَعْل، فُعْل، فِعْل، أو أفعال، إفعال، فعّالان وما شابههما، وبهذا سعى الكاشغري جاهداً لملاءمتها مع بناء أية كلمة استخدمها العرب واعتادوا عليها.⁵⁴³

كما تناول الكاشغري الموسيقى في اللغة بقوله : "وكلام الترك يحتوي الإشباع والإمالة إلى الحركات الثلاث، والصلابة في اللفظ والركة والغنة، والحرف الخيشومي، والجمع بين الساكنيين، واجتماع القاف مع الجيم، ومبادلة الباء بالميم والنون باللام، وغير ذلك.⁵⁴⁴

● القبائل التركية :

⁵⁴¹ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه " ديوان لغات الترك " ، مصدر سابق ، ص24

⁵⁴² سنية محمد مصطفى (دكتور) : المصدر السابق ، ص25

⁵⁴³ سنية محمد مصطفى (دكتور) : المصدر السابق ، ص25

⁵⁴⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص10

انتقل الكاشغري بعد ذلك إلى الحديث عن القبائل التركية، فذكر أن الترك في الأصل عشرون قبيلة ينسبون إلى "ترك بن يافث بن نوح"، وذكر أن أول القبائل قرب الروم (بجنك) ثم قفجاق ثم أوغوز ثم يماق ثم باشغورت ثم يسمل ثم قاي ثم يياقو ثم تثار ثم قرقر وهذه قرب الصين، وبأسرها بحذاء الروم ممتدة إلى الشرق ثم چيگيل ثم تُخسي ثم ياغما ثم إغراق ثم جُرق ثم جمل ثم أويغور ثم تنكت ثم ختاي وهي الصين ثم تغاج وهي ماصين، وهذه القبائل متوسطة بين الجنوب والشمال.⁵⁴⁵

ووضح الكاشغري أن هناك لغة تركية خالصة للقرغيز والقبجاق والأوغوز والتخسي والياغما والچيگيل، ثم اتحدت هذه جميعاً مع لهجة الجاروق، وكانت لغة "باجناك" التي امتدت صوب الغرب وانتشرت بين قبائل "بلغار وصوار"، لغة تركية ذات نظام واحد، ولكنها تغيرت تغيراً طفيفاً.⁵⁴⁶

ثم أفرد الكاشغري لكل قوم دراسة فنراه عند حديثه عن قوم "چيگيل" أنه يري أن الغز كانوا يطلقون كلمة "چيگيل" على أقوام الترك المنتشرة من نهر جيحون إلى الصين، ويوضح الكاشغري أهمية كلمة "چيگيل" بالنسبة إلى الغز بأن مدينة "جيكيل" المجاورة لمدينة (أوليا أتا) الحالية التي يسكنها فرع من فروع چيگيل لها حدود مشتركة مع الغز، وأن هؤلاء الغز قد وقفوا مبكراً على أسباب الحضارة بسبب وقوع هذه المدينة إلى أقصى الغرب من المدن التركية، وكان فرعان آخران من الچيگيل يعيشان في قريتين تقعان إلى جانب كاشغر وإلى جوار مدينة "قوباس" الواقعة في وادي نهر إيله.⁵⁴⁷

كما أورد الكاشغري ذكراً لقبائل "البنجاق"، وأضاف أنها سيطرت على منطقة "الكاشغر" وماجاورها، وذكر أن "البنجاق" لديهم طائفة من الألفاظ غير التركية يوجد بها حرف الهاء على الرغم من أن هذا الحرف في الأصل لا وجود له عند الترك.⁵⁴⁸

⁵⁴⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 1 ص 27، 28

⁵⁴⁶ محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 216، 217

⁵⁴⁷ و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، مصدر سابق، ص 74.

⁵⁴⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 85

وتحدث محمود الكاشغري عن قوم "ياغما" وأنهم استوطنوا – في عهده - شمال وادي نهر إيله (Ili) ويقول الكاشغري أن شعبي "تخسي" و"چيگيل" وشعوباً أخرى كانت تعيش كذلك في وادي نهر إيله، وذكر أن "چيگيل" و "ياغما" نقلوا مساكنهم نحو الشمال.⁵⁴⁹

أما عند حديثه عن القارلوق فذكر أنهم بدو؛ ويطلق عليهم مثل الغز بالتركمان، ويوضح الكاشغري أنه لا يمكن عد قبائل "القارلوق" من الأتراك الغربيين.⁵⁵⁰

كما تحدث عن قبائل "باصمیلر" وذكر أنهم قد استمروا في حياة التنقل والترحال في منطقة قريبة من القبائل المسلمة وغير المسلمة كالأويغور والياباقولر وجوموللر، كما أنهم شنوا غارات حربية على قبائل "يياقون"، أما عن مسألة كون هذه القبائل ذات لغات ولهجات مشتقة من التركية الكاشغرية، فسواء كان أصلهم ينحدر من المغول ثم بعد ذلك تتركوا مع قبائل "قبارلر" التترية أو أن أصلهم ينحدر إلى سلالات تركية خالصة مثل جومول - وباباقو؛ فإن الباصمیلر قد اندمجوا في القرن الحادي عشر الميلادي مع أتراك الشرق جميعاً واستمسكوا بأعرافهم وتقاليدهم، ويفهم من هذا أنهم أصبحوا يملكون زمام بعض اللهجات المتميزة الخاصة بهم فضلاً عن اللهجة التركية الكاشغرية.⁵⁵¹

ومن الأقوام أيضاً التي ذكرها الكاشغري قوم "ياباقو" وذكر أنها من الأقوام التركية غير الخالصة، ويذكر أن هذه الأقوام كانت تجيد اللغة التركية إلى جانب لغاتها ثم يدخل الكاشغري (الباسمیل) في جملة هذه الأقوام، ومذكور في نقوش أورخون أن "باسمیل" هؤلاء كانوا يعيشون بجوار مدينة (يش باليق) في المكان الذي سكنه الأويغور فيما بعد بشرقي تركستان.⁵⁵²

549 و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص 74.

550 محمد فؤاد كوبريلي : المتصوفة الأولون في الأدب التركي , مصدر سابق , ص 222

551 محمد فؤاد كوبريلي : المصدر السابق , ص 216

552 و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص 95

ونجد أن كلمة "باسميل" في النسخة المطبوعة من ديوان لغات الترك قد وردت بالياء (سيمل).⁵⁵³

تحدث أيضاً الكاشغري عن قوم التتار، ومن المعروف أن المغول كانوا يسمون أنفسهم فيما بعد

بهذا الاسم الوارد في نقوش أورخون.⁵⁵⁴

• ذكر بعض الأماكن والمدن :

ذكر الكاشغري في "ديوان لغات الترك" بعض المدن والأماكن في القرن الحادي عشر

الميلادي، فتحدث عن مدينة "سجباب"، والتي عرفت بمدينة البياض كما سميت مدينة "سيرام"⁵⁵⁵، وذكر

مدينة "سمرقند" ويرى أن اشتقاق الكلمة يرجع إلى "سه ميزكنت" أي المدينة الغنية.⁵⁵⁶

وتحدث كذلك عن مدينة "التانگوت" وذكر أنه كان يوجد بين الصين وبلاد التانگوت مدينة تحمل

اسماً تركياً عجباً هو (قاتون سيتي)، (قادينك صورتی) أي صورة المرأة، ولم يوضح هذا الاسم ولم

يعرف هل تنسب المدينة إلى صورة خالصة أم هل تنسب إلي تمثال، غير أنه يصور حرباً قامت بين

تانگوت وبين أهالي قاتون سيتي، وانتهت غالباً بهزيمة التانگوت.⁵⁵⁷

وتحدث عن مدينة "صيغون صامور" ويرى أن بغراخان قد مات بتلك المدينة مسموماً، ولكنه لا

يذكر أي بغراخان.⁵⁵⁸

كما أشار إلى منطقة تركستان وأطلق عليها أرض الأكراد وجعل حدودها أرض العراقيين

وأرض خراسان وأذربيجان والشام ومصر.⁵⁵⁹

⁵⁵³ و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، مصدر سابق ، ص 95

⁵⁵⁴ و. بارتولد : المصدر السابق ، ص 96

⁵⁵⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج3 ص 133

⁵⁵⁶ و. بارتولد : المصدر السابق ، ص 84

⁵⁵⁷ و. بارتولد : المصدر السابق ، ص 98

⁵⁵⁸ و. بارتولد : المصدر السابق ، ص 98

⁵⁵⁹ Ahmet Caferoğlu : Kâşgarlı Mahmut, istanbul, 1970, S.32

أما عن الأماكن فقد أشار الكاشغري إلى "آرغو" وهو يطلق على الممر بين الجبلين، وهو يقع بين

سلسلة جبال (آلكساندر وفسكي) = (جو - طالاس) وسلسلة جبال (جو-ايله).⁵⁶⁰

وذكر أيضاً قلعة قريبة من بالاساغون اسمها "شو" بناها ملك اسمه (شو) ويقال إنه كان معاصراً

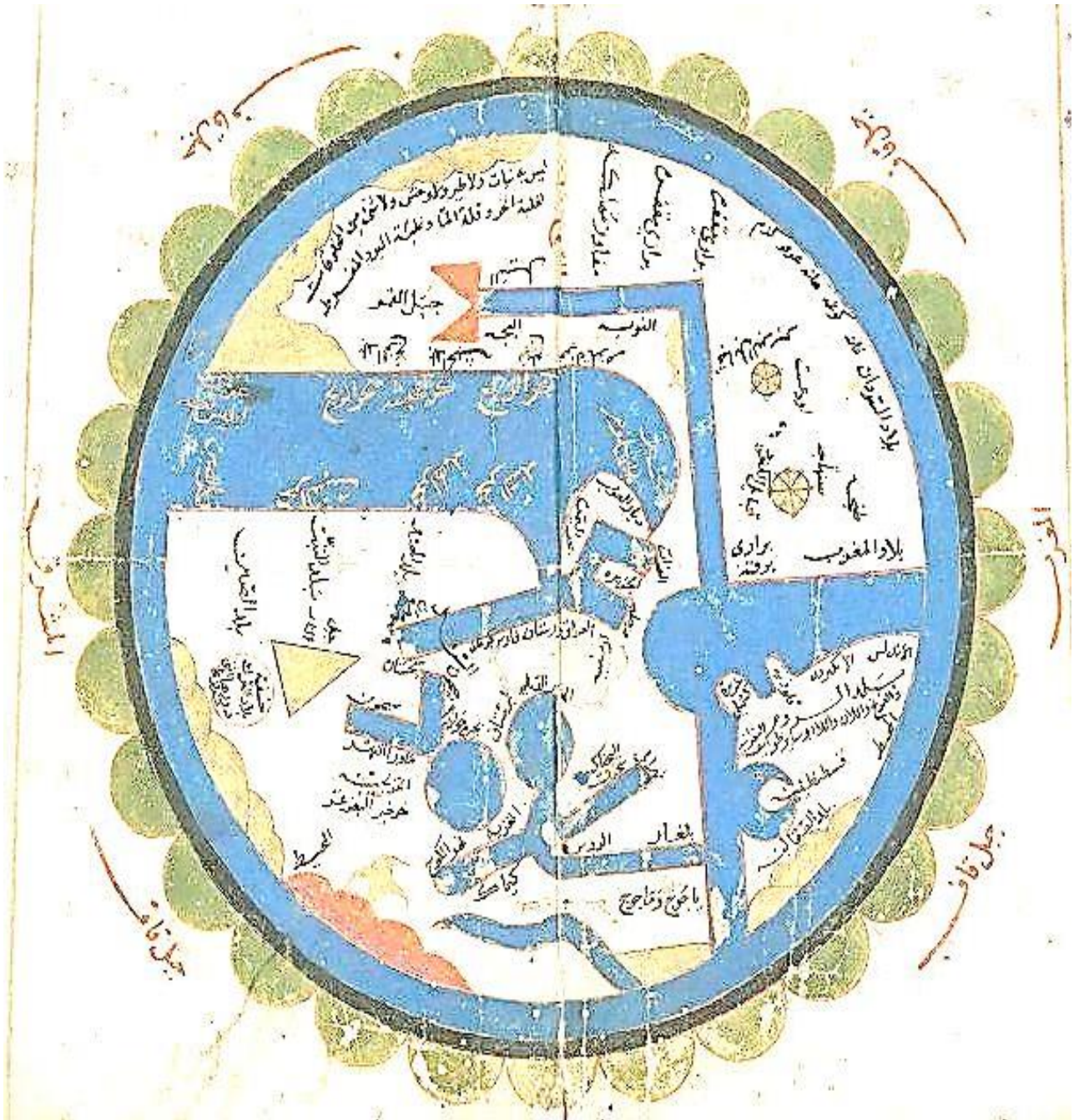
للإسكندر الأكبر.⁵⁶¹

⁵⁶⁰ و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى , مصدر سابق , ص 81

⁵⁶¹ و. بارتولد : المصدر السابق , ص 79

• خريطة العالم :

ضمن الكاشغري مؤلفه خريطة للعالم وهي موجودة الآن في المكتبة الوطنية في استانبول، وقد رُسمت بحيث يكون الشرق في أعلى الخريطة، وجعل الكاشغري مدينة كاشغر مركزاً للعالم وجعل تلك الخريطة مستديرة، وأظهر الجبال بها باللون الأحمر والبحار باللون الأخضر والرمال باللون الأصفر والأنهار باللون الأزرق.⁵⁶²



• الحرب :

أورد الكاشغري ذكراً لبعض الحروب منها كما ذكرنا الحرب التي دارت رحاها بين "قاتون سيني" وقبائل التانجوت، وأورد ملحمة أخرى في الحرب التي وقعت بين الترك المسلمين والأويغور والبوذيين⁵⁶³، وثمة ملحمة ثالثة بين الترك الوثنيين والترك المسلمين، فذكر موقعة حربية بين المسلمين والكفار ترتبط هذه الموقعة باسم (ياباقو)، وكان عدد جند المسلمين في تلك الواقعة أربعين ألفاً تحت قيادة (أرسلان تكين) وعدد الكفار سبعمئة ألف بقيادة بوكه بودراج (Bugue – Boudratch) وانتهت بنصر المسلمين، وقد عبر المسلمون أثناء انطلاقهم إلى تلك الموقعة نهر (إيله) فنهر (يامار).⁵⁶⁴

وقد كثرت الأساطير عن هذه المعركة، وخاصة ما يتصل بالمبالغة في أعداد الكفار الذين اشتركوا فيها فهو عدد أسطوري، ولكن قد كثرت الأرقام الخيالية في حروب البدو.⁵⁶⁵

وسأل محمود الكاشغري الذي شاهد تلك الحروب، وقال الكاشغري كيف وقعت الدِّبْرَةُ⁵⁶⁶ علي الكفرة مع كثرة جموعهم فقال الذي شاهد الحرب ونحن أيضاً عجبنا من ذلك، وسألنا الكفرة وقلنا لهم كيف انهزمتم مع هذا الجمع العظيم ، فقالوا لما ضربت الطبول رأينا بحذاء رؤوسنا جبلاً أخضر قد سد الأفق وفيه أبواب لا تحصي كثرة ، كلها مفتوحة ترمي إلينا بشرر من النيران، فدهشنا من ذلك حتي غلبتمونا، وقلت وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الباقية في جموع المسلمين.⁵⁶⁷

⁵⁶³ محمد فؤاد كوبريلي : تاريخ الأدب التركي ، مصدر سابق ، ص 243

⁵⁶⁴ و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، مصدر سابق ، ص 95

⁵⁶⁵ و. بارتولد المصدر السابق ، ص 95

⁵⁶⁶ الدبيرة : الهزيمة في القتال.

⁵⁶⁷ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 173

ونجد في سرد الكاشغري لتلك الموقعة أنه فسر معنى كلمة "بكا" فروي أن معناها الثعبان العظيم ، وتطلق أيضاً علي الأبطال كما كان يسمى عظيم من عظماء يياقو "بكاؤدرج"، فذكر الكاشغري أن "أرسلان تكين" ومعه أربعين ألفاً من المسلمين قد هزموا (بكاؤدرج) ومعه سبعمائة ألف من الكفار⁵⁶⁸.

• الحكايات :

أورد الكاشغري أيضاً في ديوانه حكايات مثل الحكاية التي ذكرها في أصل تسمية تركمان ، فقد روى أن ذا القرنين لما جاوز "سمرقند" وقصد بلاد الترك وكان يومئذ ملك الترك فتى يسمى "شو" صاحب جيش عظيم، فقيل له إن ذا القرنين قد قرب ، أنحارب معه أم كيف تأمرنا ؟، وكان "شو" قد بعث إلى شطِ وادي "خجند" أربعين من جنوده ليكونوا طليعة ويخبروا بعبوره وهذه السرية كانت قد مرت من غير أن يشعر بها أحد من عسكر هذا الملك، والملك كان فارغ القلب لتلك الطليعة فلما قيل له أنحارب؟، كانت له بركة من فضة يحملها في أسفاره ويملؤها ماء ثم يخوض فيها البط والأوز، فأجابهم وقال أبصروا هذا البط والأوز كيف تغوص فيها، فاشتعل قلوب القوم وظنوا أنه لم يتأهب للحرب، فعبر ذو القرنين فجاءت الطلائع إليه ليلاً وأخبروه بعبوره فضرب الطبل ليلاً وسار نحو الشرق فوقع الهزاهز لما سار ملكهم من غير أهبة لهم في المسير، فمن وجد مركوباً ألقى نفسه عليه ومضى مع الملك فأخذ هذا دابة ذاك وأخذ ذاك دابة هذا، فلما أصبحوا كان المعسكر قاعاً صفصفاً، فلما مضى الملك وجنده بقي منهم اثنان وعشرون نفساً مع أهلهم، وقد التقوا برجلين قد حملا الأثقال على ظهورهما ومعهما أهلهم وقد تعبوا وعرقا من الحمل فلقياً هؤلاء القوم فتكلما معهم، فقال الاثنان والعشرون يا رجلان إن ذا القرنين مسافر لا يلبث في موضع فيمر عنا ونبقى نحن في أرضنا فقالوا لهما بالتركية (قال آج) أي (يا هذا أمكثا وإبقيا)، وهم من أطلق عليهم بعد ذلك "خلج"، وهذا أصل الخلجية وهم قبيلتان، فلما جاء ذو القرنين فرأى هذه الطائفة من الناس ذات شعور وعلامات الترك بهم فقال قبل أن يسأل " تُركمان آند" أي : هؤلاء

مشابهون للترك، فبقى هذا الاسم إلى يومنا هذا، وهم في الأصل أربع وعشرون قبيلة إلا أن القبيلتين من الخلبية انفردتا عنها ببعض الأشياء فلذلك لا تعدان منهم، هذا هو الأصل⁵⁶⁹.

هذه الحكاية في أصل تسمية "تركمان"، كذلك عرض لنا الكاشغري معنى كلمة (أكا) من خلال حكاية أخرى، فذكر أن معنى كلمة (أكا) من كان ذا عقل و سن، ولتلك الكلمة أصل فيروي الكاشغري أن ذا القرنين لما وصل إلى الصين بعث إليه ملك الترك سرية كلهم شباب ليقاتلوه، فقال له الوزير إنك بعثت إليه الشُّبان وكان يجب أن يكون معهم رجل كهل ذو سن مُجَرَّب للحروب، فقال (أكا) معناه "أكهل" فقال بلى، فبعث رجلاً كهلاً مع الطلائع إلى ذي القرنين فهزموهم، وتتبع واحداً من الترك رجلاً من عسكر ذي القرنين حتى قطعه إلى سُرَّتِهِ، وكان المقتول في وسطه هيميان وفيه الدنانير، فانشق الهميان وانصبت الدنانير المخلوطة بالدم، فقال بعضهم لبعض ما هذا، فقالوا "التن قان" معناه "ذهب ودم" فَسُمِيَ طود هناك عظيم بذلك الاسم، وهو جبل حوله كثير من أهل الوبر قرب "أويغور" فصالحه بعد ذلك ذو القرنين⁵⁷⁰.

هذا كان عرضاً لبعض الحكايات وسنتطرق الآن إلى بعض الأمثال التي عرضها الكاشغري.

• الأمثال :

أورد الكاشغري في كتابه "ديوان لغات الترك" الكثير من الأمثال، وسوف نورد ذكرًا لما يقابلها في العربية ما أمكننا ذلك، وسنقوم بذكر بعضها :

• العتبة تصير عقبة للكسلان⁵⁷¹.

• إن كان القانص عارف بحيل الاقتناص فإن الدب أيضاً عارف بطرق الفرار⁵⁷².

¹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 3 ص 305 ، 307

⁵⁷⁰ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 84 ، ص 85

⁵⁷¹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 45

⁵⁷² محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 61

- "ظل السحابة يكون حملاً على الكسلان" ⁵⁷³.
- "من لا يقدر على عض الحجارة فليقبلها " .
- يضرب هذا المثل فيمن يؤمر في أمره بالرفعه لينال مقصوده ⁵⁷⁴.
- "من لم يعطك الماء فاسقه اللبن" ⁵⁷⁵.
- أي جاز بالإحسان لمن أساء إليك، وهو يماثل المثل العربي "أحسن لمن أساء إليك"، وكذا يماثل المثل العربي : "من أساء لك أحسن إليه ولو بالدعاء" ⁵⁷⁶.
- "إذا أكل الفم استحت العين" .
- وهو يماثل المثل العربي "أطعم الفم تستحي العين"، يضرب فيمن يأكل هدية غيره فيستحي أن لا يقضي حاجته بعدها. ⁵⁷⁷
- "الدائن كالأسد في صولته والمديون كالفارة من خوف نزل به" ⁵⁷⁸.
- "لا عجلة في السلامة " .
- وهو يماثل المثل العربي "في التاني السلامة وفي العجلة الندامة"، يضرب هذا فيمن يؤمر بالتأني في الأمور ⁵⁷⁹.
- "إن مال الغير لا يعد مالاً وإن كان في يدك لأنه يسترد" ⁵⁸⁰ .
- "رأس المنقبة اللسان فمن عرف حُسن الكلام ينال به الشرف" ⁵⁸¹ ، ويمائل في المثل العربي :
"السانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك " .

⁵⁷³ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 123

⁵⁷⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 144

⁵⁷⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 187

⁵⁷⁶ هبة محرز : تجوال في دنيا الأمثال ، ط 1 ، دار جامعة طنطا ، 2010م ، ص 236.

⁵⁷⁷ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 55

⁵⁷⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 72

⁵⁷⁹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 73

⁵⁸⁰ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 91

⁵⁸¹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 ، ص 98

- "الأصابع الخمسة غير مستوية ، فكذاك الناس متفاوتون⁵⁸² " , ويمائل المثل العربي "صوابك مش زى بعضها".
- "الفرس لا تقدر مجاوزة العقبة حتى تَقْضِمَ الشعير فكذاك البطل لا يقدر كسر صف الحرب إلا بظهير يعاونه⁵⁸³ " .
- "إذا سمعت الأذن الكلام يعرفه القلب، وإذا رأت العين محبوبها هاج الشوق⁵⁸⁴ " , ويمائل المثل العربي "البعيد عن العين بعيد عن القلب".
- "إذا كان الإنسان حيًا سالمًا يرى العجائب كثيرًا⁵⁸⁵ , ويمائله في المثل العربي : "اللى يعيش ياما يشوف , واللى يمشى يشوف أكثر".
- "يمضي الزمان ولا يشعر به الإنسان وابن آدم لا يعيش مخلدًا⁵⁸⁶ " , ويمائله في المثل العربي : "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك".
- "من أعد السلاح لعدوه يجد مُهْرًا ومن نسى الاستعداد يصير أسيرًا " , ويمائله في المثل العربي : "تذأبوا قبل أن تأكلكم الذئاب" , يقصد الاستعداد في الأمور⁵⁸⁷.
- " البعوض العجول يقع في اللبن فيهلك. " يضرب هذا من يؤمر بترك العجلة في الأمور⁵⁸⁸.
- "ولد الهرة يموء مواء أمه. " يضرب هذا في فتى تَقَلُّ بأبيه في الخلق⁵⁸⁹ , ويمائله في المثل العربى : "من شابه أباه فما ظلم".⁵⁹⁰

⁵⁸² محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك , مصدر سابق , ج 1 , ص 109

⁵⁸³ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 111

⁵⁸⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 182

⁵⁸⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 60

⁵⁸⁶ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 46

⁵⁸⁷ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 185

⁵⁸⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : المصدر السابق , ج 1 , ص 12

- "ما لم تُغرس الشجرة لا تنبت".⁵⁹¹
- "اطرح المعروف و،لق الإحسان إلى الناس في أسفل الماء تراه طافياً على رأس الماء"⁵⁹² , ويمثله في المثل العربي : "اعمل المعروف وارميه في البحر " .
- " لا يُغسلُ الدم بالدم. "
- أي لا تسكن الفتنة بفتنة مثلها ولكن بالصلح.⁵⁹³
- "من خاف من شيء يرى من فَرْقَةٍ رأس كل شاة زوجين."
- يضرب هذا فيمن خاف من شيء ، يثب كل ساعة إذا رأى خيال ذلك.⁵⁹⁴
- " الفارة التي وُلدت في الطاحون لا تخاف من الرعد." ⁵⁹⁵
- يضرب هذا فيمن قاسى من الأمور الصعاب ثم يخوف بشيء منها.⁵⁹⁶
- " قد تنزل على المرء المحنة كما يضرب الريح أنف الجبل ثم تزول عنه كما يزول الريح عن الرَعْن والرَعْنُ على حاله." ⁵⁹⁷
- "الأحاد إذا اجتمعت يصير منها الألف كما إذا توالى يمتلئ منه الغدير, يضرب فيمن يؤمر بقبول الشيء وإن قل "⁵⁹⁸, ويمثله في المثل العربي : " من رضي بقليله عاش " .
- " لا يعطي الله للبقر النطوح قرناً " .

⁵⁸⁹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 , ص 13

⁵⁹⁰ هبة محرز : تجوال في دنيا الأمثال , مصدر سابق , ص 108.

⁵⁹¹ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق , ج 1 , ص 18

⁵⁹² محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 , ص 89

⁵⁹³ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ج 1 , ص 49

⁵⁹⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 91

⁵⁹⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 210

⁵⁹⁶ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 3 , ص 210

⁵⁹⁷ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 266

⁵⁹⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 266

ويمثله في المثل العربي : "لا يرى القحف* عدله", يضرب فيمن يرى عملاً فلا يناله لأنه إذا وجده تأذى الناس به⁵⁹⁹.

• " إذا أعطى الرجل المهر يجد العروس بكرًا، وإذا كان يطلب شيئاً وهو محتاج إليه لابد أن يشتريه غالباً⁶⁰⁰, ويمثله في المثل العربي : "الغالي ثمنه فيه".

• " الأحباء إذا بعدوا عن العين يبعد حبهم أيضاً من القلب"⁶⁰¹, ويمثله في المثل العربي : "البعيد عن العين بعيد عن القلب".

• " لا يصيح البط الفرد الوحيد "

يضرب هذا فيمن يؤمر بالاستعانة في أمره بغيره.⁶⁰²

• " إن ابن آدم يفنى بالموت ويبقى ذكره واسمه إذا كان خيراً محسناً. "

يضرب فيمن يؤمر باكتساب الخير⁶⁰³ .

• " إذا ذهب المسك من جرابه لا يذهب ريحه", ويمثله في المثل العربي : "الورد مهما ذبل يظل عبيره فيه".

يضرب هذا في من ذهب نعمة وبقي شيء من أثر النعمة معه فإذا طُلب شيئاً مما يكون ذلك للمُنعم وجد عنده⁶⁰⁴.

• " إذا وقع العَيْرُ في البئر يصير الضفدع البري عليه فحلاً "⁶⁰⁵, ويمثله في المثل العربي: "إذا

وقع الثور كثرت سكاكينه", "إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه", "إذا وقعت البقرة كثرت

سكاكينها"⁶⁰⁶.

599 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 269

* القحف : القرموط الكبير .

600 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق, ج 1 , ص 275

601 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 271

602 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 284

603 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 284

604 محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق , ج 1 , ص 36

• " العجوز لا تعرف الرقص وتقول مكاني ضيق ."

يضرب هذا فيمن طلب منه شيء وعجز عن إبراز البرهان فيتعلل بعلّة كاذبة⁶⁰⁷.

• " بالحيلة يمكن صيد الأسد، وبالقوة لا يمكن اصطياد الفارة "

يضرب فيمن يؤمر بالتدرج في الأمور بالحيلة اللطيفة وترك المكافحة⁶⁰⁸.

هذا كان عرضاً لبعض الأمثال من كتاب " ديوان لغات الترك " وسنتطرق الآن إلى الأشعار التي

ذكرها الكاشغري في ذلك الديوان .

• الأشعار :

يتضمن ديوان لغات الترك منظومات من الشعر التركي القديم مثل الرباعيات، وتحمل بين

طياتها موسيقى داخلية، ومضمون هذه الأشعار شكوى من الزمان، ولا يعرف إلى أية عصر أو إلى أي

بيئة ترجع هذه الأشعار ولا من ناظمها ولا إلى أية لهجة تركية تعود تلك الأشعار، ويعتقد أنها ألّفت قبل

الإسلام، ثم انتشرت بين الأتراك المسلمين⁶⁰⁹، وكان معروف في الأدب أن الشكل الأول للنظم عبارة عن

مصراع واحد وقافية في بدايات الكلمات، وفي ديوان لغات الترك نماذج لهذه الأشعار مثل :

“Kutsuz kuzugha kurse kum yağar”

ومعناها :

“Uğursuz Kuyuya girse kum yağar”

⁶⁰⁵ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 88

⁶⁰⁶ هبة محرز : تجوال في دنيا الأمثال ، مصدر سابق ، ص 228.

⁶⁰⁷ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 195

⁶⁰⁸ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق، ج 1 ، ص 304

⁶⁰⁹ Nilhad Sami Banarlı : A.G.E, S. 255.

أي "لو تسقط الأمطار على بئر مشنوم فإنها تمطر رمالاً", فهذا القول عبارة عن مصراع واحد، والقافية هي "K" الموجودة في بداية كل كلمة⁶¹⁰.

ومن بين المنظومات الطويلة التي أوردها الكاشغري مرثية "آلب ارتونجه" وهو من حكام الأتراك الأوائل الذين أسسوا إمبراطورية كبيرة في طوران وحارب ملوك إيرن واليونان، مما جعل حياته ملحمة تتناقلها ألسنة الأتراك، وهي تحمل روحاً غنائية صادقة وتكاملاً في الشكل ونضجاً فكرياً وقدرة على التصوير وتتكون من تسع رباعيات⁶¹¹.

أورد الكاشغري أيضاً في ديوانه الكثير من الأشعار التي تصور مشاهد من الحياة مثل: اللهو وشرب الخمر والصيد، كما توجد أشعار الطبيعة التي تعبر عن روح حياة البداوة، وتصور العصر والبيئة التركية، وثمة أشعار تعليمية وأشعار غنائية ورثائية وأشعار في الثناء على الله، وأشعار في الأخلاق والفضيلة والبطولة والكرم والنصائح، وأشعار تصف الربيع والصيف، وأشعار تتعلق بوصف الحبيب، وكانت الأشعار بلهجات الأقوام التركية وليس من السهل معرفة إلى أية لهجة ترجع هذه الأشعار، فمنها ما هو منسوب إلى كوك تورك ولهجة الغز واللهجة الخاقانية وغيرهم من اللهجات التركية المختلفة⁶¹².

وسنقوم بعرض لبعض تلك الأشعار:

● من أشعار حمد الله وثنائه :

أحمد الله على نعمه و أجمع الفضل بكرمه

وأعقد قلبي على ذلك لأن قلبي ينطوي على المناقب والآداب⁶¹³

⁶¹⁰ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك", مصدر سابق, ص35

⁶¹¹ سنية محمد مصطفى (دكتور) : محمود الكاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك", مصدر سابق, ص35

⁶¹² Vasfi Mahir Kocatürk : Büyük Türk Edebiyatı Tarihi, Ankara, 1970, S.33.

⁶¹³ اذ مني أكرمني بلكني يُكر من

• أشعار الوعظ :

- تحب المال الموجود فأخرج به رويداً لعله يزول عنك
- ولا يبد به بطرا ولا تهتم لما فات من المال وتأسف عليه قليلاً لأن الحسرة لا ترد عليك.⁶¹⁴
- إذا أتاك بلاء وشدة فاصبر لذلك وقل أنه يمضي.
- وكن عالماً بأمور الزمان فلا تذهب نفسك إثر كل مصيبة جزئاً⁶¹⁵.
- إذا تبسم الإنسان بوجهك فتلقه أنت أيضاً بوجه طلق واحفظ لسانك حفظاً شديداً واطلب كلاماً حسناً في المقال⁶¹⁶.
- إذا دعاك الشيخ فأجب دعوته و عد إليه.
- وانظر أين ينزل القوم في عام القحط في نزل مهم.
- أي (وافق قومك في كل نائبة نزلت بهم)⁶¹⁷
- لا تعتمد ولا ترج خيراً من زهرة الربيع ونضارة ألوانه ولا تتكى على الماء فإن من اعتمد أن يتلذذ بنعم الدنيا ونسيم الربيع صار كمن يتكى على الماء ولا تستعد للشر وأخرج من لسانك كلاماً حسناً يرضاه الناس⁶¹⁸.
- لا يلتفت القوم إلى البخيل البغيض الكالح الوجه.

ج2, ص 192) 'نكلى تكرر من أرم أوز أثر لنور. (أنظر محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق

614 بلمش نكك سفر سن أقرن انكر سقنكل

ج3, ص 267) بر مش نكك سقنما أزراق انكر أكنكل (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق , ج3, ص 267)

615 كلسا قلى قيقلق آر تر تيو سرنكل

أذلك ايشن بلب ثرانجا انكر تر نكل (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق , ج3, ص 177)

616 كلسا كشي يزينا كركلك يزن كركل

يقلق كذز تلىكى آذ كوسف تلىكل (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق , ج3, ص 32)

617 أندب ألغ تبارو تفرق كلب يكر كل

فرغق يلن بذن كر قندا تشر قودى إل (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق , ج3, ص 50, 51)

618 ياي كر كىكا إننما

سفلر أزا تيمنا

تلدأ جقار آذ كوسوز. (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق , ج3, ص 120, 121)

فاكتسب يابني الحلم حتى يبقى اسمك لغد⁶¹⁹.

• أشعار الرثاء :

- يقول الكاشغري في رثاء رجل :

كان قواماً للأمور العظام ومطعاماً كثير الوضع للمائدة

بين زمهرير الشتاء فترك الرجال يرجون من خيرهِ وبرهِ⁶²⁰.

- و يرثي رجلاً آخر فيقول :

كان الرجل مزيقاً لطعامه راداً لجمع العدو

و لوأء لأعناقهم حتى صرعه الموت.⁶²¹

• أشعار الوصف :

- يقول الكاشغري في وصف أسير :

فسد أمره وأحرقت كل طائفة منهم قبائل الأخرى

وبعد ملاواة الأعناق أسير فأخذ فداؤه كأنه عبد يباع.⁶²²

- و يقول في وصف العدو :

لعله رجع من عزمه لأنه قد أتانا بريده وفي

بطن الوادي وغدوته يصطف الأبطال للقتال.⁶²³

619 بَقِمَس بُدْن سَفَكَ سُرْ
قَذَغْن إِلْح تُرْتَلَكْ
السابق , ج 2, ص 198
620 تُرْغَان أَلْغِ أَشْلَقَا
تُمْلَغْ قَبِرْ قِشْلَقَا
سابق , ج 2, ص 45
621 أَرْدَى أَشْبِن تَنْرُغَان
بُيْنِن تَنْبُ قَنْرُغَان
السابق , ج 2, ص 61
622 اِيْشَى اَنْكْ اِرْتَشَبْ
بُيْنِن اَلْب قَنْرْ شِبْ
سابق , ج 2, ص 172 , 173)
623 يَنْدَى اَرْنُجْ اَغْرَغَى
يُذْقَى يَذَى سَرْنَقَا
قَلْسُنْ جَفْنَكْ يَرْنَقَا (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، المصدر
تَرْكِي اَرْبْ أَشْلَقَا
قُدْتِي اَرْكْ اُمْدُرُو . (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر
يَقْلَقْ يَغْغْ قَنْرُغَان
بَسْتَى اَلْمْ اَغْتُرُو) (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، المصدر
أَغْرَقْ بَلَا اُرْتَشَبْ
تَنْغُنْ اَلْب قَلْ سِتَار (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، المصدر
كَلْدَى بَرُو تَغْرَغَى

• أشعار الحرب :

- صحت إلى أسفل الجبل وجمعت العشيرة بدعائي إياهم

حتى وترت القوس للعدو فراميته وحاربته.

فلما رأى الرجال من جندي تقنع رأسه وهرب ⁶²⁴.

- أسر العدو في يدي وقاسى من الشدائد حتى سئم الحياة

فندم وعير نفسه على ما فعل.

فالآن اشتد بعد رخاوة به ⁶²⁵.

• أشعار الحب ووصف الحبيب :

- نظر إليّ حبيبي وداوني بنظرة وأشار إليّ بالسلام فبقيت في أثره

فبرد قلبي من محن تصييني والحزن يضنيني ⁶²⁶.

- يظهر الحب المكتوم يوم الفراق

والعين الجرحية الدامعة لا تقدر على كتمان دمعها ⁶²⁷.

- عينه من سحرها يصيد بها ونفسه مسافر ووجهه كالبدر

فرماني ببصره وشق منه قلبي ⁶²⁸.

-
- أوزى فُيى أغرغى ألب لار قَمَغ تَرَكَشُور. (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق ج 3 ، ص 48)
- ⁶²⁴ قُدَى قَقْرَب أَغْش يَزْدِم يَغَى قَارَو كِرْش قُرْدُم
- تُقْش اجرا أُرْش بِرْدِم أَرْن كُورِب بِشَى يَغْدَى (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ، ج 2، ص 69)
- ⁶²⁵ تَبْدُومَنكَا أَلْدَى امكاك كرو أَلْدَى
- قَلْمَشَنكَا أَلْدَى تَتَغْن بَلْب أَل قَتَار (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى: ديوان لغات الترك، المصدر سابق ج 1، ص 177)
- ⁶²⁶ كُرْدَى مَنَى اَمَلْيُو بَقْتَى مَنكَا اَمَلْيُو
- قَلْدِم كُنْكَل تَمَلْيُو قَدَغُو مَنَى ثُرْغُور (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 218)
- ⁶²⁷ كِرْزَلَب تَنَر سَفْكَ لَك اذَرَش كُنَى بَلْكَرَاز بَشَلِغ كُرْكَ يَيَسَمَا ياشى اَنَك سَفَر قَار (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى : ديوان لغات الترك ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 135)
- ⁶²⁸ يَلْفِن اَنَك كُوزَى يَلْكِن اَنَك اوزى

- ذهب حبيبي مسافراً وإني عقدت قلبي على حبه

فكأنني ولعلني بقيت بعده للحرز⁶²⁹.

● أشعار المناظرة بين الصيف والشتاء :

يقول الشتاء للصيف :

- فيك تقوم العقارب والذباب والبق والديدان المؤذية للخلق والحيات.

فَتَعْقِدُ أذنانها وتَحْمِلُ على الخلق⁶³⁰.

● أشعار وصف الربيع :

- تَقَطَّرَتْ أنواع الزهر فكان بساط الديباج قد بسط

فَرَوَى أرض الجنة. فاعتدل الزمن حتى لا يعود البرد أبداً⁶³¹.

- جاء النسيم يتنسم، فيشبه ما هاجه من الريح والضباب الدَمَقَ.

فارتعد القوم من البرد، ورعدت السحابة السوداء⁶³².

- الطير والوحش كلها قد حَيَّيْتُ بعد الممات لما تنسمت أنفاس الربيع

فاجتمع الذكر والأنثى وصار قطعانا متفرقه فهي غير داخلة ثانياً إلى وجارها⁶³³.

يُردى منك يُوراك (انظر : محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات

تُولُن آين يُوزى

الترك ، المصدر السابق ج 3 ، ص 25)

629 يلكن بُلْب بَرْدَقى كُنْكَم أنكار بغليو

قُلْدِم أرنج قد عُقا إيشم اذو يَغْلِيو (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: ديوان لغات الترك، المصدر السابق، ج 3، ص 228)

قُدْغُو سنكك پلنلار

630 سندا قُبِر جَدَنلار

قُدْرُق يَكِب بُكْر شُور (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: ديوان لغات الترك ، مصدر

ذِك منك قيو قَمْن لار

سابق، ج 3، ص 271)

بِرَجَن يَدِم گرلدى

631 تَزْلَك جَجَك بَرلدى

تُمْلُغ يَنا كَلكو سُوَر (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: المصدر السابق، ج 1، ص 107، 108)

أَجْماق يَرى كُرلدى

قَاذَقا تَكَل أُسْنِيو

632 كَلدى أُسِن اسنيو

قَرائِلَت كُكْر شُور (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: المصدر السابق، ج 2، ص 176)

كِرْدى بُوُون قُسْنِيو

أر لِك تشى تيرلدى

633 قُش فُرْت قَمغ ترلدى

يَنقا يَنا كِر كُسُوَر (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: المصدر السابق ج 3 ، ص 4)

أُكُر أَلب ترلدى

- قُلَّ الجبال قد أحضرت من النبت حتى غمر النبت الطري الدويل الهميد وهو النبت العامي

وامتلأت الغدران بالماء حتى كادت أن تفيض، فخار الثور والبقر لذلك فرحاً⁶³⁴.

• أشعار وصف الصيف :

ومنها :

ذاب الثلج والجَمْدُ وتسايلت مياه الجبال

فنشأت السحابة الخضراء فتميد على الهواء كما يميد الزورق على الماء.⁶³⁵

بعد عرض بعض أبيات الشعر التي ورد ذكرها في "ديوان لغات الترك" بما تحتويه من موضوعات متنوعة نستطيع أن نقول إنها مفعمة بالغنائية العميقة الصادقة وبالحياة والذوق الفني الذي يتجلى في الأنغام المترنم بها على آلة العود، وهي تبرز كل خصائص حياة الترك من البدو الرحل .⁶³⁶

أنهى الكاشغري كتابه بتوضيح أنه قد أوفى في كتابه شرح لغات الترك وبين أصولها وشرح أقيستها ورتب فصولها، ونبذ من كتابه الزيادة واللغو والسقط والحشو، ثم حمد الله تعالى وصلى على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا عن محتوى "ديوان لغات الترك" وبعد أن تطرقنا إليه نستطيع الآن أن نتعرف منهج الكاشغري.

منهج الكاشغري :

استخدم محمود الكاشغري المنهج التقابلي في دراسة اللغة، فهو يقابل بين لغات الترك واللغة العربية، وذلك قبل نحو ثمانمائة عام من ظهور مناهج دراسة اللغة في أوروبا التي بدأت تتطور في القرن التاسع عشر الميلادي .

⁶³⁴ أَلِنْ تُبُو بِشَرْدَى
أُرْتُ أَتِنْ بِشَرْدَى
سِيغَرُ بُقَا مُنْكَرَ شُور (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: المصدر السابق، ج 2، ص 66)

⁶³⁵ كُولُ نَكْ سَفِينْ كُشَرْدَى
فَارْ بُوزْ قَمْعُ أَرُشْدَى
تَغْلَارْ سَبْفَى أَقْشْدَى

⁶³⁶ كُكْشِينَ بِلْتِ أَرُشْدَى
فَيَغَقْ بُلْبُ أَكَرْشُور (انظر: محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: مصدر سابق، ج 1، ص 162)

محمد فؤاد كوبريلي: ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم العزب: تاريخ الأدب التركي، مصدر سابق، ص 244

أما عن خصائص أسلوب محمود الكاشغري :

يمكننا أن نوجز أهم السمات والخصائص الأسلوبية فيما يلي :

- تأثره بأصول التأليف في المصنفات العربية حيث بدأ بالبسملة وبحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثمة تناص قرآني وكذا من الأحاديث النبوية الشريفة، فمن الآيات القرآنية التي ذكرها في كتابه قول الله تعالى :

- "لنسفعا بالناصية". (العلق:15)⁶³⁷

- "وما رب العالمين".⁶³⁸ (الشعراء:26)

- "وكلم الله موسى تكليماً".⁶³⁹ (النساء:164)

- "وقد خاب من دساها"⁶⁴⁰. (الشمس:10)

- "وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه"⁶⁴¹. (الفجر:15)

- "ثم ذهب إلى أهله يتمطى"⁶⁴². (القيامة:33)

- "إن مع العسر يسراً"⁶⁴³. (الشرح:6)

أما بالنسبة إلى الأحاديث فقد استشهد بأحاديث نبوية ضعيفة السند تحت على تعلم اللغة التركية، فذكر الكاشغري أنه سمع عن ثقات من أئمة بخارى وإمام آخر من أهل نيسابور كلاهما رويًا بإسناد لهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكر أشراف الساعة وفتن آخر الزمان وخروج الترك الغزية فقال "تعلموا لسان الترك فإن لهم ملكاً طوالاً"، ونجد أن الكاشغري لا يعلم إذا كان هذا

⁶³⁷ القرآن الكريم : سورة العلق , الآية 15

⁶³⁸ القرآن الكريم : سورة الشعراء , الآية 26

⁶³⁹ القرآن الكريم : سورة النساء , الآية 164

⁶⁴⁰ القرآن الكريم : سورة الشمس , الآية 10.

⁶⁴¹ القرآن الكريم :سورة الفجر , الآية 15.

⁶⁴² القرآن الكريم :سورة القيامة , الآية 33.

⁶⁴³ القرآن الكريم :سورة الشرح , الآية 6

الحديث صحيحًا أم لا فقال في هذا إن صح هذا الحديث فيكون تعلمه واجبًا وإذا لم يصح فالعقل يقتضيه⁶⁴⁴.

وهذا الحديث ليس صحيحًا، أما الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحث على تعلم اللغات الأخرى ما رواه أبو داود والترمذي في السنن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب يهود"، أي تعلم له اللغة السريانية التي هي لغة التوراة والإنجيل، وقال صلوات الله وسلامه عليه : "إني والله ما آمن يهود على كتابي"، قال زيد : "فتعلمته فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته أي عرفته وأتقنته، فكنت أكتب إليه إذا كتب وأقرأ له إذا كُتب إليه"، أما عن تحليل هذا الحديث فهو يحث على تعلم اللغات الأجنبية لمعرفة لغة القوم الآخرين والأمن من مكرهم وخبثهم، ويجب عدم الإكتفاء بالترجمين الأجانب الذين يعرفون لغتنا العربية، بل يجب أن يكون المترجم من جلدتنا ومن المخلصين في ديننا، ويلزم اختيار المترجمين من الحذاق والأذكياء، لذلك اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت لقوة حفظه وعلمه بعلم الفرائض (علم المواريث) الذي فيه ما فيه من عمليات الرياضيات التي تدل على انفتاح الذهن وحدة ذكائه، ونجد أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا زيد ليس أول مرة، بل كان يبعث سيدنا دحية الكلبي إلى الروم ويتكلم بلغتهم، وكان يرسل من الصحابة أيضًا إلى فارس، وآخر إلى الأقباط ويتكلمون بلغاتهم ، وينتقي رسول الله منهم أعلمهم بلغتهم وحضارتهم.⁶⁴⁵

أما من الأحاديث الصحيحة التي ذكرها الكاشغري هذا الحديث الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما زالت أكلة خيبر تعاودني في كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى".⁶⁴⁶*

⁶⁴⁴ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ، ص 3
⁶⁴⁵ سنن الترمذي - كتاب الاستئذان والأدب - باب ماجاء في تعليم السريانية (انظر: islam web. Net)

⁶⁴⁶ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري : ديوان لغات الترك ، مصدر سابق ج 1 ، ص 68
* ثبت في الصحيحين عن أنس : أن امرأة يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة ، فأكل منها فجئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك : فقالت أردت لأقتلك ، قال : ما كان الله ليسطك على ذاك ، قالوا : ألا نقتلها ؟ قال لا ، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلة بخيبر ، فهذا أوان

- نظم مؤلفه في الوزن العروضي العربي .

- استعان في أسلوبه بالكثير من الأمثال والمواعظ والحكم وكذا الأقوال العربية المأثورة .

والخلاصة أن ثمة تناسلاً قرآنياً وتناسلاً للأحاديث النبوية الشريفة وكذا الأمثال والحكم والمواعظ التي أوردها الكاشغري في كتابه "ديوان لغات الترك"، مستفيداً من النص العربي في شتى معالمه، وهذا يدل على أن محمود الكاشغري كان له باع كبير في الاستفادة من الثقافة العربية والتراث الإسلامي .

هذا عن أسلوب محمود الكاشغري ومؤلفه "ديوان لغات الترك" وفي النهاية نستطيع أن نقول إن الكاشغري قد قدم كتابه "ديوان لغات الترك" بأسلوب قوي رصين بعيد كل البعد عن التعقيد، ونقل إلى المؤلفات التركية نصوصاً ومأثورات وأمثال شعبية مستفيداً من المصادر العربية، وهو ما يُعرف في مجال دراسة الأدب بـ "التناص الأدبي"، وهو منقسم إلى تناص قرآني وتناص للأحاديث النبوية، وكذا الأمثال والحكم والمواعظ التي أوردها في "ديوان لغات الترك"، ومن خلال هذا المؤلف يتبين لنا أن هذه المنطقة التي نشأ فيها محمود الكاشغري كان يسودها اللغة الأويغورية وانبثقت عنها لهجات القبائل الكثيرة التي عاشت في منطقة التركستان، وقد عكس لنا "محمود الكاشغري" حياة الترك في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ورسم لنا صورة كاملة للأتراك في موطنهم الأصلي وهو منطقة التركستان ووسط آسيا، ولذا فقد حظى الكاشغري ولا زال يحظى بسبب كتابه هذا باهتمام العلماء والباحثين، ونظراً لمكانة الكاشغري العظيمة نجد أن العالم التركي قد احتفل في نهاية عام 2008م بذكرى مرور ألف عام على ميلاده وقد سُمي هذا العام في تركيا باسم عام محمود الكاشغري⁶⁴⁷.

وبعد دراسة الباحثة لأهم الأدباء والعلماء في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) يتضح لنا اهتمام الأتراك باللغة العربية لغة القرآن الكريم، فقد عكفوا على دراستها ودراسة علوم القرآن

وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم ، وروى بن السنن وأبو نعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " مازالت أكلت خبير تعودنى في كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى " صححه الألباني في صحيح الجامع.

⁶⁴⁷ Yakup Deliömer Oğlu : Gök bayrak, kaşgarlı Mahmut, 2008, S.10

والأحاديث النبوية الشريفة, وكُتبت أولى المؤلفات الإسلامية في حقول الثقافة والفن والأدب, وكذلك نجد أن العرائض وحجج الأملاك قد كُتبت باللغة العربية, وكذا كُتبت على المسكوكات كما ذكرنا آنفاً.

وفي النهاية نستطيع أن نقول إن الدولة القراخانية شهدت نهضة أدبية وحضارية, وكان غالبية السلاطين يتميزون برعاية العلماء والأدباء ويتذوقون الأدب والشعر.

الخاتمة

الخاتمة

بعد استعراض أبواب وفصول الدراسة والوقوف على أهمية منطقة التركستان الشرقية الحضارية والأدبية، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- تُعد التركستان الشرقية من أهم المناطق الجغرافية التي تقع في شمال غرب الصين ومن أكبر أقاليمها ، فهي من المراكز التجارية العالمية التي يَمُرُّ بها طريق الحرير، الذي يعد طريقًا تجاريًا يربط الشرق بالغرب، ولذا فمن أهم الأسباب التي دفعت الصين للسيطرة على منطقة التركستان الشرقية هو موقعها الإستراتيجي وثرواتها الكثيرة، ويبدل الحكم الصيني الشيوعي ما في وسعه من جهد للتهجير الصيني البوذي المكثف إلى التركستان الشرقية التي تعد من أهم المناطق التي يسكنها الأويغور المسلمون، وكذا تسعى الصين لإضعاف الدين الإسلامي باعتباره أهم المكونات الثقافية والحضارية للهوية التركسانية، فهي تشن حملات ضد الدين، وتمنع ممارسة العبادات والدعوة للدين الإسلامي، ولكن الشعب التركي في تركستان الشرقية لا زال يحافظ على هويته الإسلامية، ولا يكف عن الثورة والمطالبة بالإستقلال، ويقاوم الغزو الصيني بانتفاضات عديدة .

- ازدهرت الحضارة التركية و الحياة الأدبية في الدولة القراخانية خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، واتسعت رقعة الدولة القراخانية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد، وامتدت من حدود الصين إلى فرغانة وتاركان وبخارى، ودامت حتى منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حتى سقطت الدولة الشرقية عام 1128م علي يد القراخطاي، بينما انتهت الدولة القراخانية الغربية عام (536 هـ - 1141م) عقب هزيمة الجيش القراخاني والسلجوقي في معركة قطوان أمام القراخطاي، ونستطيع القول: إن سبب انهيار الدولة القراخانية الشرقية والغربية يَتمثلُ في النزاعات الداخلية بين حُكَّام الدولة الذي استغله الغزنويون، وكذا استغله سلاطين السلاجقة إلى أن سقطت الدولة القراخانية، وانتقل نفوذها إلى "قراخطاي" التركي الوثني.

- ثمة اختلاف كبير حول أصل الأتراك القراخانيين، ولكن الأرجح هو انتمائهم إلى الأويغور وذلك لأن قبائل القارلوق والياغما والجيگيل قد اتحدوا مع الأويغور و بأسرها قبائل تركية .

- تمتعت الدولة القراخانية بحضارة إسلامية عظيمة تتمثل في نظم الإدارة والعمارة والحياة الاقتصادية من صناعة وزراعة وتجارة، والحياة الاجتماعية والحياة الثقافية والدينية، وعلى وجه الخصوص في مدينتي "كاشغر" و"بالاساغون"، ونجد أن تلك الحضارة نشأت في ظل الإسلام وظلت في خدمته وساعدت على انتشاره في هذه المناطق.

- يعد عصر الدولة القراخانية العصر الذهبي للدعوة الإسلامية؛ حيث ظهر فيه كبار العلماء أمثال: البخاري والترمذي والنسائي والفارابي والبيروني وابن سينا وآخرين لا حصر لهم، وقد اهتم بهم سلاطين الدولة القراخانية، فتوافدوا على مجالسهم في حلقات الدروس للإستماع إليهم، فكانوا يقدرونهم حق تقدير ويعلمون من شأنهم.

- يُعدُّ عصر الدولة القراخانية العصر الذهبي للأدب التركي؛ ففي عام 935م انبثق الأدب الإسلامي التركي إلى الوجود، وذلك بعد أن أسلم السلطان ساتوق بوغراخان، فشهدت هذه الفترة اعتناق الأتراك الدين الإسلامي، وبداية انتقالهم من ثقافة البداوة إلى ثقافة التحضر والمدنية، ففي العصور التي سبقت اعتناق الأتراك للإسلام لم تستطع الأديان التي آمنوا بها أن تُحدث تغييرًا أساسيًا في حياتهم، ولم تؤثر في اللغة أو الأدب التركي، بينما كان لاعتناق الأتراك الدين الإسلامي أثرٌ كبيرٌ في الفكر ونمط الحياة، حيث أقبل الأتراك على الجوامع والمدارس لتعلُّم أمور دينهم ودراسة علومه من فقه وحديث، ونظموا حياتهم بالشكل الذي ينسجم مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، وبدأ الأدباء الأتراك يصنفون المصنفات في ظل الثقافة الإسلامية وباللغة العربية أو الفارسية، أو باللغة التركية؛ التي تحوي الكثير من كلمات هاتين اللغتين، ووجد العلماء والكتّاب الأتراك أنفسهم أمام كمٍّ هائل من المفاهيم الفكرية والعلمية الجديدة التي تخص العقيدة الإسلامية والفقه والحديث الشريف، وترجمت معاني القرآن الكريم

لأول مرة إلى اللغة التركية, فأصبح الأدب التركي في القرن الحادي عشر أدباً دينياً صوفياً, وذلك نظراً لتأثره بالأدب العربي والفارسي, والمُتَّبِعُ للحركة الصوفية في القرن الخامس الهجري يلاحظ أن صوفية تلك الفترة أخذوا يستقرون في التَّكَايا الصوفية التي بدأت في الانتشار في القرن الرابع الهجري, وزاد انتشارها في أوائل القرن الخامس الهجري حتى عَمَّتْ جميع أرجاء العالم الإسلامي, وكان من المُتَّبِع في هذه التَّكَايا الصوفية إقامة حلقات السماع التي يُنشدُ فيها أشعارُ الغزل والتي يفسرونها تفسيراً صوفياً, مما يُحرك الوجد في قلوب السامعين من الدراويش, وقد دفع هذا الوضع إلي اهتمام جماعة من المتصوفة بنظم الغزل الصوفي, ونجد أن شعراء التصوف قد اشتقوا مذهبهم من كتاب الله, وأخذوا من آيات القرآن وقصصه ما أخذوا ليضمّنوه أشعارهم التركية.

- اتسم الأدب التركي في تلك الفترة بالنزعة التعليمية, ولقد تبوّأت الآثار التعليمية مكانة واسعة بين الأشعار التركية القديمة, وكانت بمثابة دليل ومرشد في الحياة, وتضمنت المبادئ والأسس الأخلاقية.

- يتجلى الاتجاه التعليمي في الأدب بوضوح في كتابي: "عتبة الحقائق" لأحمد يوكنكي, وكتاب "قوتادغوبيليك" ليوסף خاص حاجب, فنرى فيهما الدعوة إلى القيم الإسلامية والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتربية الأفراد داخل إطار الثقافة الإسلامية, ونرى خلال هذين الكتابين تطوراً للأدب الأويغوري الشفاهي والمدون وذلك عن طريق دمج كل من طريقتي الكتابة الأويغورية القديمة والكتابة العربية, وفي هذا العصر أصبح استخدام اللغة الأويغورية في التأليف من التقاليد المتبعة بين القبائل الناطقة بالتركية وسط "آسيا" و"خوارزم" وحتى في المناطق التي تقع خارج حدود الدولة القراخانية, وسُميت اللغة في عهد القراخانيين بـ "الغة بوغراخان" و"الغة كاشغر" و"الغة خان" و"الغة الترك", وأطلق عليها أحمد يوكنكي لغة كاشغر في مؤلفه "عتبة الحقائق".

- اختار الترك بعد دخولهم الإسلام الحَرْفَ العربي لكتابة لغتهم, شأنهم في ذلك شأن كل شعوب

آسيا التي اعتنقت الإسلام .

وما زلت اللغة الأويغورية منذ ألف سنة حتى الوقت الحاضر هي اللهجة التركية الوحيدة من بين جميع اللهجات التركية الأخرى التي ما زالت تستخدم الحروف العربية في كتابة مؤلفاتها ومدوناتها.

- نبغ في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) في عهد القراخانيين العديد من المفسرين والمُحدثين والفقهاء وعلماء اللغة والأدب مثل: حسين خلف الكاشغري ومحمد السمرقندي وأبي سعيد عبد الرحمن محمد الإدريسي وغيرهم من فطاحل العلماء و الأدباء.

ويأتي في صدارة الأدباء الأتراك المسلمين الذين خلفوا نتاجاً أدبياً يمثل أول نتاج أدبي إسلامي تركي في التركستان الشرقية هم: "أديب أحمد يوكنكي" صاحب كتاب "عتبة الحقائق" و"يوسف خاص حاجب" صاحب كتاب "قوتادغوبيليك" ومحمود الكاشغري مؤلف كتاب "ديوان لغات الترك".

- يعد مؤلف "عتبة الحقائق" لأحمد يوكنكي أقدم أثر كلاسيكي تركي مُدَوَّن في اللهجة الخاقانية, وهو أثر ذو طابع تهنئبي كُتِبَ به أحمد يوكنكي بهدف تفسير عددٍ من المسائل والقضايا الاجتماعية والسياسية والروحانية والأخلاقية التي كانت سائدة في منطقة ما وراء النهر في ذلك العصر وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف؛ وكان الهدف من تأليفه تربية هذه الشعوب حسب تعاليم وشريعة الدين الإسلامي, ويُعدُّ هذا المؤلف البداية التي مهّدت السبيل لتصنيف كثيرٍ من المؤلفات الصوفية الأخلاقية, وحاكاه الشعراء والأدباء ورتَّبوا مُصنَّفاتهم علي غرار ه .

- يُعد "يوسف خاص حاجب" أول أديب يُدون مصنفاً في اللغة التركية, وشجع الآخرين على أن يؤلفوا مؤلفاتهم بلغتهم التركية إلى جانب العربية والفارسية, كما أن مؤلفه "قوتادغوبيليك" حافلٌ بالكلمات العربية والفارسية, ولقد أشاد الدكتور "حسين مجيب المصري" بهذا الأثر في كتابه "تاريخ الأدب التركي" وقال عنه : (لدينا في الأويغورية أثر فريد وهو " قوتادغوبيليك").

- وقد توصلت الدراسة إلي أن مؤلف "قوتادغوبيليك" يُعد أول عمل أدبي إسلامي تركي، وكان متأثراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف وهو كتاب في علم الاجتماع والحكم وفلسفة الحياة، وكذا يُعبر عن الفكر الإسلامي في عصره، ويمكن أن يعتبره البعض غير ذي قيمة علمية ولكنه كان قويا في عصره، وهو اللبنة الأولى في علم الاجتماع، ويحتلُّ مؤلف "قوتادغوبيليك" مكانة عظيمة في الأدب التركي من حيث تاريخ الحضارة وفقه اللغة المقارن.

- حظى وما زال يحظى مؤلف "ديوان لغات الترك" لمحمود الكاشغري على أهمية كبيرة، فهو مصدرٌ مهمٌ في تاريخ دراسة اللهجات التركي، إذ قام الكاشغري بعرض لهجات جميع الأقوام التركية، وأصبح مؤلفه مرجعا لجميع اللغويين، ونجد أن هذا الكتاب موسوعة تلقي الضوء علي الأدب التركي والأدب الشعبي لدى الترك قبل الإسلام، وقد حظي هذا المؤلف على اهتمام العديد من علماء اللغة التركية في العالم التركي في أذربيجان وتركستان الشرقية وغيرهما من البلدان الأخرى، وعكفوا علي دراسته وترجمته إلى اللغات التركية.

والخلاصة أن محمود الكاشغري قد استخدم المنهج التقابلي في دراسة اللغة؛ فهو يقابل بين لغات الترك واللغة العربية وذلك قبل نحو ثمانمائة عام من ظهور مناهج دراسة اللغة في أوروبا التي بدأت تتطور في القرن التاسع عشر الميلادي، ولقد توصلت الباحثة إلى نتيجة أن محمود الكاشغري قد تأثر بأصول التأليف في المصنفات العربية حيث بدأ بالبسملة وبحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واستعان بالكثير من الأمثال والمواعظ والحكم وكذا الأقوال العربية المأثورة وهذا ما يُعرفُ بالتناسل، وقد استفاد من النص العربي في شتى معالمه، ومن خلال هذا المؤلف يتبين لنا أن المنطقة التي نشأ فيها محمود الكاشغري كان يسودها اللغة الأويغورية وانبثقت عنها لهجات القبائل الكثيرة التي عاشت في منطقة التركستان، وقد عكس لنا محمود الكاشغري حياة الترك في القرن الخامس الهجري

(الحادي عشر الميلادي)، ورسم لنا صورة كاملة للأتراك في موطنهم الأصلي وهو منطقة التركستان
ووسط آسيا.

- بعد دراسة هذه المؤلفات يتضح أن الأتراك أولوا اللغة العربية لغة القرآن الكريم جل
اهتمامهم؛ وصنفوا بها بواكير المؤلفات الإسلامية في مجال الثقافة والفن والأدب .

- والنتيجة الأخيرة التي تؤكدتها الدراسة أن الدولة القراخانية شهدت نهضة أدبية وحضارية بفعل
الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية.

مراجع الدراسة



Ain Shams University
Faculty of Arts
Department : Oriental Languages
Branch : Turkish Language

Literary life in East Turkistan

In the 11th century through Turkish sources

Scientific paper to obtain the PH.D

From

Dina El Sayed Dwidar

Under The Supervision of

Prof. Dr

Badia Muhamed Hamouda

Dr.

Mayada Ahmed Muhamed

Cairo - 2017